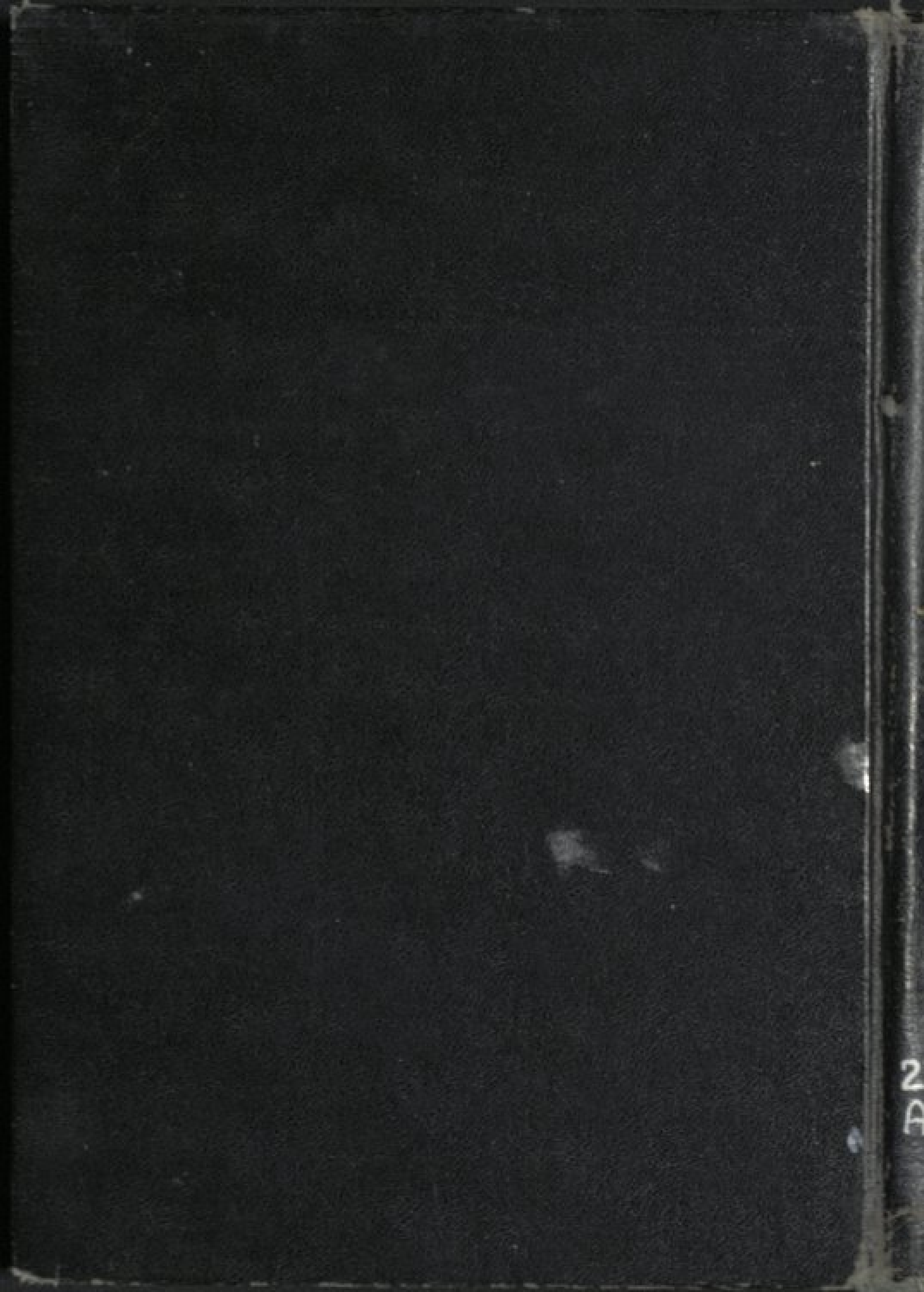


مناهل الأدب العربي

٢٦

مختارات من

الإمام علي

نهج البلاغة

*

مكتبة صادر
بيروت

مطبعة المناهل : ٤٣ — ١٩٥٠

علي بن ابي طالب

٦٠٠ - ٦٦١ م

قتل الامام علي في ١٧ رمضان سنة ٤٠هـ (٢٤ كانون الثاني سنة ٦٦١م) وله من العمر ثلاث وستون سنة بالحساب الهجري، على ارجح الروايات واكثرها مستنداً ، فتكون ولادته في اواخر سنة ٦٠٠ للمسيح .

وهو ابو الحسن علي بن ابي طالب ، وامه فاطمة بنت اسد، هاشمي قرشي الابوين . ولد بمكة ، فسمته امه حيدرة باسم ابيها ، ومعنى حيدرة اسد ، فغيّره ابوه ، وسماه علياً . وكان في السادسة من عمره عندما تسلمه النبي محمد من ابيه ، وتولى تربيته ، والقيام على امره ؛ حتى اذا اظهر دعوته ، اسلم على يده ، وهو في العاشرة او دونها بقليل ؛ فرسخت في نفسه ، منذ الصبى ، آيات الكتاب ، وآداب الرسول ، كما رسخت محبته في فؤاده ، فكان مثالاً للتقوى والعلم والوفاء ، يجاهد في سبيل الله ، وصاحب الدعوة بقلبه ولسانه ويده .

واوتي من الشجاعة والقوة حظاً وافراً ، فكان النبي يعتمد عليه ويقدمه في الملمات الكبار ، فما خاب به ظنه ولا آنس

الفشل عليه يوماً، فقد دعاه الى المبيت مكانه في الفراش ليلة الهجرة ، ليخدع به المكيين ، فلا يتنبهوا لغيابه ، وهم مزمعون ليلتهم على قتله ، فلم يتردد سيد الفتيان او يحجم عن الخطر المهدد ، فدى لابن عمه ، ونصراً لدينه . وايام بدر وأحد والخندق وخيبر ناطقة بشجاعته وأيده ، ومآتيه وذياده عن بيضة الاسلام ، شاهدة لمن يحب الله ورسوله ، ومن يحبه الله ورسوله.

واعترف له الناس ، على اختلاف الاهواء ، بالفصاحة وقوة العارضة ، قال ابن ابي الحديد : « وعن كلامه قيل : دون كلام الخالق ، وفوق كلام المخلوقين . » واذا كانت موهبته الخطابية لم تظهر زمن البعثة ، فذاك شيء طبيعي ، لان الكلام يومئذ للنبي لا لغيره ، ينطق بما يوحى اليه ، ويشرع السنن لامته ، فما كان على ابن ابي طالب الا ان يقتدي به ، ويتأدب بادب القرآن ، حتى حفظه على عهده ، ولم يكن غيره يحفظه ؛ وربما ندبه الرسول الى تلاوة الآيات على المؤمنين ؛ ويقول ابن ابي الحديد ان ائمة القراء يرجعون كلهم اليه .

ولما قُبض النبي اختلفت الصحابة فيمن يبايعونه بالخلافة ، واشتد النزاع حتى كادت تقع الفتنة . فقام عمر بن الخطاب فبايع ابا بكر ، وبايعه ابو عبيدة بن الجراح ، وبايعه الناس ؛ فقال الانصار : « لا نبايع إلا علي بن ابي طالب . » وكان علي

قد تخلف عن المبايعة ، وتخلف معه بنو هاشم ، فما زال بهم عمر حتى حملهم جميعاً على بيعة ابي بكر .

وانتقلت الخلافة بعد ابي بكر الى عمر ، وبعد عمر الى عثمان ، فاستولى على علي شيء من الحزن والفتور ، لضياع حقه ، وانصراف الامر عنه ، فاعتصم بالصبر والسكوت تفادياً للشغب والخلاف ؛ ولكنه عُرف بسداد الرأي في ذلك العهد ، فهو الذي اشار على عمر باعتماد تاريخ الهجرة ، ونصح له ألا يخرج بنفسه الى حرب الروم والفرس ؛ وكذلك لم يتلكأ عن نصح عثمان وتحذيره حين اضطرب عليه الامر ، فكان في ذلك كله بعيد مرامي النظر .

* وما ان ولي الخلافة حتى تقلبت عليه شواغل الامامة والدين ومشاكل السياسة والفتن ، فتفتقت عبقريته عن روائع الخطب والمواعظ ، وبدائع العهود والرسائل ، وجوامع الكلم والامثال ، فكانت سنو امارته اخصب ايامه تفكيراً وانتاجاً .

* ولقد بويع ، والفتنة مستيقظة بعد مقتل عثمان ، فتخلف عن مبايعته بنو أمية ، وبعض الصحابة . فجاءه المغيرة بن شعبة ، واشار عليه ان يثبت عمال عثمان في ولاياتهم ، ليبايعوه ويطمئن له الامر ، فأبى ان يداهن في دينه ، ويعطي الرياء في امره ؛ فرغب اليه ان يستبقي معاوية في امارة الشام ، لان له

جراءة ، وهو مسموع الكلمة هناك . فقال : « لا والله ، لا استعمل معاوية يومين ابداً . » واشار عليه عبد الله بن عباس باثبات معاوية الى ان يبايعه ، فيقلعه من مقامه ، وقال له : « إنّ معاوية واصحابه اهل دنيا ، فمتى تثبتهم لا يبالوا بمن ولي هذا الامر ؛ ومتى تعزلهم يقولوا : « أخذ هذ الامر بغير شورى ، وهو قتل صاحبنا . » ويؤلبوا عليك اهل الشام والعراق . » فقال علي : « اما ما ذكرت من اقرارهم ، فوالله ، ما اشك ان ذلك خير في عاجل الدنيا لاصلاحها ، واما الذي يلزمني من الحق والمعرفة بعمال عثمان ، فوالله لا اولّي منهم احداً ابداً . فان اقبلوا ، فذلك خير لهم ، وان ادبروا بذلت لهم السيف . » ثم قال له : « سر الى الشام ، فقد ولّيتكها . » فقال ابن عباس : « ما هذا برأيٍ . معاويةُ رجل من بني أمية ، وهو ابن عم عثمان ، وعامله على الشام ، ولست آمن ان يضرب عنقي لعثمان ، او أدنى ما هو صانع ان يحبسني ، فيتحكم عليّ . ولكن ، اكتب الى معاوية ، فمنّه وعِده . » فأبى عليّ وقال : « والله ، لا كان هذا ابداً . »

ثم بعث عماله على الامصار ، وجعل سهل بن حنيف على الشام ، فلم يستطع دخولها ، فرجع على اعقابه . وكتب علي الى معاوية يقول : « اما بعد ، فان الناس قتلوا عثمان عن

غير مشورة مني ، وبايعوني عن مشورة منهم واجتماع . فاذا اتاك كتابي ، فبايع لي ، واوفد اليّ اشراف اهل الشام قِبَلك . » فلما قدم رسوله على معاوية ، وقرأ كتابه ، بعث الى الزبير بن العوام يبايعه عن نفسه وعن اهل الشام ، ويبايع طلحة بن عبيد الله من بعده ، ويدعوهما الى الطلب بدم عثمان. وكان الزبير وطلحة قد بايعا علياً في المدينة ، فاجمعا على خلافه ، ولم يشكا في نصح معاوية لهما ، فدخلا على الامام ، واستأذناه في زيارة الكعبة ، فرابه امرهما ، فقال لهما : « لعلكما تريدان البصرة والشام . » فاقسما انهما لا يقصدان غير مكة . وقيل انه طلب منهما ان يعيدا البيعة له ثانية ، فاعاداها باشد ما يكون من الأيمان والمواثيق ، فأذن لهما ، فلما خرجا من المدينة اخذا يقولان : « ليس لعلي في اعناقنا بيعة ، وانما بايعناه مكرهين. » وشخصا الى مكة .

* وكانت عائشة ام المؤمنين تؤلب الناس على عثمان وتطعن فيه ، رغبة منها في طلحة ، فبلغها مقتله ، وبيعة علي ، وهي خارجة من مكة الى المدينة ، فرجعت الى مكة / حتى اذا دخلتها * اتاها عبد الله بن عامر الحضرمي ، فقال : « ما ردّك يا ام المؤمنين ؟ » قالت : « ردني ان عثمان قتل مظلوماً ، وان الامر لا يستقيم ، ولهذه الغوغاء امر . فاطلبوا بدم

عثمان ، تعزّوا الاسلام . » فاجابها الحضرمي ، ورجّع نداءها بنو أمية في الحجاز ، واجتمعوا على مشاقة علي . ثم قدم طلحة والزبير فانضما اليهم . فاشار عبد الله ابن عامر عليهم بالمسير الى البصرة ، لان له فيها اعواناً من صنائعه ، وكان اميراً عليها لعثمان ، فهرب عنها الى مكة يوم أُخذت البيعة لعلي فيها ، وجاءها عثمان بن حنيف الانصاري عاملاً من قبل الامام عليها . فوافقه طلحة والزبير على المسير الى البصرة والكوفة ، مطمئنين الى صنائعه في الاولى ، ثم الى ما لهما في المِصرَين من شيعة وانصار ، فخرجوا ومعهم عائشة في سبع مائة رجل من اهل المدينة ومكة ، ولحقهم الناس حتى كانوا ثلاثة آلاف ، على رواية الطبري ، ويقول المسعودي انهم ساروا في ستمائة راكب . واعانهم يعلى بن امية عامل اليمن المعزول باربع مائة الف درهم ، وحِملِ سبعين رجلاً من قريش ، وبعث الى عائشة بجمل يقال له عسكر لتُحمل عليه . واعطاهم ابن عامر الحضرمي الف الف درهم ومائة من الابل وغير ذلك . فساروا الى البصرة حتى بلغوها ، فخرج اليهم عاملها عثمان بن حنيف فقاتلهم ومانعهم ، وبيّتوه في بعض الليالي ، فاسروه وضربوه ونتفوا لحيته ؛ ثم اطلقوا عنه خوفاً على المتخلفين من ذويهم في المدينة ان يصيبهم الانصار بسوء ،

ولكنهم استولوا على بيت المال عنوة ، وقتلوا سبعين رجلاً من خزّانه والموكلين به ، بينهم خمسون قتلوا صبراً ، ضربت اعناقهم بعدما اسروا .

واقعة الجمل سنة ٣٦ هـ

« بلغ علياً خبر عائشة وطلحة والزبير ، وهو بالمدينة ، فرأى ان الفتنة قائمة ولا بد من اخمادها ، فسار في سبع مائة راكب حتى بلغ الربذة ، فلحق به ستمائة راكب من بني طيء ، فكتب الى ابي موسى الاشعري عامل الكوفة ، وكان قد بايعه عن اهلها ، «ليستنفر الناس الى الحرب والجهاد معه » ، فخالف ابو موسى الامر ، واخذ يثبط اهل الكوفة ويقول : « انما هي فتنة ! » فنمي ذلك الى علي ، فولى على الكوفة قرظة بن كعب الانصاري ، وكتب الى ابي موسى : « اعتزل عملنا يا ابن الحائك مذموماً مدحوراً ، فما هذا اول يومنا منك . »

وسار بمن معه حتى نزل بذي قار ، فبعث ابنه الحسن وعمار ابن ياسر الى الكوفة يهيبان بالناس اليه ويصلحان ما افسد ابو موسى ، فرجعا ومعهما من اهلها نحو من سبعة آلاف ، وقيل ستة آلاف وخمس مائة وستون ، » فزحفوا الى البصرة حتى بلغوها ، فراسل علي القوم وناشدهم ، فأبوا إلا قتاله ، فالتقى

الفريقان في الموضع المسمى بالخريبة ، وكانت عائشة في هودجها على جملها عسكر ، تحرض الرجال على الاقدام والثبات ، فرمي هودجها حتى صار كالقنفذ لما علق به من النبال ؛ وقطع على خطام الجمل سبعون يداً من بني ضبة ، كلما قطعت يد واحد منهم ، امسك الخطام مكانه رجل آخر ؛ ثم سقط الجمل وقد اخذته السيوف ، وقطعت اعضاؤه ، فتطاير الرجال من حوله. فخف اليه محمد بن ابي بكر اخو عائشة ، وكان في جند الامام ، فناداها ، فقالت : « من أنت ؟ » قال : اقرب الناس قرابة ، وابغضهم اليك ؛ انا محمد اخوك . يقول لك امير المؤمنين هل اصابك شيء ؟ قالت : ما اصابني الا سهم لم يضرني . فانزلها اخوها في دار صفية بنت الحارث ، ثم ارجعها الامام الى المدينة مكرمة يواكبها جماعة من الرجال والنساء . وبلغ عدد القتلى في هذه الواقعة ، كما ذكر المسعودي ، خمسة آلاف من اصحاب علي ، وثلاثة عشر الفاً من اعدائهم ، وفي جملة من قتل منهم طلحة بن عبيد الله وابنه محمد ، والزبير بن العوام ، قتله عمرو بن جرموز التميمي في وادي السباع ، وهو منصرف من حرب الجمل .

٦ ودخل علي البصرة ، فبايعه اهلها ، فولّى عليهم عبد الله بن عباس ، ثم سار الى الكوفة ، فنزل بها ، وكتب الى معاوية

يعلمه بما انتهت اليه موقعة الجمل ويدعوه الى مبايعته، ويصارحه بانه من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ، فكتب معاوية الى عمرو بن العاص يطلعه على الامر ، فاشار عليه عمرو بان يُلزم علياً دم عثمان ، ويقاتله باهل الشام .

واقعة صفين

بلغ الامام ان اهل الشام قد اجتمعوا مع معاوية على قتاله، فحشد جيشاً ، يقول المسعودي انه تسعون الفاً ، فزحف به في السنة نفسها (٣٦ ﻫ) الى المدائن فالانبار حتى نزل الرَقّة على الفرات ، فعُقد له جسر فعبر الى جانب الشام . وسار معاوية بنحو خمسة وثمانين الفاً حتى بلغ سهول صِفّين ، وهي موضع غربي الرقّة على ضفة الفرات اليمنى ، فالتقى الجيشان هناك ، وكان جيش معاوية قد سبق جيش علي الى السهل ، فسيطر على شريعة الماء ، ولم يكن على الفرات في ذلك الصقع شريعة غيرها ، يستطاع ورود الماء منها ، وما عداها اخراق عالية ، ومواضع الى الماء وعرة . ووكل معاوية بالشريعة ابا الاعور السلمي ، ومعه اربعون الفاً ليمنعوا عنها جيش الامام، فبات هؤلاء في البر عطاشاً . فقال عمرو بن العاص لمعاوية : « ان علياً لا يموت عطشاً هو وتسعون الفاً من اهل العراق ،

وسيوفهم على عواتقهم ، ولكن دعهم يشربوا ، ونشرب . »
فقال معاوية : « لا والله ، او يموتوا عطشاً ، كما مات عثمان! »
فأمر عليّ الاشعث بن قيس والاشتر النخعي ان يدلفا الى الماء ، فحمل الاشعث باربعة آلاف وحمل الاشتر باربعة مثلها ، وسار علي وراء الاشتر بباقي الجيش ، وكانت حملة الاشعث عنيفة صاعقة ، فزحزح ابا الاعور عن الماء ، وورد الاشتر بعده ، شديد الوطأة ، فاستولوا على الشريعة ، وانكشف عنها اهل الشام.
فقال معاوية لعمرو بن العاص : « يا ابا عبد الله ، ما ظنك بالرجل اتراه يمنعنا الماء ، لمنعنا اياه ؟ » فقال له عمرو : « لا ، ان الرجل جاء لغير هذا ، وانه لا يرضى حتى تدخل في طاعته ، او يقطع حبال عاتقك . » فبعث معاوية الى علي يستأذنه في الورود ، فأذن له ، وابى ان يمنعه منه ، كما اشار عليه بعض اصحابه ، وارسل اليه يدعوه الى اتحاد الكلمة والدخول في جماعة المسلمين ، فابى معاوية ، او يدفع اليه قتلة عثمان ، ليقتلهم به . ثم اتفقا على الموادعة الى آخر المحرم في سنة سبع وثلاثين ، فتوقف الفريقان عن الحرب ، على امل الصلح والوفاق ، وتوالت الكتب بين علي ومعاوية ، دون ان تسفر عن نتيجة صالحة ، حتى اذا انقضت الهدنة بانقضاء المحرم ، استؤنفت الحرب في اول صفر ، واستحرّ القتال ، واشتد

وقعه في اليوم التاسع ، فنادى علي معاوية : « يا معاوية ، علام يُقتل الناس بيني وبينك ؟ هلمّ احاكمك الى الله ، فأيّنا قتل صاحبه ، استقامت له الامور . » فالتفت معاوية الى عمرو فقال : « ما ترى يا ابا عبد الله ؟ » قال : « قد انصفك الرجل . » فقال معاوية : « ما انصفت ، وانك لتعلم انه لم يبارزه رجل قط الا قتله او اسره . » فقال له عمرو : « وما تجمل بك الا مبارزته . » فقال له معاوية : « طمعت فيها بعدي ! » ، وانصرف الفريقان الى حمل قتلاهم حتى آخر النهار ، فعادت كحالها في اوله ، وجنهم الليل ، وهم ملتحمون ، فعرفت بليلة الهرير ، لما تعالى فيها من الصياح ووقع السلاح ، وروي ان علي بن ابي طالب قتل بكفه في يومه وليلته خمس مائة وثلاثة وعشرين رجلا ، وكان اذا ضرب كبّر ، ولم يضرب الا قتل ، حتى اصبح والمعركة محتدمة السعير ، والاشتر النخعي في الميمنة ، وعبد الله بن عباس في الميسرة ، وهو قائم في القلب ، والناس يقتتلون من كل جانب . واخذ الاشتر يزحف بالميمنة ، وكان قد تولاها عشية الخميس ، فحمل بها عند ارتفاع الضحى يوم الجمعة ، فما زال يتقدم ، ويحث اصحابه ، وعلي يمده بالرجال حتى هزم جيش معاوية ، ولاح بارق النصر للامام . فنادت مشيخة اهل الشام : «الله الله في الحرمات من النساء والبنات!»

وقال معاوية : « هلم مخبآتك يابن العاص ، فقد هلكنا ، وتذكر ولاية مصر ! » فقال عمرو : « ايها الناس، من كان معه مصحف ، فليرفعه على رمحه ! » فرفع الشاميون نحواً من خمس مائة مصحف على عوالي الرماح ، ونادوا : « كتاب الله بيننا وبينكم ! » فقال كثير من اهل العراق : نجيب الى كتاب الله ونتوب اليه . فحاول الامام ان يفهمهم ان معاوية خادِعُهم ، فلم يقتنعوا ، وهددوه بالقتل كما قتل عثمان . واستمهلهم الاشتر حتى يتم النصر ، فأبوا وتصايحوا : « ان امير المؤمنين قد قبل الحكومة ورضي بحكم القرآن ! » فقال الاشتر : « ان كان امير المؤمنين قد قبل ورضي، فقد رضيت بما رضي به امير المؤمنين.» فاخذ الناس يقولون : « قد رضي امير المؤمنين » والامام مطرق لا ينطق بكلمة . ثم قام فسكت الناس كلهم ، فقال : « كنت امس امير المؤمنين ، فاصبحت اليوم مأموراً ، وكنت ناهياً ، فاصبحت منهياً ، وقد احببتم البقاء ، وليس لي ان احملكم على ما تكرهون . » ثم قعد ، واعتصم بالصمت كارهاً لما اتوا به ، وسكت الاشتر على غير رضى ؛ وارتفع صوت الاشعث ومن لف لفه ، فاجابوا الى التحكيم ، وتركوا القتال، وانقضت وقعة صفين عن سبعين الف قتيل : خمسين الفاً من اهل الشام وعشرين الفاً من اهل العراق ، على حد رواية العقد

الفريد عن ابي بكر بن شيبة ، واما المسعودي فلم يجزم بعدد القتلى من الفريقين ، بل ذكر روايتين احداهما تجعل قتلى الشام تسعين الفاً ، وقتلى العراق عشرين الفاً ، والثانية تقول انه قتل من الشاميين خمسة واربعون الفاً ، ومن العراقيين خمسة وعشرون الفاً، واشار الى تعذر ضبط الاحصاء لان في قتلى الفريقين من يُعرف ومن لا يُعرف ، وفيهم من غرق ، وفيهم من قتل في البر فاكلته السباع ، فلم يدركهم الاحصاء .

التحكيم

اتفق اهل العراق والشام على اقامة حكمين يفصلان في الامر بين علي ومعاوية ، ويرجعان في ذلك الى كتاب الله ، ولا يخرجان عنه . فاختار معاوية عمرو بن العاص حكماً عنه ، واختار الاشعث وغيره ممن انتحلوا مذهب الخوارج بعد ذلك ابا موسى الاشعري . فاعترض الامام وقال «قد عصيتموني في اول الامر ، فلا تعصوني الآن ، اني لا ارى ان اولّي ابا موسى الاشعري .» فاصر الاشعث ومن معه على اختياره . فقال علي : «ويحكم ! ليس بثقة ، وقد فارقني وخذل الناس عنيّ ، وهرب مني حتى امّنته بعد اشهر .» وسمى لهم عبد الله بن عباس فرفضوه ، ثم الاشتر النخعي ، فرفضوه ايضاً . فقال

لهم : « فاصنعوا الآن ما اردتم ، وافعلوا ما بدا لكم ان تفعلوه . » فاختاروا الاشعري ، واجتمع مندوبون عن الفريقين لكتابة صحيفة الموادعة والتحكيم ، فكتبوا : « هذا ما تقاضى عليه علي امير المؤمنين . » فقال عمرو بن العاص : « اكتبوا اسمه واسم ابيه ؛ انما هو اميركم ، فاما اميرنا فلا ! » ولم يمانع علي لان اصحابه كانوا مختلفي الرأي ، فمحي اسم امارة المؤمنين وكتب في الصحيفة : « هذا ما تقاضى عليه علي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان . »

وتنص الصحيفة على النزول عند حكم الله وكتابه ، فان وجد الحكمان ذلك في كتاب الله اتبعاه ، وان لم يجداه اخذا بالسنّة العادلة غير المفرقة . والحكمان هما ابو موسى الاشعري عبد الله بن قيس ، وعمرو بن العاص القرشي ، وقد اخذا من علي ومعاوية ومن الجندين انهما امينان على انفسهما واموالهما واهلهما ، والامة لهما انصار . وعلى الذي يقضيان عليه ، وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين عهد الله ان يعملوا بما يقضيان مما وافق الكتاب والسنّة . وان الامن والموادعة ووضع السلاح متفق عليه بين الطائفتين الى ان يقع الحكم . وعلى كل من الحكمين عهد الله ليحكمن بين الامة بالحق لا بالهوى . واجل الموادعة سنة كاملة ، فان احب الحكمان ان يعجلا

الحكم عجلاه ، وان توفي احدهما ، فلأمير شيعته ان يختار مكانه رجلاً لا يألو الحق والعدل ، وان توفي احد الاميرين ، كان نصب غيره الى اصحابه ممن يرضون امره .

واجّل التحكيم الى رمضان ، على ان يكون في موضع بين الكوفة والشام ، وكان الوقت الذي كتبت فيه الصحيفة لايام بقين من صفر سنة سبع وثلاثين للهجرة .

فلما خطت الصحيفة ، وضعت عليها اسماء الشهود من الفريقين إلا الاشتر ، فانه ابى ان يضع اسمه ، واصر على احتجاجه ورفضه . وخرج الاشعث بنسخة عنها يقرأها على الناس فرحاً مسروراً ، فقال بعضهم : لا حكم الا لله ، فكان اول من قالها ، ورددتها الالسن في جيش علي ، فاذا قسم كبير منه يرفض التحكيم . فخرج اليهم علي يذكرهم بانه لم يقبل التقاضي الا لانهم ارادوه ، فقالوا : « قد بان لنا زللنا وخطأنا فرجعنا الى الله وتبنا ، فارجع انت يا علي ، كما رجعنا . » فابى الامام ان يرجع .

ولما حان موعد التقاضي اخلي للحكمين مكان يجتمعان فيه مدة ثلاثة ايام ، فاقبل عمرو بن العاص على ابي موسى يقنعه بان يخلع علياً ، وهو يخلع معاوية ، فتنجو الامة من الفتنة وتحقن الدماء . فرضي ابو موسى بذلك .

واجتمع الناس يوم التحكيم في موضع يقال له اذرُح قرب دُومة الجندل ، فقام ابو موسى وقال : « ايها الناس ، انّا قد نظرنا في امر هذه الامة ، فلم نرَ اصلح لامرها ، ولا ألمّ لشعثها من أمرٍ قد جُمع رأيي ورأي عمرو عليه ، وهو ان نخلع علياً ومعاوية وتستقبل هذه الامة هذا الامر ، فيولوا منهم من احبوا عليهم ؛ واني قد خلعت علياً ومعاوية ، فاستقبلوا امركم ، وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الامر اهلاً . »

ثم تنحى ، واقبل عمرو ، فقام مقامه فحمد الله واثنى عليه وقال : « ان هذا قد قال ما سمعتم ، وخلع صاحبه ، وانا اخلع صاحبه كما خلعه ، واثبت صاحبي معاوية ، فانه وليّ عثمان ابن عفان،رضي الله عنه ، والطالب بدمه ،واحق الناس بمقامه.»

فاضطرب جيش علي لهذا الحكم ، وابى علي ان يذعن اليه، فقفل الى الكوفة ، ورجع معاوية الى دمشق.

الخوارج

لما جاء علي الكوفة انحاز عنه نحو من اثني عشر الفاً من القراء وغيرهم ، وساروا الى حروراء ، وهي قرية بظاهر الكوفة ، ثم عاثوا في المدائن سفاكين ، مجاهرين بالعصيان ، يرددون كلمتهم : لا حكم إلا لله ، مكفرين علياً ومعاوية ،

فقصدهم الامام بجيشه ، فالتقاهم في النهروان ، وكانوا اربعة آلاف ، فاكثر فيهم التقتيل واثخن حتى قيل انه لم يفلت منهم إلا عشرة .

مقتل الامام

• عاد علي الى الكوفة ، بعد واقعة النهروان ، وهمه الشاغل معاوية واهل الشام ، فابن ابي سفيان لم يبرح يطالب بحقوقه ، والسرايا من جيشه تقلق الامن ، وتثير الخواطر في الولايات التي بايعت علياً ، وعليها رجال من عماله ، وكان ابلغها اثراً مقتل محمد بن ابي بكر عامل الامام في مصر ؛ وكان معاوية قد وجه عمرو بن العاص والياً من قبله على مصر سنة ثمان وثلاثين ، في اربعة آلاف ، ومعه معاوية بن حُدَيج وابو الاعور السُلمي ، فخرج اليهم محمد في اصحابه ، فاقتتلوا زمناً ، ثم انفرج عن محمد اصحابه وخذلوه ، فانهزم ، واختبأ في بعض الدور ، فحاصروه فبرز اليهم ومن معه ، فقاتلهم حتى قتل ، فلفّه ابن حُديج وابن العاص وغيرهما في جلد حمار ، وجعلوه طعم النار ، وقيل انه فُعل به ذلك ، وفيه شي من الحياة .
ولما بلغ الامام مقتله حزن عليه شديداً ، وولى مكانه الاشتر ، وانفذه الى مصر في جيش ، فكتب معاوية الى دهقان بالعريش

من زعماء الفلاحين واصحاب الاملاك ، واوعز اليه ان يدس السم للاشتر حين ينزل به ، وترك له خراج عشرين سنة . فلما نزل الاشتر العريش قدم له الدهقان عسلاً مسموماً ، فشربه على صيام وظمأ ، فمات لساعته . ووصل خبره الى معاوية فقال : « ان لله جنداً من العسل ! »

ولم تقع بين علي ومعاوية حروب بعد صفين إلا ما كان من امر هذه السرايا ، حتى قُتل الامام في سنة اربعين ؛ وذلك انه اجتمع بمكة قوم من الخوارج ، فتذاكروا فيما المسلمون عليه من الحرب والفتنة ، فتعاهد ثلاثة منهم على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص في يوم واحد ، ولكن لم يُقتل من هؤلاء الثلاثة غير علي ، ونجا الآخران ؛ وقاتِلُه عبد الرحمن بن ملجم ، ضربه بسيف مسموم ، وهو في مسجد الكوفة يريد الصلاة ، فمات بعد ثلاثة ايام فدفن بالكوفة ، ومدة خلافته من سنة ٣٥ — ٤٠ هـ (٦٥٦ — ٦٦١) .

نهج البلاغة

هو مجموعة من كلام الامام ، جمعها الشريف الرضي الموسوي وانتهى من تأليفها سنة ٤٠٠ هـ (١٠١٠ م) ، ووسمها بهذا الاسم الذي هو خير ما يوسم به كلام امير المؤمنين ، سيد

البلغاء ، وحجة الفصحاء ، فجاءت مرتبة كما ذكر الشريف بقوله: « ورأيت كلامه ، عليه السلام ، يدور على اقطاب ثلاثة : اولها الخطب والاوامر ، وثانيها الكتب والرسائل ، وثالثها الحكم والمواعظ . فأجمعت ، بتوفيق الله سبحانه ، على الابتداء باختيار محاسن الخطب ، ثم محاسن الكتب ، ثم محاسن الحكم والادب ، مفرداً لكل صنف من ذلك باباً ، ومفصلاً فيه اوراقاً ، ليكون مقدمة لاستدراك ما عساه يشذ عني عاجلاً ، ويقع اليّ آجلاً . واذا جاء شيء من كلامه الخارج في اثناء حوار ، او جواب سؤال ، او غرض آخر من الاغراض في غير الانحاء التي ذكرتها ، وقررت القاعدة عليها ، نسبته الى أليق الابواب به ، واشدها ملاحة لغرضه . وربما جاء فيما أختاره من ذلك فصول غير متسقة ، ومحاسن كَلِم غير منتظمة ؛ لاني اورد النكت واللُمَع ، ولا اقصد التتالي والنسق . » اه

على اننا رأينا ان نخالف هذا التنسيق تيسيراً لدراسة كلام الامام بحسب اغراضه الخاصة ، وهي الدينيات ، وسياسة الخلافة ، والاخلاق والاجتماع .

الدينيات

فيها حياة رجل افاض الله على نفسه من الورع والتقوى

ما شاء ، ومن الصلاح وحب الخير ما جعل منه واعظاً مرشداً للناس يدعوهم الى حسن العبادة ، وطاعة الخالق ، ويحذرهم من شهوات الدنيا وزخارفها ؛ فاذا هو ذلك الزاهد المتعبد الذي يرى حلاوة الآخرة في مرارة الاولى ، ويكتفي من دنياه بطمريه ومن طعامه بقرصيه ؛ لم يغرّه مال ولا جاه ، فاعرض عنهما ، وهما ملء يديه ؛ وارتضى التقشف والفقر ، فكان خليقاً بكنيته ابي تراب ؛ فاعجب لها كنية المتربة والفاقة تلصق بابن عم النبي وامير المؤمنين ! واعجب له خليفة لم تصعر خده الرئاسة ، ولا ابطرته عزة السلطان ! فظل على فطرته الكريمة ، رضيّ الطباع ، حسن المخالقة ، وزاده الايمان تواضعاً ولين جانب ، ونفوراً من الحياة الفانية ، وتطلعاً الى الحياة الباقية ؛ فليس من زاد للانسان الا التقوى ، ولا نجاة له إلا باصلاح النفس والتأهب ليوم البعث والنشور ؛ ولا يتم له ذلك إلا بنبذ الدنيا الغرور ، والتحلي بصفات المتقين ، والتفكير في عظمة الخالق وعجيب خلقه ، وفي الحياة والموت ويوم الحساب الرهيب ، واحوال اهل الجنة ، واحوال اهل النار .

وتتجلى بلاغة الامام ودقة اوصافه في الكلام على الله وصفاته ، والسماء والارض والجنة والنار ، وعجيب خلق الطاووس وبديع خلق الخفافيش ، مما حمل جماعة من النقاد

المتقدمين والمتأخرين على الشك في طائفة من هذه الاقوال ، فزعموا انها منحولة ، واضافوا بعضها الى قوم من فصحاء الشيعة ، وبعضها الآخر الى الشريف الرضي جامع الديوان . لانهم رأوا في بعض خطبه ، من تنزيه الله عن الصفات ، ما قال به اهل الاعتزال من بعده ، حتى ان ابن ابي الحديد ، في شرحه له ، استند اليه في الرد على الاشعرية ، وتأييد آراء المعتزلة ، فقال : « واما قوله : « وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه » فهو تصريح بالتوحيد الذي تذهب اليه المعتزلة ، وهو نفي المعاني القديمة التي تثبتها الاشعرية وغيرهم . قال عليه السلام : « لشهادةِ أنّ كلّ صفةٍ غيرُ الموصوف ، وشهادةِ كل موصوفٍ انه غير الصفة » وهذا هو دليل المعتزلة بعينه . » اه .

وكذلك وجدوا في ذكر الطاووس والخفاش ما اثار شكوكهم لدقة الوصف وتفصيله ، وما يقتضي له من الاطلاع على العلوم الطبيعية التي لم تكن معروفة في عصر الامام . على ان هذا لم يخرج عن نطاق الشك ، وقد يقبل الاعتراض من جهة ان الامام في تنزيه الله قصد الى نفي صفات المخلوقين عنه ، وقد ذكر ذلك الراوندي بقوله : « فانه ، عليه السلام ، قد اثبت لله تعالى صفة اولاً حيث قال : « الذي ليس لصفته حد محدود » فوجب ان يحمل كلامه على ما يتنزه عن المناقضة . وايضاً فانه قد قال

فيما بعد في صفة الملائكة انهم لا يصفون الله تعالى بصفات المصنوعين ، فوجب انْ يحمل قوله الآن : « وكمال توحيده نفي الصفات عنه» على صفات المخلوقين حملاً للمطلق على المقيد.» اه.

وكذلك حَمل الشك على الاوصاف الدقيقة للخفاش والطاووس وسواهما ، يعارضه ما جاء في كلام العرب من صفات انواع الحيوان وذكر احواله ، مما يدل على ان هذه الأشياء معروفة عندهم ، لما هم عليه من حياة الفطرة التي تجعلهم على اتصال بالطبيعة : جمادها وحيوانها ونباتها .

• سياسة الخلافة.

لم يكن زهد علي في الدنيا ، ونفوره من غرورها ليحمله على الانقطاع عن العالم شأن النساك في الصوامع ، فان القرآن لم يَدعُ المسلمين الى الحياة المتوحدة، ولا ندبهم للرهبانية والامتناع عن الزواج ، فلا ينبغي ان ينظر في زهد الامام الى هذه النواحي ، كما ينظر اليها في زهد راهب متبتل . ثم ان ابن ابي طالب كان له من الايمان الوثيق بحقه في الخلافة ، ما دفعه الى الذود عنه ، ومقاتلة المعتدين عليه ، بسيفه ولسانه ، لانه حق مقدس لا يجوز ان ينكل عنه ابن عم النبي وصهره ، واقرب الناس اليه ، بعدما بايعوه على الامامة ، وأناطوا به

امارة المؤمنين ، وفيها ملتقى الدنيا والدين . فجاءت خطبه واقواله وكتبه إلى معاوية ناطقة بحقه ، مدافعة عنه ، بما أوتي من البلاغة والحجج والبراهين وقوة المنطق ؛ مصورةً لحياته السياسية ، وما مر به من الازمات النفسانية والاجتماعية منذ وفاة الرسول الى اواخر أيامه . فقد كان يتوقع ان تصير اليه البيعة ، ويجمع المهاجرون والانصار امرهم عليه ، فخاب ظنه ، وشعر بالحزن والالم يوم بويع ابو بكر ، ثم يوم بويع عمر ، ثم يوم بويع عثمان . ولكنه كان يصبر على مضض ، ويسكت عن طلاب حقه حذراً من الشقاق والفتنة . واذا بالخيبة تعاوده في بدء خلافته ، فيتنكر له طلحة والزبير بعدما بايعاه ، وتضرم الحرب عليه ام المؤمنين ، فيشعر بالحزن والالم ، في موقعة الجمل ، ثم في موقعة صِفِّين ، ثم في حمله على قبول التحكيم مكرهاً ، وفرض ابي موسى الاشعري عليه ، ثم في نتيجة التحكيم ، وثورة الخوارج من اصحابه . وظل دريئة لامواج الحزن والالم ، بقية عمره ، حتى التف عليهما كفنه بسيف الخائن ابن ملجم .

فحياة الامام ، بعد النبي ، سلسلة من الخيبة والحزن والالم متصلة الحلقات ، فغير عجيب ان تصطبغ بالوانها آراؤه السياسية ، ويتغشاها شيء من التشاؤم المرير ، فيبدو فيها مغلوباً على امره ، مع ما لديه من وسائل الدفاع عن حقه .

ينتصر في البصرة على اصحاب الجمل ، فتحزنه قتلاهم ، كما يحزن لمقتل رجاله ، ويعزّ عليه ان يرى عدوه طلحة مضرجاً بدمائه ، فيرثيه متأثراً لفقده . ويدعو معاوية للدخول في بيعته ، دون ان يثبته في امارته لانه يكره المداهنة ، ومكر السياسة ، فابى ان يعمد الى الخديعة ، فيطمعه بالولاية حيناً حتى يدخله في طاعته . فجنت عليه صراحته ، واخفق في مفاوضته ، فلم يرَ بدّاً من الحرب ، فانتصر عليه في صفين ، وعلت كلمته ، في الرسائل التي تبادلاها ، زمن الموادعة . ثم جاءت النتيجة عليه لا له ، وغُلب على امره في التحكيم .

وكان اصحابه ، من اهل العراق ، مؤمنين كل الايمان بانه على حق ، وان معاوية على باطل ، ومع ذلك نسمعه يتشكى تقصيرهم وقعودهم ، ويصرخ متألماً : « يا اشباه الرجال ، ولا رجال ! . . » ويؤثر عليهم اصحاب معاوية ، متمنياً ان يكون له من امثالهم . ورجاله هم الذين حملوه على قبول التحكيم ، ثم لاموه ، وطلبوا منه ان يرجع عنه بعدما رضي به مغلوباً على امره . ونحن نشعر معه بالالم والخيبة ، عندما يحاول اقناعهم واظهار خطئهم ، والقاء التبعة عليهم ، وهم يمعنون في عنادهم لا يقتنعون ، حتى خرجوا عن طاعته وثاروا عليه ؛ فاضطر الى قتالهم وتقتيلهم ؛ ثم قتلوه .

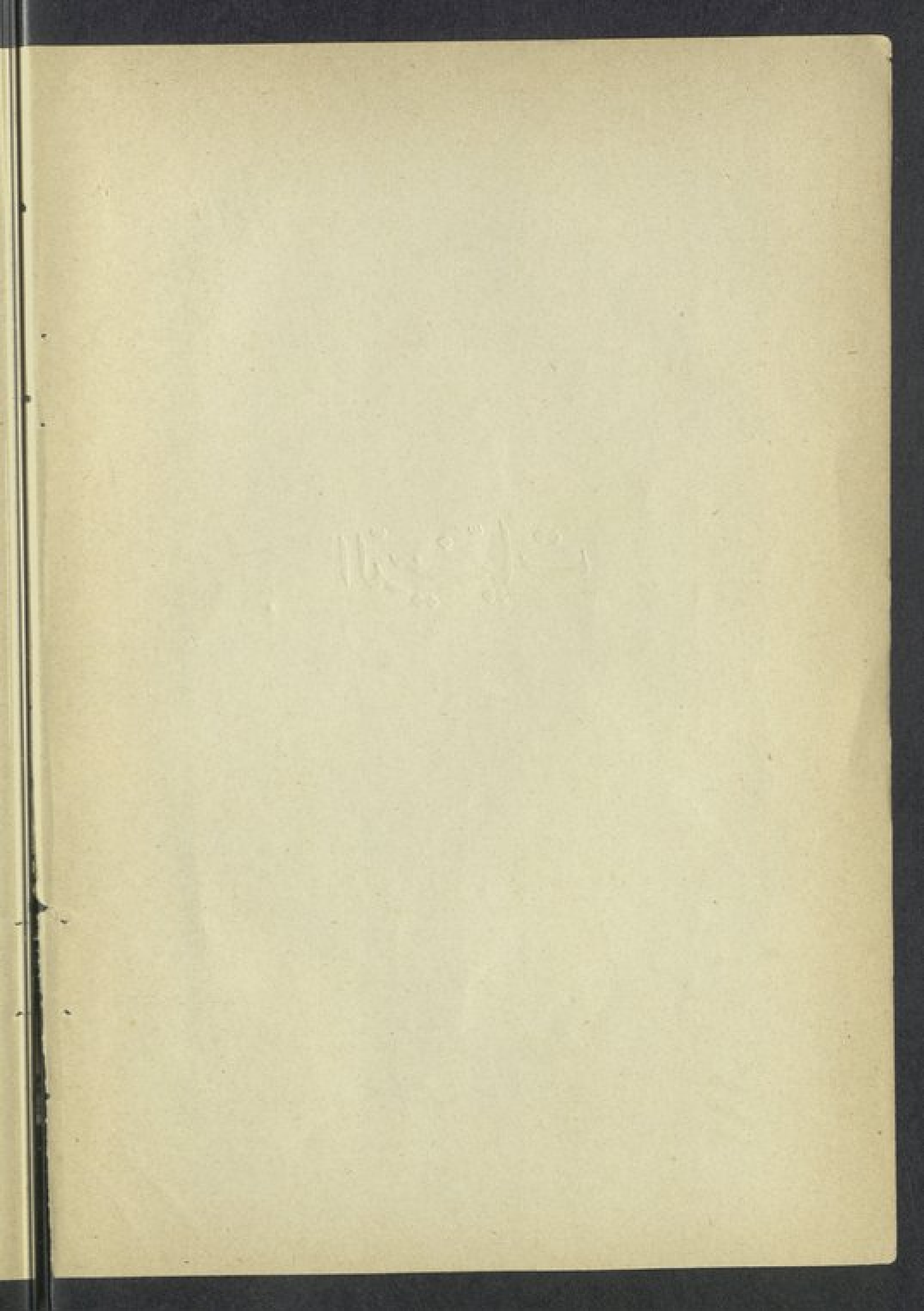
ويشتمل هذا الباب على كلام الامام في الناس والدنيا ، واحوالهم فيها واغترارهم بها ، وما له في المرأة من آراء لا تخلو احياناً من العنف عليها ، لتأثره بما جاء في القرآن والتوراة عن كيدها ، وخداع الام الاولى للاب الاول ؛ وما جاء في الحديث من ان اكثر النساء حطب جهنم ، لانهن يكثرن الشكاة ويكفرن العشير ؛ وهو الى ذلك متأثر بعصره ونظره الى المرأة ؛ ثم بما ناله من الاذى في تحريض ام المؤمنين واجلابها عليه . فالمرأة عنده شر كلها ؛ ولكن تشاؤمه بها لا يقوده الى كره الزواج وتمني انقطاع النسل كما قاد ابا العلاء المعري من بعده ، فان له من الورع والتقوى وحب الخير للانسان ما يبعده عن رأي المتشائم المعطّل ، فنسمعه يُتبع حكمه عليها بقوله : « وشر ما فيها انه لا بد منها . »

ثم كلامه على ولاة الامور وفيه نصائحه للخلفاء قبله ، وكتبه وعهوده لعماله على الولايات ، وما يوصيهم به من حسن معاملة الرعية ، والحفاظ على بيت المال ؛ ويعنف اصحاب البذخ والاسراف منهم ويهددهم ؛ ويشتد على ابن عمه عبد الله ويعزله عن عمله ، لانه استأثر بمال الامة وجعله في حوزته .

وحسبك من ذلك كله عهده للاشتر النخعي حين ولاه على مصر، فانه آية في الابداع ، وحسن البلاغ في سياسة الرعية ، واختيار الوزراء والقضاة والقواد والكتّاب ، وتفقّد الخراج ، والنظر في شؤون التجار وذوي الصناعات واصحاب الحاجات.

ثم آراؤه في الصداقة والعداوة ، والعلم والجهل ، والغنى والفقر ، ومعرفة النفس وتأديبها ، ومحاسن الاخلاق ومساوئها؛ واكثرها من الامثال السائرة ، وجوامع الكلم .

الدّينيّات



صفات الله وعجيب خلقه

خلق السماء والارض

الحمدُ لله الذي لا يبلغ مِدحتَه القائلون ، ولا يُحصي نَعماءه العادُّون ، ولا يُؤدّي حقه المجتهدون . الذي لا يُدركه بُعدُ الهمم ولا يناله غَوص الفِطن . الذي ليس لصِفته حَدّ محدود ، ولا نعتٌ موجود ، ولا وقت معدود ، ولا أجَل ممدود . فطر الخلائق بقدرته ، ونشر الرياح برحمته ، ووتَد بالصخور ميَدان أرضه[1] . أوّلُ الدّين معرفته[2] ، وكمال معرفته التصديقُ به ، وكمال التصديقِ به تَوحيدُه ، وكمال توحيدِه الاخلاص له ، وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه : لشَهادة كلّ صفة أنها غير

---

١ وتد وتشدد التاء : ثبت . الميدان : التحرك والاضطراب .

٢ معرفته : اي معرفة الله .

الموصوف ، وشهادةِ كل موصوف أنه غير الصّفة[1] . فَمن وصف الله سبحانه فقد قرَنَه ، ومَن قرَنه فقد ثنّاه ، ومَن ثنّاه فقد جزّأه، ومَن جزّأه فقد جهِله[2]، ومَن جهِله فقد اشار اليه[3]، ومن أشار إليه فقد حدّه ، ومن حده فقد عدّه ، ومن قال : فيمَ[4]؟ فقد ضمّنه ، ومن قال : علامَ[5]؟ فقد أخلى منه[6].

كائن لا عن حدث ، موجود لا عن عدم ، مع كل شيء

---

١ نفي الصفات عنه : يذهب ابن ابي الحديد في شرحه الى ان هذا الكلام تصريح بالتوحيد الذي تقول به المعتزلة. وهو نفي المعاني القديمة التي تثبتها الاشعرية . وما جاء بعده من شهادة كل صفة وكل موصوف هو دليل المعتزلة بعينه . اما الشيخ محمد عبده فيرى ان الامام علياً اراد نفي الصفات الظاهرة في التعينات المشهودة في المشخصات . لان معرفة الذات الاقدس في نحو تلك الصفات اعتبار للذات ولشيء آخر مغاير لها ، فيكون قد عرف مسمى الله مؤلفاً لا متوحداً . فالصفات المنفية هي صفات المصنوعين ، اي المخلوقين . ويتفق الشيخ في استنتاجه هذا مع الراوندي.

٢ جهله : لانه اعتقد فيه خلاف ما هو به ، عندما قرنه بغيره من الماديات وجزأه .

٣ اشار اليه : لانه جعله محدوداً في مقارنته وتثنيته وتجزئته . والمحدود يصح ان يشار اليه .

٤ فيم : أي جعله في شيء .

٥ علام : اي جعله على شيء .

٦ اخلى منه : اي ان من تصور الله على شيء بعينه ، كالكرسي او العرش ، جعل غير هذا الشيء خالياً منه . وهو حصر وتحديد لله كما لا يخفى.

لا بمقارنة ، وغيرُ كل شيء لا بمزايلة[١] ، فاعلٌ لا بمعنى الحركات والآلة ، بصير إذ لا منظورَ اليه مِن خلقه[٢] ، متوحّد إذ لا سكَن يستأنس به ولا يستوحش لفقده .

أنشأ الخلق إنشاءً ، وابتدأه ابتداءً ، بلا رويّة أجالها[٣] ، ولا تجربة استفادها ، ولا حركة أحدثها ، ولا همَامةِ نفس[٤] اضطرب فيها ، أحال الأشياء لأوقاتها[٥] ولاءَمَ بين مختلفاتها وغرّز غرائزها وألزمها أشباحها[٦] ، عالماً بها قبل ابتدائها ، محيطاً بحدودها وانتهائها ، عارفاً بقرائنها وأحنائها[٧] .

ثمّ أنشأ سُبحانه فتْقَ الاجواء[٨] وشقّ الأرجاء[٩] ،

---

١ المزايلة : المفارقة والمباينة ، وتحصل في مكان او زمان ، والله منزه عنهما.

٢ يريد ان الله بصير قبل وجود المنظورات من خلقه ، اي هو في حالة يصح منه ادراك المنظورات اذا وجدت . هذا على مذهب المعتزلة . او هو بصير باحوال الخلق قبل وجودهم .

٣ الروية : الفكر . اجالها : ادارها ورددها ، ورويت احالها : اي صرفها .

٤ همامة النفس : اي اهتمامها بالامر وترددها .

٥ احال الاشياء : ادارها واتمها .

٦ اشباحها : اي اشخاصها.

٧ احناؤها : جوانبها .

٨ الاجواء : جمع جو .

٩ الارجاء : الجوانب .

وسكائك[1] الهواء ، فأجرى فيها ماءً متلاطماً تيّارُه ، متراكماً زخّاره . حملَه على متن الرّيح العاصفة ، والزّعزع القاصفة . فأمرها بردّه[2] ، وسلّطها على شدّه ، وقرَنها إلى حدّه[3] . الهواء من تحتها فتيقٌ ، والماء من فوقها دَفيق . ثم أنشأ سبحانه ريحاً اعتقَم مهبّها[4] ، وأدام مُربّها[5] ، وأعصف مجراها ، وابعد منشاها ، فأمرها بتصفيق الماء الزّخّار ، وإثارة موج البحار ، فمخضَته مخض السّقاء[6] ، وعصفت به عصفَها بالفضاء . تردُّ أوّله الى آخره ، وساجيَه إلى مائره[7] . حتى عبَّ عُبابُه[8] ورمى بالزّبَد رُكامُه ، فرفعه في هواءٍ منفتقٍ ، وجوٍّ منفهق[9] ؛

---

١ السكائك : جمع سكاكة ، وهي الهواء الملاقي عنان السماء .

٢ برده : اي برده عن السقوط والانحدار .

٣ وقرنها الى حده : اي جعل حد الريح ، اي سطحها ، ملازماً حد الماء ، اي سطحه الذي تحمله .

٤ اعتقم مهبها : اي جعل هبوبها عقيماً ، والريح العقيم هي التي لا تلقح سحاباً فيمطر ، ولا شجراً فيثمر . ذلك بان الخالق انشأها لتمويج الماء فقط .

٥ مربها : ملازمتها ، من ارب بالمكان : لازمه .

٦ السقاء : جلد السخلة ، يجعل منه وعاء للبن والماء . والمخض : التحريك والتقليب .

٧ الساجي : الساكن ، وعكسه المائر .

٨ عب عبابه : ارتفع اعلاه .

٩ المنفهق : المفتوح الواسع .

فسوّى منه سبعَ سموات جعل سُفلاهنّ موجاً مكفوفاً ، وعُلياهنّ سقفاً محفوظاً ، وسَمْكاً مرفوعاً ، بغير عَمَدٍ يدعمُها ، ولا دِسارٍ[1] ينظمُها . ثمّ زيَّنها بزينةِ الكواكبِ ، وضياءِ الثواقبِ[2] ، وأجرى فيها سراجاً مستطيراً[3] ، وقمراً منيراً ، في فَلَكٍ دائرٍ ، وسقفٍ سائرٍ ، ورَقيمٍ[4] مائرٍ .

ثمّ فتَقَ ما بين السموات العُلى ، فملأهنّ أطواراً مِن ملائكته . منهم سجود لا يركعون ، وركوع لا ينتصبون ، وصافّون لا يتزايلون ، ومُسبحون لا يسأمون . لا يغشاهم نوم العين ، ولا سهوُ العقولِ ، ولا فترة الابدان ، ولا غفلة النّسيان . ومنهم أمناءُ على وحيه ، وألسنةٌ إلى رُسله ، ومختلفون[5] بقضائه وأمره . ومنهمُ الحفَظةُ لعباده ، والسَّدنَةَ[6] لِأبواب جِنانه . ومنهمُ الثّابتة في الأرَضينَ السُّفلى أقدامُهم ، والمارِقة مِن السماءِ العُليا أعناقُهم ، والخارجةُ من الأقطار

---

١ الدسار : المسامير .

٢ الثواقب : النيرة المشرقة .

٣ مستطيراً : منتشر الضوء ، واراد به الشمس .

٤ الرقيم : اللوح شبه به الفلك .

٥ مختلفون : اي يذهبون مترددين الى اهل الارض .

٦ السدنة : خدمة الاماكن المقدسة .

أركانهم[1] ، والمناسبة لِقوائم العرش أكتافهم . ناكسةٌ دونه أبصارُهُم ، مُتَلَفّعونَ[2] تحته بأجنحتهمْ ، مَضروبةٌ بينهم وبين مَن دونهم حُجُبُ العزّة ، وأستارُ القدرة . لا يتوهمون ربَّهم بالتّصوير ، ولا يُجرون عليه صفات المصنوعين ، ولا يحدُّونه بالاماكن ، ولا يُشيرون إليه بالنّظائر .

صفة خلق آدم عليه السلام

ثم جمع سبحانه مِن حَزْنِ[3] الأرض وسهلها ، وعذبها وسَبَخِها[4] ، تُربة سنّها[5] بالماءِ حتى خَلَصت[6] ، ولاطها[7] بالبِلّة حتى لَزَبَت[8] ، فجبل منها صورة ذات أحناءٍ[9] ووصول ، وأعضاءٍ وفصول . أجمدها حتى استمسكت ، وأصلدها حتى

---

١ الاركان : الاعضاء والجوارح .

٢ متلفعون : اي مستترون .

٣ الحزن : ضد السهل .

٤ السبخ من الارض : ما كان فيها نز وملح .

٥ سنها بالماء : اي تعهدها به ، وصقلها .

٦ خلصت : اي صفت من الكدرة .

٧ لاطها : طينها واصلحها .

٨ لزب الطين : صلب ولزق ودخل بعضه في بعض .

٩ الاحناء : الجوانب .

صَلصلت[1] الوقت معدود وأمد معلوم . ثمَّ نفخ فيها من روحه فمثُلت إنساناً ذا أذهانٍ يجيلها ، وفِكَر يتصرَّف بها ، وجوارح يختدمها ، وادوات يقلّبها ، ومعرفة يفرُق بها بين الحق والباطل ، والأذواق والمشامّ ، والألوان والأجناس ؛ معجوناً بطينة الألوان المختلفة ، والأشباه المؤتلفة ، والأضداد المتعادية ، والاخلاط المتباينة : من الحرّ والبرد ، والبِلّة والجمود . واستأدى اللهُ سبحانه الملائكةَ وديعتَه[2] لديهم ، وعهدَ وصيَّتِه إليهم ، في الاذعان بالسُّجود له ، والخشوعِ لتكرمته . فقال سبحانه : اسجدوا لآدم ، فسجدوا إلا إبليس اعترته الحميّةُ ، وغلبت عليه الشِّقوة ، وتعزَّز بخلْقة النار ، واستوهن خلقَ الصَّلصال . فأعطاه الله النَّظِرَة[3] استحقاقاً للسُّخطة ، واستتماماً للبليّة ، وانجازاً للعِدَة ؛ فقال : إنّكَ مِن المُنظَرين الى يوم الوقت المعلوم .

ثمّ أسكن سبحانه آدم داراً أرغد فيها عيشه ، وآمَنَ فيها محلّته ، وحذّره إبليس وعداوته . فاغترّه عدوُّه نفاسةً عليه[4]

---

١ صلصلت : يبست اي صارت صلصالا .

٢ استأدى وديعته : طلب اداءها . والوديعة هنا عهده الى الملائكة بان يسجدوا لآدم .

٣ النظرة : الامهال .

٤ نفاسة عليه : اي حسداً له .

بدار المقام ومرافقة الابرار . فباع اليقين بشكّه ، والعزيمة بوهنه ، واستبدل بالجذل[1] وجلاً ، وبالاغترار ندماً . ثمّ بسط الله سبحانه له في توبته ، ولقّاه كلمة رحمته ، ووعده المردّ إلى جنّته .وأهبطه إلى دار البليّة ، وتناسل الذرّيّة .

واصطفى سبحانه مِن ولدِه أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم[2] وعلى تبليغ الرّسالة أمانتهم ، لمّا بدّل أكثرُ خلقِه عهدَ الله إليهم ؛ فجهلوا حقّه واتّخذوا الأندادَ[3] معه ، واجتالتهُمُ[4] الشياطينُ عن معرفتِه ، واقتطعتْهم عن عبادته . فبعث فيهم رُسلَه ، وواتر[5] إليهم أنبياءه ، ليستأدوهم ميثاقَ فِطرته[6] ، ويذكّروهم منسيَّ نعمتِه ، ويحتجّوا عليهم بالتّبليغ ، ويثيروا لهم دفائن العقول ، ويُروهم الآيات المقدّرة : من سقفٍ فوقهم مرفوع ، ومِهادٍ تحتَهم موضوع[7] ، ومعايش

---

١ الجذل : الفرح .

٢ اخذ على الوحي ميثاقهم : اي اخذ ميثاقهم على تبليغ وحيه .

٣ الانداد : الامثال ، اي جعلوا له امثالا يعبدونها .

٤ اجتالتهم : ادارتهم ، اي شغلتهم والهتهم .

٥ واتر : تابع ، او لا تكون المواترة الا اذا وقع بين الاشياء فترة .

٦ ميثاق الفطرة : هو عهد الله الى خلقه بان يعرفوه ، ويعبدوه دون غيره . فكأنه جعل في فطرتهم ادلة معرفته وتوحيده .

٧ السقف : اي السماء . المهاد : اي الارض .

تحبيهم ، وآجال تُفنيهم ، وأوصاب تُهرمُهم ، وأحداث تَتابعُ عليهم ؛ ولم يُخلِ سبحانه خلقَهُ مِن نبيٍّ مُرسل ، أو كتاب مُنزل ، أو حجَّة لازمة ، أو محجَّة[1] قائمة : رُسلٌ لا تُقصِّر بهم قلَّةُ عددهم ، ولا كثرةُ المكذِّبين لهم ، من سابق سُمِّي له مَن بعدَهُ ، أو غابرٍ عرَّفه مَنْ قبلَهُ .

علـى ذلك نُسلت القرون ، ومضتِ الدُّهور ، وسلفت الآباء ، وخلفتِ الأبناء ، إلى أن بعث الله سبحانه محمَّداً رسولَ الله ، صلى الله عليه وسلم ، لِإنجاز عِدَته[2] وتمام نبوَّتِه[3] ، مأخوذاً على النَّبيِّين ميثاقُهُ ، مشهورة سِماتُه[4] ، كريماً ميلاده ؛ وأهل الأرض يومئذٍ مِللٌ مُتفرِّقةٌ ، وأهواء مُنتشرة ، وطوائفُ مُتشتِّتة ، بين مُشبِّه للهِ بخلقهِ ، أو ملحدٍ في اسمِهِ ، أو مشيرٍ إلى غيرِه . فهداهم به منَ الضَّلالة ، وأنقذهم بمكانِه منَ الجهالةِ .

ثمَّ اختار سبحانه لمحمَّدٍ ، صلَّى الله عليه وسلَّم ، لقاءه ، ورضي له ما عنده ، وأكرمه عن دارِ الدُّنيا ، ورغِب بـه

١ المحجة : الطريق القويم الواضح .
٢ عدته : اي وعد الله بارساله .
٣ نبوته : الضمير يعود على الرسول .
٤ سماته : اي علاماته في كتب الانبياء السابقين .

عن مقارنةِ البلوى ؛ فقبَضه إليه كريماً ، صلّى الله عليه وآلهِ ، وخلَّف فيكمْ ما خلَّفتِ الأنبياء في أممِها ، إذ لم يترُكوهم هملًا ، بغير طريقٍ واضحٍ ، ولا علمٍ قائمٍ ، كتابَ ربِّكم فيكم ، مُبيِّناً حلالَهُ وحرامَه ، وفرائضَهُ وفضائلَه[1] ، وناسخَهُ ومنسوخَه[2] ، ورخصَهُ وعزائمَه[3] ، وخاصَّهُ وعامَّه ، وعِبرَهُ وأمثالَهُ ، ومرسَلهُ ومحدودَه[4] ، ومُحكَمه ومتشابهه[5] ، مفسِّراً مُجمله ، ومبيِّناً غوامضَهُ ، بين مأخوذٍ ميثاقُ في علمه ، وموسَّعٍ على العبادِ في جهلِه ؛ وبين مثبَتٍ في الكتابِ فرضُهُ ، ومعلومٍ في السُّنَّةِ نسخُه[6] ، وواجبٍ في

---

١ فضائله : اي نوافله ، يستحسن عملها ، ولا يجب كالفرائض .

٢ الناسخ من الآيات : ان ترد آية متأخرة ، فتزيل حكم آية متقدمة ، فالآية المتقدمة هي المنسوخة .

٣ الرخص : جمع الرخصة ، وهي ترخيص الله للعبد فيما يخففه عليه . العزائم: الواجبات ، واحدتها عزيمة .

٤ المرسل : المطلق . المحدود : المقيد .

٥ المحكم من الآيات : ما لا يحتاج سامعه الى تأويله لبيانه . المتشابه من الآيات : ما فيه التباس ، فلا يتلقى معناه من لفظه ، وهو على ضربين : احدهما اذا رد الى المحكم عرف معناه ، والآخر ما لا سبيل الى معرفة حقيقته .

٦ مثبت في الكتاب فرضه ، ومعلوم في السنة نسخه : قال ابن ابي الحديد : مثاله قوله تعالى « فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت » نسخ بما سنه عليه السلام من رجم الزاني المحصن .

السُّنَّةِ أخذُه ، ومرخَّصٍ في الكتابِ تركُه[1] ، وبين واجبٍ بوقتِه ، وزائلٍ في مستقبلِه[2]. ومبايَنٌ[3] بين محارمِه : من كبيرٍ أوعد عليه نيرانَه ، أو صغيرٍ أرصد له غفرانَه . وبين مقبولٍ في أدناه ، مُوَسَّعٍ في أقصاه[4].

---

١ واجب في السنة اخذه ، ومرخص في الكتاب تركه : قال الشيخ محمد عبده : المرخص في الكتاب تركه ما لم يكن منصوصاً على عينه ، بل ذكر في الكتاب ما يشمله وغيره كقوله : فاقرأوا ما تيسر منه . وقد عينته السنة بصورة مخصوصة في كل ركعة ، فوجب الاخذ بما عينته السنة .

٢ واجب بوقته ، وزائل في مستقبله : مثل صوم رمضان .

٣ مباين : اي هو مباين ، وليس معطوفاً على ما قبله ، لانه لا يحتمل ضدين كثيره مما مر قبله ، فيكون في القرآن مباين بين محارمه وغير مباين . والمراد انه مخالف بين محارمه ، فمنها الكبيرة التي اوعد الله عليها بالعقاب ، ومنها الصغيرة المغفورة .

٤ المقبول في ادناه ، الموسع في اقصاه : قال ابن ابي الحديد : مثل قوله : فاقرأوا ما تيسر منه ، فان القليل من القرآن مقبول ، والكثير منه موسع مرخص في تركه .

خطبة الاشباح [1]

وهي من جلائل خطب الامام ، وذلك ان رجلاً اتاه فقال : يا امير المؤمنين ، صف لنا ربنا مثل ما نراه عياناً ، لنزداد له حباً وبه معرفة. فغضب ونادى الصلاة جامعة ، فاجتمع اليه الناس حتى غص مسجد الكوفة باهله ، فصعد المنبر ، وهو مغضب متغير اللون ، فقال :

الحمدُ لله الذي لا يَفِرُهُ[2] المنع والجمودُ[3] ، ولا يُكْدِيهِ[4] الاعطاء والجودُ ، إذ كلُّ مُعطٍ مُنتقِصٌ سواه ، وكل مانعٍ مذمومٌ ما خلاه ، وهو المنّان بفوائد النِّعم ، وعوائدِ المزيد والقِسَمِ ، عِيالُه الخلقُ ، ضمِنَ أرزاقهم ، وقدَّر أقواتَهم ، ونهجَ سبيلَ الراغبين إليه ، والطالبين ما لديه ، وليس بما سُئل بأجودَ منه بما لم يُسأل . الاوَّلُ الذي لم يكن له قَبلٌ فيكونَ شيءٌ قبلَه ، والآخِرُ الذي ليس له بَعدٌ فيكونَ شيءٌ بعدَه . والرّادع أناسيَّ الابصارِ عن أن تنالَه أو تدركَه ،

---

١ الاشباح : اي الملائكة ، لان الخطبة تتضمن ذكرهم .

٢ يفره : يزيد في ماله .

٣ الجمود : اشد البخل .

٤ يكديه : يفقره .

ما اختلف عليه[1] دهرٌ فيختلفَ منه الحالُ ، ولا كانَ في مكانٍ فيجوزَ عليه الانتقالُ .

ولو وهبَ ما تنفّستْ عنه معادنُ الجبالِ ، وضحكتْ عنه أصدافُ البحارِ ، من فِلِزّ اللُّجَيْنِ والعِقْيانِ[2]، ونُثارةِ الدُّرّ وحصيدِ المرجانِ ، ما أثّر ذلك في جودهِ ، ولا أنفد سَعَةَ ما عنده ، ولكان عنده من ذخائرِ الإنعامِ ما لا تُنفده مطالبُ الانامِ ، لأنه الجوادُ الذي لا يَغيضه[3] سؤال السائلين ، ولا يُبخله إلحاحُ الملحّين .

فانظرْ أيها السائلُ ، فما دلّك القرآنُ عليه من صفتِهِ فأْتمَّ به ، واستضيء بنورِ هدايتهِ ، وما كلّفك الشيطانُ عِلمَه مما ليس في الكتاب عليك فرضُه ، ولا في سُنّةِ النبيّ، صلّى الله عليه وآله ، وأئمّةِ الهدى ، أثرُهُ ؛ فكِلْ عِلمَه إلى الله سبحانه ؛ فإنّ ذلك منتهى حقّ اللهِ عليك . واعلم أنّ الراسخين في العلم هم الذين أغناهم ، عن اقتحامِ السُّدَدِ[4] المضروبة دون الغيوبِ ، الاقرارُ بجملةِ ما جهلوا تفسيرَه من

---

[1] اختلف عليه : تردد عليه ، او تغير .

[2] الفلز : جواهر الارض . اللجين : الفضة . العقيان : الذهب الخالص.

[3] يغيضه : ينقصه.

[4] السدد : جمع سدة ، وهي الرتاج .

الغيبِ المحجوبِ . فمدح الله اعترافَهم بالعجزِ عن تناولِ ما لم يُحيطوا به عِلماً ، وسمّى تركَهم التّعمُّقَ فيما لم يُكلّفهم البحثَ عن كُنْهِهِ رُسوخاً ؛ فاقتصِرْ على ذلك ، ولا تُقدِّرْ عظمةَ الله سبحانه على قدْرِ عقلِك فتكونَ منَ الهالكينَ .

هو القادر الذي إذا ارتمتِ الأوهامُ لتُدركَ مُنقطَعَ[1] قدرتِهِ ، وحاول الفكرُ المبرَّأُ من خطراتِ الوَساوِسِ أنْ يقعَ عليه في عميقاتِ غُيوبِ ملكوتِهِ ، وتولّهتِ القلوبُ إليه لتجريَ في كيفيّةِ صِفاتِهِ ؛ وغمُضتْ مداخلُ العقولِ في حيث لا تبلغُهُ الصّفاتُ لتناوُلِ عِلْمِ ذاتِهِ ؛ ردَعها وهي تجوبُ مهاوِيَ سُدَفِ[2] الغُيوبِ مُتخلّصةً إليه، سبحانه، فرجَعتْ إذ جُبِهتْ مُعترفةً بأنه لا يُنالُ بِجَورِ الاعتساف[3] كُنْهُ معرفتِهِ ، ولا تخطرُ ببالِ أُولي الرَّوِيّاتِ خاطرةٌ منْ تقديرِ جلال عزّتِهِ .

الذي ابتدع الخَلقَ على غيرِ مثالٍ امتثله، ولا مقدارٍ احتذى عليه ، من خالقٍ معهودٍ كان قبلَه ، وأرانا منْ ملكوتِ قدرتِهِ ، وعجائبِ ما نطقتْ به آثارُ حكمتِهِ ، واعترافِ

---

١ المنقطع : المنتهى .

٢ السدف، جمع سدفة : قطعة الليل المظلم .

٣ الجور : العدول عن الطريق . الاعتساف : قطع المسافة على غير جادة .

الحاجةِ منَ الخلقِ إلى أن يُقيمَها بمَساكِ[1] قوّتِه ، ما دلّنا باضطرارِ قيام الحُجّةِ له على معرفتِه . وظهرتْ في البدائعِ التي أحدثها آثارُ صَنعتِه وأعلامُ حكمتِه ، فصار كلُّ ما خلق حجّةً له ودليلاً عليه . وإنْ كان خلقاً صامتاً فحُجّتُه بالتدبيرِ ناطقةٌ ، ودلالتُه على المبدعِ قائمةٌ .

وأشهد أنّ منْ شبَّهك بتبايُنِ أعضاءِ خلقكَ ، وتلاحُمِ حقاقِ مفاصلِهم المحتجبةِ[2] لتدبيرِ حكمتِكَ ، لم يعقِدْ غيبَ ضميرِه على معرفتِكَ ، ولم يباشرْ قلبُه اليقينَ بأنه لا نِدَّ لكَ . وكأنه لم يسمعْ تبرُّؤَ التّابعينَ منَ المتبوعينَ[3] إذ يقولونَ : تاللهِ إنْ كنّا لفي ضلالٍ مبينٍ ، إذ نُسوّيكمْ بربِّ العالمينَ . كذَبَ العادلونَ بكَ[4] إذ شبَّهوكَ بأصنامِهمْ ، ونحلوكَ حليةَ المخلوقينَ بأوهامِهمْ ، وجزّأوكَ تجزئةَ المجسّماتِ بخواطرِهم ، وقدّروكَ على الخِلقةِ المختلفةِ القوى بقرائحِ عقولِهم . وأشهدُ أنّ مَن ساواكَ بشيءٍ مِن خَلقكَ فقد عدل بكَ ، والعادلُ

---

١ المساك : ويكسر ، ما به يمسك الشيء ويعصم .
٢ الحقاق ، جمع حق بالضم : رأس العظم عند المفصل . المحتجبة : ورويت المحتجة .
٣ التابعين : اي الكفار الذين في النار . المتبوعين : الشياطين الذين اغووهم .
٤ العادلون بك : الذين جعلوا لك عديلاً ، اي نظيراً .

بكَ كافرٌ بما تنزّلت به محكماتُ آياتِك ، ونطقتْ عنه شواهدُ حججِ بيّناتِك ؛ وأنك[1] أنتَ اللهُ الذي لم تتناهَ[2] في العقولِ فتكونَ في مهبّ فكرها مُكيَّفاً ، ولا في رَويّاتِ خواطِرِها فتكونَ محدوداً مُصرَّفاً .

ومنها :

قدَّر ما خلق فألطفَ تقديرَه ، ودبّره فأحكمَ تدبيرَه ، ووجّهه لِوجهتِهِ فلم يتعدَّ حدودَ منزلتِه ، ولم يُقصّرْ دون الانتهاء إلى غايتِه ، ولم يستصعِبْ إذ أُمِرَ بالمُضيّ على إرادتِه[3] ؛ وكيف ، وإنما صدرتِ الأمورُ عن مشيئتِه ؟ المنشىء أصنافَ الأشياء بلا رويّةِ فِكرٍ آلَ[4] إليها ، ولا قريحةِ غريزةٍ أضمرَ عليها ، ولا تجربةٍ أفادها مِن حوادث الدُّهورِ ، ولا شريكٍ أعانه على ابتداعِ عجائبِ الأمورِ . فتمَّ خلقُه وأذعن لطاعتِه ، وأجاب إلى دعوتِه ، ولم يعترضْ دونَه ريثُ المبطىء[5] ولا

---

١ وأنك : اي واشهد أنك .

٢ لم تتناه : اي لم تكن محدوداً كالاشياء المتناهية ، لتحيط بك العقول .

٣ ارادته : اي ارادة الله .

٤ آل : رجع .

٥ دونه : أي دون خلقه . الريث : الابطاء .

أناةَ المتلكِّئ[1]. فأقام من الأشياء أَوَدَها[2]، ونهج حدودَها، ولاءمَ بقدرتِه بين متضادّها، ووصلَ أسبابَ قرائنِها[3]. وفرّقها أجناساً مختلفاتٍ في الحدودِ والأقدارِ والغرائزِ والهيئاتِ، بدايا[4] خلائقَ أحكمَ صُنعَها، وفطرها على ما أراد وابتدعها.

منها في صفة السماء:

ونظمَ بلا تعليقٍ رهَواتِ فُرجِها[5]، ولاحمَ صُدوعَ انفراجِها، ووشّجَ بينها وبين أزواجِها[6]. وذلّلَ للهابطينَ بأمرِه، والصّاعدينَ بأعمالِ خلقِه، حُزُونَةَ معراجِها[7].

---

١ الأناة: الانتظار.

٢ اودها: اعوجاجها.

٣ الاسباب: الحبال. القرائن: النفوس، اي وصل حبال النفوس المفارقة للمادة بالاجسام المادية.

٤ بدايا: جمع بديء، اي مصنوع.

٥ رهوات: جمع رهوة، وهي المكان المرتفع والمنخفض، من الاضداد. الفرج، جمع فرجة: المكان الخالي.

٦ وشج: شبك. ازواجها: اقرانها واشباهها.

٧ الحزونة: ضد السهولة.

ناداها بعد إذ هي دُخانٌ فالتحمتْ عُرى أشراجِها[1] . وفتقَ بعد الارتتاق صوامتَ أبوابِها[2] ، وأقام رصَداً من الشُّهبِ الثَّواقِبِ على نِقابِها[3] . وأمسكها مِن أن تمورَ في خَرق الهواء بأيْدِهِ[4] ، وأمرها أنْ تقفَ مُستسلمةً لأمرِه ، وجعل شمسَها آيةً مبصرةً لنهارِها ، وقمرَها آيةً ممحوَّةً مِن ليلِها[5] ، فأجراهما في مناقلِ مجراهما ، وقدَّر سيرهما في مدارجِ درَجِهما ، ليميِّزَ بين الليلِ والنهارِ بهما ، وليُعلم عددُ السِّنين والحسابُ بمقاديرِهما . ثمَّ علَّق في جوِّها فلكها، وناط بها زينتَها : مِن خفيَّاتِ دراريِّها[6] ومصابيحِ كواكبِها؛ ورمى مُسترِقي السَّمعِ بثواقبِ شُهُبِها[7] . وأجراها على

---

١ الاشراج : جمع شرج بالتحريك ، وهو العروة .

٢ صوامت : اي لا فراغ فيها .

٣ النقاب : جمع نقب ، وهو الخرق .

٤ تمور : تتحرك وتضطرب . خرق الهواء : هبوبه . بأيده : بقوته .

٥ ممحوة : لان القمر يغيب في بعض الليالي ، ويمحق في بعضها الآخر . وهذا وما قبله في كلامه على الشمس ، مأخوذان من القرآن .

٦ الدراري : الكواكب .

٧ الثواقب : الشديدة الاضاءة والتلألؤ . يشير الى ما ذكر القرآن من ان الشياطين يقذفون بالشهب من كل جانب ، اذا حاولوا الاستماع الى الملأ الاعلى .

أذلال تسخيرها[1] من ثبات ثابتها ، ومسير سائرها ، وهبوطها وصعودها ، ونحوسها وسعودها[2] .

ومنها في صفة الملائكة :

ثمّ خلق سبحانه لإسكان سمواته ، وعمارة الصّفيح الأعلى[3] من ملكوته ، خلقاً بديعاً من ملائكته ، ملأ بهم فروج فجاجها ، وحشا بهم فتوق أجوائها . وبين فجوات تلك الفروج زجل المسبّحين منهم في حظائر القدس ، وسترات الحجب ، وسرادقات المجد . ووراء ذلك الرّجيج الذي تستكّ منه الأسماع سبحات[4] نور تردع الأبصار عن بلوغها ، فتقف خاسئة على حدودها .

أنشأهم على صور مختلفات وأقدار متفاوتات ؛ أولي

---

١ على أذلال تسخيرها : اي على طرقه ووجوهه . واحدها ذل بالكسر ، وهو محجة الطريق .

٢ نحوسها وسعودها : للامام حديث يجعل فيه المنجم في النار كالكافر ، فهو على ذلك ينكر ان يكون للنجوم تأثير نحس او سعد في الامور الجزئية كالمواليد والاسفار ونحوها . والظاهر انه اراد هنا تأثيرها الطبيعي الكلي في القحط والمطر والبرد والحر كما نبه على ذلك ابن ابي الحديد .

٣ الصفيح الاعلى : اي سطح الفلك الاعظم .

٤ السبحات : اضواء وجه الله ، ومحاسنه وجلاله .

أجنحةٍ تسبّح جلالَ عزّتِه ، لا ينتحلون ما ظهر في الخلقِ مِن صنعتِه ، ولا يدّعون أنهم يخلقون شيئاً ممّا انفرد به ، بل عِباد مُكرَمون «لا يسبقونه بالقولِ وهم بأمرِه يعملون».

جعلهم فيما هنالك أهلَ الأمانةِ على وحيه ، وحمّلهم إلى المرسلين ودائعَ أمرِه ونهيِه ، وعصمهم مِن رَيبِ الشُّبهات ، فما منهم زائغٌ عن سبيلِ مَرضاتِه . وأمدّهم بفوائد المعونةِ ، وأشعر قلوبَهم تواضُع إخباتِ[1] السَّكينةِ ، وفتح لهم أبواباً ذُللاً إلى تماجيدِه ، ونصب لهم مناراً واضحةً على أعلامِ توحيدِه[2] . لم تُثقلهم مُوصِراتُ[3] الآثامِ ، ولم ترتحلهم عُقَبُ[4] اللّيالي والأيامِ . ولم ترمِ الشُّكوكُ بنوازعِها عزيمةَ إيمانهم ، ولم تعترِكِ الظُّنونُ على معاقدِ يقينِهم ، ولا قدحت قادحةُ الإحَنِ[5] فيما بينهم ، ولا سلبتهم الحَيرةُ ما لاق مِن معرفتِه بضمائرِهم ، وما سكن من عظمتِه وهَيبةِ جلالتِه في أثناء

---

١ الاخبات : الخضوع والخشوع .

٢ المنار : جمع منارة ، وهي موضع النور . الاعلام : جمع علم ، وهو الجبل ، والمنصوب في الطريق يهتدى به ، وكلاهما صالح لاداء المعنى .

٣ الموصرات : المثقلات .

٤ ترتحلهم : اي تركبهم . العقب : جمع عقبة ، وهي النوبة ، اي التعاقب والتناوب .

٥ الاحن . جمع احنة ، وهي الحقد والضغينة .

صدورِهم . ولم تطمعْ فيهمُ الوساوسُ فتقترعَ إيرَينِها[1] على فكرِهِم .

منهم مَن هو في خلقِ الغمامِ الدُّلَّح[2]، وفي عِظَمِ الجبالِ الشُّمَّخِ ، وفي قَتَرةِ الظَّلامِ الأيهمِ[3]. ومنهم مَن خرقت أقدامُهم تُخومَ الأرضِ السُّفلى ، فهي كراياتٍ بيضٍ قد نفذت في مخارقِ الهواء، وتحتها ريحٌ هفَّافةٌ[4] تحبِسُها على حيث انتهت مِن الحدودِ المتناهيةِ . قدِ استفرغَتهم أشغالُ عبادتِه، ووصلتْ حقائقُ الايمانِ بينهم وبين معرفتِه . وقطعَهم الايقانُ به إلى الولهِ إليه ، ولم تجاوزْ رغباتُهم ما عندهُ إلى ما عندَ غيرِه . قد ذاقوا حلاوةَ معرفتِهِ ، وشربوا بالكأسِ الرَّويَّةِ[5] مِن محبَّتِه ، وتمكَّنتْ مِن سُوَيداءِ[6] قلوبِهم وشيجةُ[7] خيفتِه، فحنَوا بطولِ الطَّاعةِ اعتدالَ ظهورِهم ، ولم يُنفِد طولُ الرَّغبةِ إليه مادَّةَ تضرُّعِهم ، ولا أطلق عنهم عظيمُ الزُّلفةِ

---

١ تقترع : أي تضرب القرعة .الرين : الدنس والغلبة .

٢ الدلح ، جمع دالح : السحاب اثقله الماء .

٣ القترة : الغبرة والسواد . الايهم : الذي لا يهتدى فيه .

٤ ريح هفافة : طيبة ساكنة .

٥ روية : كثيرة الماء تروي العطش .

٦ السويداء : حبة القلب .

٧ الوشيجة : عرق الشجرة ، وهي هنا على الاستعارة .

ربَق[١] خشوعِهم ، ولم يتولَّهم الاعجابُ فيستكثروا ما سلَفَ منهم ، ولا تركت لهم استكانةُ الاجلالِ نصيباً في تعظيم حسناتِهم . ولم تجرِ الفتراتُ فيهم على طولِ دؤوبهم ، ولم تَغِضْ[٢] رغباتُهُم فيخالفوا عن رجاء ربّهم ، ولم تجِفّ لطولِ المناجاةِ أسَلاتُ[٣] ألسنتِهم ، ولا ملكتهم الأشغالُ فتنقطعَ بهمسِ الجُؤارِ[٤] إليه أصواتُهم، ولم تختلفْ في مقاومِ الطاعة مناكبُهم ، ولم يثنوا إلى راحةِ التقصيرِ في أمرِه رقابهم . ولا تعدُو على عزيمةِ جِدّهم بلادةُ الغفلاتِ ، ولا تنتَضِلُ[٥] في هِمَمِهم خدائعُ الشهوات .

قدِ اتَّخذوا ذا العرشِ ذخيرةً ليوم فاقتهم ؛ ويمّموه ، عند انقطاعِ الخَلْقِ إلى المخلوقين ، برَغبتِهم .لا يقطعون أمدَ غايةِ عبادتِه ، ولا يرجع بهم الاستهتار[٦] بِلزومِ طاعتِه ، إلا إلى موادَّ مِن قلوبهم غيرِ منقطعةٍ من رجائِه ومخافتِه . لم

---

١ الربق : جمع ربقة ، وهي عروة الحبل يشد بها .

٢ لم تغض : لم تنقص .

٣ الاسلات : اطراف الالسنة ، واحدتها اسلة .

٤ الجؤار : الصوت المرتفع بالدعاء .

٥ تنتضل : تتبارى ، وتتفاخر .

٦ الاستهتار : الولع والملازمة .

تنقطعُ أسبابُ الشفقةِ منهم فينوا في جِدِّهم ، ولم تأسرهم الأطماعُ فيؤثروا وشيكَ[1] السّعيِ على اجتهادهم . ولم يستعظموا ما مضى مِن أعمالهم ؛ ولو استعظموا ذلك لنَسَخ الرّجاءَ منهم شفقات[2] وجَلِهم . ولم يختلفوا في ربّهم باستحواذِ الشّيطانِ عليهم ، ولم يفرّقهم سوء التّقاطعِ ، ولا تولاّهم غِلُّ التّحاسُد . ولا شعّبتهم[3] مصارفُ[4] الرِّيَب ، ولا اقتسمتهم أخيافُ الهِمَمِ[5] ؛ فهم أسراء إيمانٍ لم يفكّهم من ربقَتِه زَيْغٌ ، ولا عُدولٌ ، ولا ونًى ، ولا فتورٌ . وليس في أطباق السّماء موضعُ إهابٍ[6] إلاّ وعليه ملَكٌ ساجدٌ ، أو ساعٍ حافدٌ[7] ؛ يزدادون على طولِ الطّاعةِ بربّهم عِلماً ، وتزدادُ عِزّةُ ربّهم في قلوبهم عِظَماً .

---

١ الوشيك : السريع القريب الحصول .

٢ الشفقات : جمع شفقة ، وهي الحذر والخوف والحرص .

٣ شعبتهم : فرقتهم .

٤ المصارف : اي الطرق ، يقال مصارف الطرق ، اي اماكن التصرف فيها .

٥ اخياف الهمم : اي مختلفاتها .

٦ الاهاب : جلد الحيوان ، والمراد موضع جلد يبسط عليه .

٧ ساع : اي ساع الى ذكر الله . حافد : مسرع .

ومنها في صفة الأرض ودحوها على الماء [١] :

كبسَ الأرضَ [٢] على مَورِ [٣] أمواجٍ مستفحِلة ، ولججِ بحارٍ زاخرةٍ ؛ تلتطمُ أواذيُّ [٤] أمواجِها ، وتصطفِقُ متقاذفاتُ أثباجِها [٥] ، وترغو زبَداً كالفحولِ عند هياجها . فخضع جِماحُ الماء المتلاطمِ لِثِقَلِ حَملِها ، وسكن هَيجُ ارتمائه اذ وطئته بكلكلِها . وذلَّ مستخذياً إذ تمعَّكت [٦] عليه بكواهلِها . فأصبح بعد اصطِخابِ أمواجِه ساجياً [٧] مقهوراً ، وفي حَكَمَةِ [٨] الذُّلِّ مُنقاداً أسيراً . وسكنتِ الأرضُ مَدحوّةً في لجّةِ تيّارِه ، وردَّت مِن نخوة بأوِه [٩] واعتلائه ، وشموخ أنفِه

١ دحوها : بسطها .

٢ كبس الارض : اي طمها بالتراب .

٣ المور : التحرك ذهاباً ومجيئاً .

٤ الاواذي : الامواج الشديدة .

٥ اثباجها : اي اعالي امواجها .

٦ تمعكت : تمرغت .

٧ ساجياً : ساكناً .

٨ الحكمة : ما احاط من اللجام بحنك الفرس .

٩ بأوه : كبرياؤه وزهوه .

وسموّ غلوائه . وكعمَه[1] على كِظّةِ[2] جِريتِه فهمد بعد نزَقاته ، ولبَد بعد زيَفانِ[3] وثباته .

فلما سكن هياجُ الماء مِن تحت أكنافها[4] ، وحَمْلِ شواهقِ الجبالِ الشُمَّخِ البُذَّخِ[5] على أكتافِها ، فجّر ينابيعَ العيونِ مِن عَرانينِ أنوفِها[6] ، وفرّقها في سهوب[7] بيدِها وأخاديدها ، وعدّل[8] حركاتها بالرّاسيات من جلاميدها ، وذوات الشّناخيب الشُمّ من صياخيدها[9] . فسكنَت من الميَدان لرسوب الجبال في قِطَع أديمِها[10] ، وتغلغُلِها متسرِّبةً

---

١ كعمته : شدت فمه .

٢ الكظة : ما يعرض من الثقل عند امتلاء البطن بالطعام ، والمراد هنا ثقل امتلاء البحر بالماء والامواج .

٣ لبد : اي لصق ساكناً وثبت . الزيفان : التبختر في المشي .

٤ اكنافها : جوانبها .

٥ البذخ : بمعنى الشمخ ، اي العالية الشاهقة .

٦ العرانين : جمع عرنين ، وهو اعلى الانف اي ما صلب من عظمه . والمراد بالعرانين اعالي الجبال . الانوف : ثنايا الجبال ، اي عقباتها . والضمير يعود على الارض .

٧ السهوب : الفلوات .

٨ عدل الشيء : اقام ميله ليعتدل .

٩ الشناخيب : رؤوس الجبال . الصياخيد : الصخور الصلاب .

١٠ الاديم : وجه الارض . وقطعه : اجزاؤه .

في جوبات خياشيمها[1] ، وركوبها أعناقَ سهولِ الأرَضِينَ وجراثيمِها [2] . وفسح بين الجوّ وبينها ، وأعدَّ الهواء متنسَّماً لساكنها ، وأخرج إليها أهلَها على تمام مرافقِها [3] . ثمَّ لم يدعْ جُرُزَ الأرضِ [4] التي تقصُرُ مياهُ العيون عن روابيها ، ولا تجدُ جداولُ الأنهارِ ذريعةً إلى بلوغِها ؛ حتى أنشأ لها ناشئةَ سحابٍ تحيي مَواتها ، وتَستخرجُ نباتها . ألّف غمامها بعد افتراقِ لُمَعِه[5] وتباينِ قَزَعِه[6] ؛ حتى إذا تمخّضت لجّةُ المُزنِ[7] فيه ، والتمع برقُه في كُففِه[8] ، ولم ينمْ وميضُه في كَنَهْور رَبابِه[9] ، ومتراكمِ سحابِه ، أرسله سَحّاً مُتدارِكاً ، قد أسفّ

---

١ الجوبات : جمع جوبة ، وهي الحفرة . وخياشيم الارض : استعارة .

٢ جراثيم الارض : التراب المجتمع في اصول الشجر ، والذي لا تسفيه الريح.

٣ المرافق : ما يستعان وينتفع به في التعيش والسكنى .

٤ جرز الأرض : اي التي لا نبات فيها ، لان الماء لا يصيبها .

٥ لمع الغمام : اي قطعه ، جمع قطعة .

٦ قزع الغمام : قطعه الرقيقة .

٧ المزن : السحاب ذو الماء .

٨ كففه : حواشيه وحروفه .

٩ الكنهور : السحاب العظيم المتراكم . الرباب : السحاب الابيض ، او السحاب المتعلق الذي تراه كأنه دون السحاب .

هيدبه[1]، تمريه[2] الجَنُوب دِررَ أهاضيبه[3] ، ودُفَع شآبيبه[4] .

فلمّا ألقت السَّحاب بَرْكَ بوانيها[5]،وبَعاع ما استقلت به[6] من العِبء المحمول عليها ، أخرج به من هوامِدِ الأرضِ النَّباتَ ، ومن زُعر الجبال[7] الأعشابَ ؛ فهي تَبهج بزينة رياضها ، وتزدهي بما أُلبِسَته من رَيْطِ[8] أزاهيرها ، وحليةِ ما سُمِّطَت به من ناضرِ أنوارها[9] . وجَعل ذلك بلاغاً للأنامِ ورزقاً للأنعام[10]. وخرَّق الفِجاج في آفاقها ، وأقام المنار[11] للسّالكين على جوادِّ[12] طُرقِها .

---

١ الهيدب : السحاب المتدلي .

٢ تمريه : تستدره ، من مرى الناقة : مسح ضرعها لتدر .

٣ الدرر : جمع درة بالكسر : اللبن وكثرته ، وهي هنا على الاستعارة. اهاضيبه : امطاره .

٤ الدفع : دفقات المطر ، واحدتها دفعة بالضم . الشآبيب : دفع الامطار الشديدة .

٥ البرك : ما ولي الارض من جلد صدر البعير . البواني : اضلاع الزور. يقال : القى بوانيه ، اي اقام وثبت .

٦ البعاع : ثقل السحاب بالمطر . استقلت به : رفعته .

٧ زعر الجبال : اي القليلة النبات .

٨ الريط : الثياب الرقيقة اللينة ، واحدتها ريطة .

٩ سمطت به : اي قلدت به . الانوار : الازهار .

١٠ الانعام : الابل .

١١ المنار : العلامات التي يهتدى بها في الطرق ، واحدتها منارة .

١٢ الجواد : جمع الجادة ، وهي معظم الطريق .

فلمّا مَهَدَ أرضَهُ ، وأنفذ أمرَهُ ، اختار آدم ، عليه السلامُ ، خِيرةً من خلقه ، وجعله أوّل جِبِلَّته ، وأسكنه جنّته ، وأرغد فيها أُكْلَهُ [1] ، وأوعز اليه فيما نهاه عنه ، وأعلمه أنّ في الإقدام عليه التّعرُّضَ لمعصيته ، والمخاطرةَ بمنزلته . فأقدَم على ما نهاه عنه ، مُوافاةً لسابق علمه [2] ، فأهبطه بعد التّوبة ، ليعمُرَ أرضَه بنسله ، وليقيمَ الحجّةَ به على عباده . ولم يُخلِهِم ، بعد أن قبضه [3] ، ممّا يؤكّدُ عليهم حُجّةَ ربوبيّته ، ويصلُ بينهم وبين معرفته ، بل تعاهدهم بالحجج على ألسُن الخِيرة من أنبيائه ومتحمّلي ودائعِ رسالاته ، قرناً فقرناً ؛ حتى تمت بنبيّنا محمّدٍ ، صلّى الله عليه وآله وسلّم ، حُجّتُهُ ، وبلغ المقطعَ عُذْرُهُ ونُذُرُهُ [4] .

وقدّر الأرزاقَ فكثّرها وقلّلها ، وقسّمها على الضّيق

---

١ اكله : رزقه.

٢ موافاة لسابق علمه : اي اقدم على المعصية ، فوافى بها موافاة العلم الالهي السابق .

٣ قبضه : توفاه .

٤ المقطع : اي النهاية . نذره : بمعنى انذاره .

والسَّمة ، فعدَّل فيها ليبتليَ من أراد بميسورها ومعسورها ، وليختبرَ بذلك الشكرَ والصبرَ من غنيِّها وفقيرِها . ثمّ قرن بسعتِها عقابيلَ[1] فاقتِها ، وبسلامتِها طوارقَ آفاتِها ، وبفُرَجِ أفراحِها غُصصَ أتراحِها . وخلقَ الآجالَ فأطالها وقصَّرها ، وقدَّمها وأخَّرها ، ووصل بالموت أسبابها[2]، وجعله خالجاً لِأشطانها[3] ، وقاطعاً لمرائر أقرانها[4] .

---

١ العقابيل : العلل والشدائد .

٢ الاسباب : الحبال .

٣ خالجاً : جاذباً . اشطانها : حبالها .

٤ المرائر : الحبال المفتولة . اقرانها : حبالها .

بديع خلقة الخفاش[1]

الحمدُ لله الذي انحسرتِ[2] الأوصافُ عن كُنهِ معرفته، وردعت عظمتُه العقولَ فلم تجدْ مساغاً إلى بلوغ غايةِ ملكوته. هو الله الملِكُ الحقُّ المبينُ، أحقُّ وأبينُ مما تراه العيونُ. لم تبلُغهُ العقولُ بتحديدٍ فيكونَ مُشبَّهاً، ولم تقعْ عليه الأوهامُ بتقديرٍ فيكونَ ممثّلاً. خلق الخلقَ على غيرِ تمثيلٍ، ولا مشورةِ مشيرٍ، ولا معونةِ مُعينٍ، فتمّ خَلقُه بأمرِه، وأذعن لطاعته فأجاب ولم يدافِع، وانقاد ولم ينازِع.

ومن لطائف صنعته، وعجائب حكمتِه، ما أرانا من غوامضِ الحكمةِ في هذه الخفافيشِ التي يقبِضُها الضياء الباسط لكلّ شيء، ويَبسُطها الظّلام القابض لكلّ حيٍّ، وكيف عَشِيَت أعينُها عن أن تستمدَّ من الشمسِ المضيئةِ نوراً تهتدي به في مذاهبِها، وتصلَ بعلانيةِ برهانِ الشمس إلى معارفِها.

---

١ الخفاش: الوطواط.

٢ انحسرت: كلت وأعيت.

وردعها تلألؤ ضيائها عن المضيّ في سُبحات[1] إشراقها، وأكنّها في مكامنها عن الذهاب في بلج ائتلاقها ، فهي مسدلةُ الجفون بالنهار على أحداقها ، وجاعلةُ الليل سراجاً تستدلُّ به في التماس أرزاقها . فلا يردُّ أبصارها إسداف[2] ظُلمتِه ، ولا تمتنع من المضيّ فيه لغسق دُجُنّته . فإذا ألقت الشمسُ قناعها وبدت أوضاحُ نهارها، ودخل من إشراق نورها على الضِباب في وِجارها[3]، أطبقتِ الأجفانَ على مآقيها وتبلغت بما اكتسبت من فيء[4] ظُلَم لياليها . فسبحان من جعل الليلَ لها نهاراً ومعاشاً ، والنهارَ سكناً وقراراً ، وجعل لها أجنحةً من لحمها تعرجُ بها عند الحاجة إلى الطيران كأنها شظايا الآذان[5] غيرَ ذواتِ ريشٍ ولا قصبٍ[6] . إلاّ أنك ترى مواضعَ العُروقِ بيّنةً أعلاماً[7]، لها جناحان لم يَرِقّا

---

١ السبحات : الاضواء ، والجلال .

٢ الاسداف : اظلام الليل .

٣ الضباب : جمع الضب ، وهو حيوان يشبه فرخ التمساح ، وذنبه كثير العقد كذنبه . الوجار : الجحر .

٤ تبلغت : اقتاتت . الفيء : الغنيمة .

٥ تعرج : ترتقي . الشظايا : جمع شظية ، وهي كل فلقة من شيء .

٦ القصب : جمع قصبة ، وهي التي بنيت عليها ريش الجناح .

٧ اعلاماً : رسوماً كرسوم الثوب .

فينشقّا ، ولم يغلُظا فيثقُلا . تطير وولدُها لاصقٌ بها ، لاجيء
إليها . يقعُ إذا وقعتْ ، ويرتفعُ اذا ارتفعتْ ، لا يفارقُها
حتى تشتدّ أركانُه ، ويحمِلَه للنُّهوض جَناحُه ، ويعرف مذاهب
عيشهِ ومصالحَ نفسِهِ . فسبحان الباريء لكلّ شيء على غيرِ
مثالٍ خلا مِن غيرِه[1] .

[1] خلا : مضى وسلف .

عجيب خلقة الطاووس

ابتدعهم خَلقاً عجيباً من حيوانٍ ومَواتٍ ، وساكنٍ وذي حركاتٍ ؛ فأقام مِن شواهدِ البيّناتِ على لطيفِ صنعتِهِ ، وعظيمِ قدرتِهِ ، ما انقادتْ له العقولُ معترفةً به ، ومسلّمةً له . ونَعقتْ[١] في أسماعِنا دلائلُه على وَحدانيّتِه ، وما ذرأ[٢] مِن مختلفِ صورِ الأطيارِ التي أسكنَها أخاديدَ الأرضِ ، وخُروقَ فِجاجِها ، ورواسيَ أعلامِها ، من ذاتِ أجنحةٍ مختلفةٍ ، وهيئاتٍ متباينةٍ ، مُصرّفةٍ في زِمامِ التّسخيرِ[٣] ومرفرفةٍ بأجنحتِها في مخارقِ الجوِّ المُنفسحِ والفضاء المنفرج . كوّنها بعد أن لم تكن في عجائبِ صُوَرٍ ظاهرةٍ ، وركّبها في حِقاقِ مفاصلَ محتجبةٍ[٤] ، ومنع بعضَها بِعَبالَةِ[٥]

---

١ نعقت : صاحت بنا ، من قولهم : نعق بغنمه ، اي صاح بها وزجرها .

٢ ذرأ : خلق.

٣ في زمام التسخير : اي مسخرة لما خلقها من اجله .

٤ الحقاق : جمع حق بالضم وهو مجمع المفصلين من الاعضاء . محتجبة : اي محتجبة بالجلد واللحم .

٥ العبالة : ضخامة الجسد .

خَلقه أن يسموَ في السماء خُفوفاً[1] ، وجعله يَدِفُ دفيفاً[2] . ونسقها على اختلافها في الأصابيغِ ، بلطيفِ قدرتِه ، ودقيقِ صَنعتِه ، فمنها مغموسٌ في قالبِ لونٍ لا يشوبُه غيرُ لونِ ما غُمسَ فيه ؛ ومنها مغموسٌ في لونِ صِبْغٍ قد طُوّق بخلافِ ما صُبغَ به .

ومن أعجَبِها خَلقاً الطّاووسُ الذي أقامه في أحكمِ تعديلٍ ، ونضّد ألوانَه في أحسنِ تنضيدٍ ، بجَناحٍ أشرجَ قصبهُ[3] ، وذنبٍ أطال مسحبَهُ ، إذا دَرج إلى الأنثى نشرهُ من طيّه ، وسما به مُظِلاً على رأسِه ، كأنه قِلعُ داريٍّ عَنَجَهُ[4] نوتيُّهُ . يختالُ بألوانِه ، ويميسُ بزَيفانِه[5] .

تخالُ قصبهُ مَداريَ[6] مِن فضّةٍ ، وما أُنبِتَ عليه ، من

---

١ الخفوف : سرعة الحركة .

٢ الدفيف من الطائر : مره فويق الارض ، او ان يحرك جناحيه ،ورجلاه في الأرض .

٣ اشرج الشيء : ادخل بعضه في بعض . القصب : الريش .

٤ داري : اي سفين او تاجر منسوب الى دارين ، وهي فرضة بالبحرين ، مشهورة بتجارة المسك وسوقه في البحر . عنجه : جذبه .

٥ زيفانه : تبختره .

٦ المداري : جمع مدراة ، وهي اداة من حديد او خشب كالمسلة تسرح بها المرأة شعرها .

عجيبِ داراتِه وشُموسِه ،خالصَ العِقيانِ وفِلَذَ الزَّبرجَدِ[1] .
فإنْ شَبَّهتَه بما أنبتتِ الأرضُ قلتَ : جَنَى جُنِيَ من زهرةِ كلِّ ربيعٍ ؛ وإنْ ضاهيتَه بالملابسِ فهُو كمَوشِيِّ الحُللِ أو مُونقِ عصْبِ[2] اليمنِ ؛ وإن شاكَلتَه بالحُليِّ فهو كفُصوصٍ ذاتِ ألوانٍ قد نُطِّقَتْ بالُّجَينِ[3] المكلَّلِ . يمشي مشيَ المَرِحِ المختالِ ، ويتصفّحُ ذنبَه وجناحيه ، فيُقهقِهُ ضاحكاً لِجمالِ سِربالِه ، وأصابيغِ وِشاحِه .

فإذا رمى ببصرِه إلى قوائمِه ، زَقَا مُعْوِلاً بصوتٍ يكادُ يُبينُ عن استغاثتِه ، ويشهدُ بصادقِ توجُّعِه ؛ لأنَّ قوائمَه حُمْشٌ كقوائمِ الدِّيكةِ الخِلاسِيَّةِ[4] ، وقد نجمتْ من ظُنبُوبِ ساقِه صِيصيَةٌ خفيّةٌ[5] ، وله في موضعِ العُرفِ قُنْزُعةٌ[6] خضراءُ مُوَشَّاةٌ ، ومَخرَجُ عُنُقِه كالإبريقِ ؛

---

١ الدارات : هالات القمر .العقيان : الذهب . الفلذ : القطع ، جمع قطعة.

٢ العصب : ضرب من البرود اليمانية المنقوشة .

٣ نطقت : جعل لها نطاق . اللجين : الفضة .

٤ حمش : دقيقة . الديكة الخلاسية : هي المتولدة من جنسين ، هندي وفارسي .

٥ نجمت : ظهرت . الظنبوب : حرف الساق ، وهو العظم اليابس في الاسفل . الصيصية : شوكة تكون في رجل الديك .

٦ القنزعة : الخصلة من الشعر تترك على رأس الصبي ، او هي ما ارتفع من الشعر ، استعارها للطاووس .

ومغرزُها إلى حيث بطنُهُ كصبغِ الوسمةِ[١] اليمانيةِ ، أو كحريرةٍ مُلبسةٍ مرآةً ذاتَ صقالٍ . وكأنه مُلَفَّعٌ بمعجرٍ أسحمَ[٢] ، إلاّ أنه يُخَيَّلُ لكثرة مائه وشدّة بريقهِ أنَّ الخُضرةَ النّاضرةَ ممتزجةٌ به . ومعَ فتْقِ سمعهِ خطٌّ كَمُسْتَدَقِّ القلمِ في لونِ الأقحُوان ، أبيضُ يقَقٌ[٣] ، فهو ببياضهِ في سوادِ ما هنالك يأتلِقُ . وقلّ صبغٌ إلاّ وقد أخذ منه بقِسطٍ ، وعلاه بكثرةِ صِقالهِ وبَريقهِ وبصيصِ ديباجهِ ورونقهِ . فهو كالازاهيرِ المبثوثةِ لم تُرَبِّبْها أمطارُ ربيعٍ ولا شُموسُ قيظ . وقد ينحسرُ[٤] مِن ريشهِ ويَعرى من لباسهِ فيسقُطُ تترى[٥] ، وينْبُتُ تِباعاً ، فينحتُّ من قصبهِ انحِتاتَ أوراقِ الأغصانِ ، ثمّ يتلاحق نامياً حتى يعودَ كهيئتهِ قبل سقوطهِ ، لا يخالفُ سالفَ ألوانهِ ، ولا يقعُ لونٌ في غير مكانهِ . وإذا تصفّحتَ شعرةً من شعراتِ قصبهِ أرتكَ حُمرةً ورديّةً ، وتارةً خُضرةً زبرجديّةً ، وأحياناً صُفرةً

---

١ الوسمة : نبات يخضب بورقه ، او هو ورق النيل .

٢ المعجر : ثوب تشده المرأة على رأسها وعنقها . اسحم : اسود .

٣ الاقحوان : نبات له زهر ابيض في وسطه كتلة صغيرة صفراء ، واوراق زهره مفلجة صغيرة تشبه بها الاسنان . يقق : شديد البياض .

٤ ينحسر : ينكشف .

٥ تترى : اي شيئاً بعد شيء .

عَسجَديَّة[1]. فكيف تصلُ إلى صِفةِ هذا عمائقُ الفِطنِ ، أو تبلغهُ قرائحُ العقولِ ، أو تستنظِمُ وصفَه أقوالُ الواصفين؟ وأقلُّ أجزائه قد اعجز الاوهامَ أن تدركَه ، والألسنةَ أن تَصفَه . فسبحان الذي بهرَ العقولَ عن وصفِ خلقٍ جَلاَّهُ للعيونِ فادركَتْه محدوداً مُكوَّناً ، ومؤلَّفاً ملوَّناً ؛ وأعجز الألسنَ عن تلخيصِ صفتِه وقعدَ بها عن تأديةِ نعتِه ! وسبحان مَن أدمج قوائمَ الذَّرَّةِ والهمَجَةِ[2] إلى ما فوقَها من خَلق الحيتانِ والفِيَلةِ ؛ ووَأى[3] على نفسِه أن لا يضطربَ شبحٌ مما أولج فيه الرُّوح إلا وجعلَ الحِمام موعِدَه والفناء غايتَه .

---

١ عسجدية : ذهبية .

٢ الهمجة : ذبابة صغيرة كالبعوض تسقط على وجوه الغنم والحمر واعينها .

٣ وأى : وعد .

عجيب خلق أصناف من الحيوانات

ولو فكّروا في عظيمِ القُدرةِ وجسيم النّعمة لرجَعوا إلى الطّريقِ ، وخافوا عذابَ الحريق ، ولكنْ القلوبَ عليلةٌ ، والبصائرَ مدخولةٌ ! ألا ينظُرونَ إلى صغيرِ ما خَلقَ كيف أحكم خَلقَه ، وأتقن تركيبَه ، وفلقَ له السّمعَ والبصرَ ، وسوّى له العظمَ والبَشَر[1] ؟ !

أُنظروا إلى النّملةِ في صِغَرِ جثّتِها ، ولطافةِ هيئتِها ، لا تكادُ تُنالُ بلحظ البصرِ ، ولا بمُستدرَكِ الفكَرِ ، كيف دبّت على أرضِها ، وصبّت[2] على رزقِها ! تَنقلُ الحبّةَ إلى جُحرِها ، وتُعدُّها في مُستقرّها ؛ تجمعُ في حرّها لبردها ، وفي وُرُودِها لصدَرِها . مكفولةٌ برزقِها ، مرزوقةٌ بوَفقِها[3] ، لا يُغفِلُها المنّانُ ، ولا يحرِمُها الدّيّانُ ، ولو في الصّفا

---

١ البشر : جمعُ بشرة ، وهي ظاهر الجلد في الانسان ، وفي غيره .

٢ صبت : اي انصبت ، لازم متعد .

٣ بوفقها : اي بقدر كفايتها .

اليابسِ ، والحجرِ الجامسِ[1] .

ولو فكّرتَ في مجاري أكلِها ، في عُلوها وسُفلِها ، وما في الجوف من شراسيفِ[2] بطنِها ، وما في الرّأسِ من عينِها وأذنها ، لقضيتَ من خَلقها عجباً ، ولقيتَ من وصفِها تعَباً ؛ فتعالى الذي أقامها على قوائمِها ، وبناها على دعائمِها ! لم يشرَكه في فِطرتِها فاطرٌ ، ولم يُعِنه في خلقها قادرٌ !

ولو ضربتَ في مذاهبِ فكرِكَ لتبلُغَ غاياتِه ، ما دلّتك الدّلالة إلا على أنّ فاطرَ النملةِ هو فاطر النخلةِ ، لِدقيقِ تفصيلِ كلّ شيء ، وغامضِ اختلاف كل حيّ ! وما الجليلُ واللّطيف ، والثقيل والخفيف ، والقويُّ والضعيف ، في خلقه إلا سَواء !

وكذلك السماء والهواء ، والرّياح والماء ! فانظرْ إلى الشمسِ والقمر ، والنّبات والشّجر ، والماء والحجر ، واختلافِ هذا الليل والنّهار ، وتفجُّرِ هذه البحارِ ، وكثرةِ هذه الجبالِ ، وطولِ هذه القِلالِ[3] ، وتفرُّق هذه اللّغات ، والألسنِ المختلفات ! فالويل لمن جحدالمقدّر ، وأنكر المدبّر !

---

١ الجامس : الجامد .

٢ الشراسيف : اطراف الاعضاء المشرفة على البطن .

٣ القلال : رؤوس الجبال .

زعموا أنهم كالنَّبات ما لهم زارعٌ ، ولا لاختلاف صورِهم صانعٌ ! ولم يلجأوا إلى حُجَّةٍ فيما ادَّعوا ، ولا تحقيقٍ لِما أوعَوا[1] ، وهل يكونُ بناءٌ من غيرِ بانٍ ، أو جنايةٌ من غيرِ جانٍ ؟

وإن شئتَ قلتَ في الجرادةِ ، إذ خلق لها عينينِ حمراوَينِ ، وأسرج لها حدقتينِ قمراوَينِ ، وجعَل لها السَّمعَ الخفي ، وفتح لها الفمَ السَّويَّ ، وجعَل لها الحسَّ القويَّ ، ونابينِ بهما تقرِضُ ، ومِنجلَين بهما تقبِضُ . يرهبُها الزُّرَّاع في زرعِهم ، ولا يستطيعونَ ذبَّها[2] ، ولو أجلَبوا[3] بجمعِهم ، حتى ترِدَ الحرثَ في نزَواتِها ، وتقضيَ منه شهواتِها ؛ وخلقُها كلُّهُ لا يكونُ إصبعاً مُستدِقَّةً !

فتبارك الله الذي يَسجُد له مَن في السموات والأرض طوعاً وكَرهاً ، ويعنو له خدّاً ووجهاً ، ويلقي إليه بالطّاعةِ سِلماً وضَعفاً ، ويُعطي له القيادَ رَهبةً وخوفاً ! فالطَّيرُ مُسخَّرةٌ لِأمرِهِ ، أحصى عددَ الرِّيشِ منها والنَّفَسِ ، وأرسى قوائمَها على النَّديِّ واليَبَسِ ، وقدَّر أقواتَها ،

---

١ اوعوا : حفظوا وجمعوا ، كوعوا .

٢ ذبها : دفعها .

٣ اجلبوا : اي جمعوا الجمع .

وأحصى أجناسَها : فهذا غُرابٌ ، وهذا عُقابٌ ، وهذا حمَام، وهذا نَعامٌ . دعا كلَّ طائرٍ باسمِهِ ، وكفَل له برزقِهِ . وانشأ السَّحاب الثِّقالَ فأهطلَ ديَمَها ، وعدَّد قِسَمَها[1] ، فبلَّ الأرض بعد جفُوفِها ، وأخرج نبْتَها بعد جُدوبِها !

[1] القسم : الغيث والماء .

ادراك الله

سأله ذعلب اليماني فقال : هل رأيت ربك يا امير المؤمنين ؟ فقال : أفأعبد ما لا ارى ؟ فقال : وكيف تراه ؟ قال :

لا تُدركُه العيونُ بمُشاهدة العِيانِ ، ولكنْ تُدركه القلوبُ بحقائق الايمانِ . قريبٌ مِنَ الأشياء غيرُ مُلامِس ، بعيدٌ منها غيرُ مُبايِنٍ ، مُتكلّمٌ لا برويّةٍ ، مُريدٌ لا بِهمّةٍ ، صانعٌ لا بجارحةٍ ، لطيفٌ لا يوصَفُ بالخفاء ، كبيرٌ لا يوصَفُ بالجفاء ، بصيرٌ لا يوصفُ بالحاسّةِ ، رحيم لا يوصَفُ بالرّقّة . تَعنُو الوجوهُ لعظمتِه ، وتجِبُ[1] القلوبُ مِن مخافتِه .

١ تجب : تخفق .

كتاب الله

في ذكر القرآن

فالقرآنُ آمِرٌ زاجر ، وصامت ناطق ، حُجَّةُ اللهِ على خَلقِهِ . أخذ عليهم ميثاقَه ، وارتهنَ عليه أنفسَهم . أتمَّ نورَه وأكمل به دينَه ، وقبض نبيَّهُ ، صلى الله عليه وآلِه ، وقد فرَغ إلى الخلقِ مِن أحكامِ الهدى به . فعظّموا منه سبحانَه ما عظّم من نفسِهِ ؛ فإنه لم يُخفِ عنكم شيئاً من دينِه ، ولم يَترُكْ شيئاً رضيَه أو كرِهَه ، إلا وجَعَل له عَلَماً[1] بادياً ، وآيةً محكَمَةً تَزجُرُ عنه أو تدعو إليه ، فرضاه فيما بقيَ واحدٌ ، وسُخطُه فيما بقيَ واحدٌ .

واعلموا أنه لن يرضى عنكم بشيء سخِطَه على من كان قبلَكم ؛ ولن يسخَط عليكم بشيء رضيَه ممن كان قبلَكم ، وإنما تَسيرون في أثرٍ بيّنٍ ، وتتكلّمون بِرَجْعِ قولٍ قد قاله الرِّجالُ من قبلِكم . قد كفاكم مؤونةَ دُنياكم ،

---

١ العلم : ما يستدل به .

وحثّكم على الشكرِ ، وافترض من ألسنتِكم الذِّكرَ ، وأوصاكم بالتّقوى وجعلها منتهى رضاه وحاجته من خلقِه . فاتّقوا الله الذي أنتم بعينِه ، ونواصيكم بيده ، وتقلّبُكم في قبضتِه . إن أسررتم علِمهُ ، وإن أعلنتم كتبَه . قد وكّل بكم حفَظةً كراماً ، لا يُسقطون حقّاً ، ولا يُثبتون باطلاً. واعلموا أن مَن يتّقِ اللهَ يجعلْ له مخرجاً من الفتن ، ونوراً من الظُّلَم ، ويُخلِدْه فيما اشتهت نفسهُ ، ويُنزِلْه منزِلةَ الكرامةَ عندَه ، في دارٍ اصطنعها لنفسِه : ظِلُّها عرشُه ، ونورُها بهجتُهُ ، وزوّارُها ملائكتُه ، ورفقاؤها رسلُه . فبادِروا المَعادَ[1] ، وسابقوا الآجالَ ! فإنّ الناس يوشكُ أنْ ينقطعَ بهم الأملُ ، ويرهَقَهمُ الأجلُ[2] ، ويُسدَّ عنهم بابُ التوبةِ . فقد أصبحتم في مثل ما سأل إليه الرَّجعةَ مَن كان قبلكم ، وأنتم بنو سبيلٍ على سفرٍ من دارٍ ليست بدارِكم ، وقد أُوذِنتم[3] منها بالارتحالِ ، وأُمرتم فيها بالزّادِ .

واعلموا أنه ليس لهذا الجلدِ الرقيقِ صبرٌ على النارِ ، فارحموا نفوسكم ، فإنكم قد جربتموها في مصائبِ الدّنيا .

---

١ المعاد : المصير والآخرة .

٢ يرهقهم : يغشاهم .

٣ أوذنتم : أعلمتم بالبناء على المجهول .

أفرأيتم جزعَ أحدِكم من الشَّوكةِ تُصيبُه ، والعثرةِ تُدميه ، والرَّمضاء تحرِقُه ؟ فكيف إذا كان بين طابَقين[1] من نارٍ ، ضجيعَ حَجَرٍ[2] ، وقرينَ شيطانٍ[3] ؟ ! أعلِمتم أنَّ مالكاً[4] إذا غضِبَ على النَّارِ ، حطَّم بعضُها بعضاً لِغضبِه ؛ وإذا زجرها، توثَّبتْ بين أبوابها جزعاً من زجْرته ؟

١ الطابق : الآجرة الكبيرة .

٢ ضجيع حجر : اشارة الى الآية : وقودها الناس والحجارة .

٣ قرين شيطان : اشارة الى الآية : قال قرينه : ربنا ما اطغيته .

٤ مالك : وكيل الجحيم .

المال والبنون

لا يقولنّ أحدُكم: «اللهمّ إني أعوذُ بك منَ الفتنةِ!»، لِأنه ليس أحَدٌ إلا وهو مشتمِل على فتنةٍ، ولكنْ مَن استعاذَ، فليستعِذْ مِن مُضِلاّتِ الفِتَنِ، فإنّ اللهَ سبحانه يقولُ: «واعلموا أنما أموالُكم وأولادُكم فِتنةٌ» ومعنى ذلك أنه يختبِرهُم بالاموال والأولاد لِيتبيّن الساخطَ لِرزقهِ، والرّاضي بِقِسْمِه، وإن كان سبحانه أعلمَ بهم من أنفسِهم، ولكنْ لتظهرَ الأفعالُ التي بها يُستحَقُّ الثوابُ والعقابُ، لِأنَّ بعضَهم يحبّ الذُّكورَ ويكره الاناثَ، وبعضَهم يحبُّ تثميرَ المالِ، ويكره انثلامَ الحالِ.

قال الرضي: وهذا من غريب ما سمع منه في التفسير.

ذكر الله

من كلام قاله عند تلاوته : رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله .

إنّ اللهَ سبحانه وتعالى جَعل الذّكرَ جِلاء القلوبِ ، تسمعُ به بعد الوَقرَةِ ، وتُبصر به بعد العَشوَةِ[1] ، وتنقادُ به بعد المعانَدةِ . وما برِحَ للهِ ، عزّت آلاؤه ، في البرهةِ بعد البرهة ، وفي أزمانِ الفتراتِ[2] ، عبادٌ ناجاهم في فكرهم ، وكلّمهم في ذات عقولِهم ، فاستصبَحوا بنورِ يقظةٍ في الابصار والأسماع والأفئدةِ ، يُذكّرونَ بأيام اللهِ ، ويُخوّفون مقامَه ، بمنزلةِ الأدلّةِ في الفلواتِ . من أخذ القصدَ[3] حَمِدوا إليه طريقَه ، وبشّروه بالنّجاة ؛ ومن أخذ يميناً وشِمالاً ، ذمّوا إليه الطريقَ ، وحذروه منَ الهلَكةِ . وكانوا كذلك مصابيحَ تلك الظّلمات ، وأدلّةَ تلك الشّبُهات . وإنّ

١ الوقرة : الثقل في الاذن . العشوة : الضعف في النظر .

٢ الفترات : اي الازمان التي تخلو فيها الأرض من الانبياء ، وتكون الفترة بين نبوتين .

٣ القصد : الاعتدال .

للذِّكرِ لأهلاً أخذوه من الدُّنيا بدلاً ، فلم تَشغَلهم تجارةٌ ولا بيع عنه . يقطعون به ايامَ الحياة ، ويهتِفون بالزَّواجرِ عن محارم الله في أسماعِ الغافلين ، ويأمرون بالقِسطِ[1] ويأتمرون به ، وينهَون عنِ المنكر ويتناهون عنه ، فكأنهم قطعوا الدُّنيا إلى الآخرة وهم فيها ، فشاهدوا ما وراء ذلك ؛ فكأنما اطَّلعوا غيوبَ أهلِ البرزخِ[2] في طول الإقامة فيه ، وحقَّقتِ القيامةُ عليهم عِداتها ، فكشفوا غِطاء ذلك لأهلِ الدُّنيا ، حتى كأنهم يرَون ما لا يرى النّاسُ ويسمعون ما لا يسمعون .

فلو مثَّلتَهم لعقلِك في مقاوِمِهم[3] المحمودةِ ، ومجالسِهم المشهودة ، وقد نشروا دواوينَ اعمالِهم ، وفرَغوا لمحاسبةِ أنفسِهم على كلِّ صغيرةٍ وكبيرة أُمروا بها فقصَّروا عنها ، أو نُهُوا عنها ففرَّطوا فيها ، وحمّلوا ثِقلَ أوزارِهم ظهورَهُم ، فضعُفُوا عن الاستقلال بها[4] ، فنشَجوا[5] نشيجاً ، وتجاوبوا

---

١ القسط : العدل .

٢ البرزخ : حاجز ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت الى البعث ، فمن مات فقد دخل البرزخ .

٣ مقاومهم : اي مقاماتهم .

٤ الاستقلال بها : اي القيام بحملها .

٥ نشج : غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب .

نحيباً ، يعجُّون[1] إلى ربّهم من مقامِ ندمٍ واعترافٍ ، لرأيتَ أعلامَ هدًى ، ومصابيحَ دُجًى ، قد حفّت بهم الملائكة ، وتنزّلت عليهم السكينةُ ، وفُتحت لهم أبوابُ السماء ، وأُعدّت لهم مقاعدُ الكرامات ، في مقامٍ اطّلع اللهُ عليهم فيه فرَضيَ سعيَهم ، وحَمِدَ مقامَهم . يتنسّمون بدعائه رَوحَ التّجاوزِ[2] : رهائنُ فاقةٍ إلى فضلهِ ، وأسارى ذِلّةٍ لِعظمته ، جَرحَ طولُ الاسى قلوبهم ، وطولُ البكاء عيونَهم . لكلّ بابِ رَغبةٍ إلى اللهِ منهم يدٌ قارعَةٌ ، يسألون مَن لا تضيقُ لديه المنادحُ[3] ، ولا يخيبُ عليه الرّاغبون . فحاسب نفسَك لنفسِك ؛ فإنّ غيرَها منَ الأنفسِ لها حسيبٌ غيرُك .

١ يعجون : يصيحون ، ويرفعون اصواتهم .

٢ التجاوز : اي التجاوز عن الذنب .

٣ المنادح : جمع مندوحة ، وهي السعة ، والمتسع من الأرض .

الرسول

وفاة النبي

ولقد علمَ المستحفَظونَ[١] من أصحابِ مُحمَّدٍ ، صلى الله عليه وآلهِ وسلم ، أنّي لم أرُدَّ على اللهِ[٢] ولا على رسولِه ساعةً قطُّ ، ولقد واسيتُه[٣] بنفسي في المواطن التي تَنكُصُ[٤] فيها الأبطالُ ، وتتأخّرُ فيها الأقدامُ ، نجدةً أكرمني الله بها !

ولقد قُبِضَ رسولُ الله ، صلى الله عليه وآلهِ وسلم ، وإنَّ رأسَه لعلى صدري ؛ ولقد سالت نفسُه في كفّي ، فأمررتُها[٥] على وجهي ؛ ولقد وُلّيتُ غُسلَه ، صلى الله عليه وآله وسلم ، والملائكة أعواني ، فضجّت الدّارُ والأفنيةُ[٦] : ملأٌ يهبِطُ

١ المستحفظون : اي الذين اودعهم النبي امانة سره ، او اقامهم على حفظ شريعة الاسلام وحراستها .

٢ لم ارد على الله : اي لم أنكر عليه شيئاً من احكامه .

٣ واسيته : لغة في آسيته ، اي شاركته وساهمته .

٤ تنكص : تحجم .

٥ امررتها : اي امررت كفي .

٦ الافنية : جمع فناء بالكسر ، وهو ما اتسع من امام الدار .

وملأ يَعرُجُ ، وما فارقتْ سمْعي هينَمَةٌ منهم ، يُصلُّون عليه حتى وارينـاه في ضريحهِ ؛ فمن ذا أحقُّ بـه مني حيّاً وميّتاً ؟ ! فانفُذوا على بصائرِكم ، ولْتَصْدُقْ نيّاتُكم في جهادِ عدوِّكم . فوالذي لا إلهَ إلا هو إني لعلى جادّة الحقّ ، وإنهم لعلى مَزِلّة الباطلِ ! أقول ما تسمعون ، وأستغفرُ الله لي ولكم !

مناجاة النبي

من كلام قاله عند دفن فاطمة الزهراء في جوار ابيها :

السلام عليكَ يا رسولَ الله عني وعنِ ابنتِكَ النّازلةِ في جِوارك ، والسريعةِ اللّحاقِ بك . قَلَّ ، يا رسولَ الله ، عن صفيّتِكَ صبري ، ورقَّ عنها تجلُّدي ، إلا أنَّ لي في التّأسّي بعظيم فُرقتِكَ ، وفادحِ مُصيبتِكَ ، موضعَ تعزٍّ . فلقد وسَّدتُكَ في ملحودةِ قبرِكَ[1]، وفاضت بين نحري وصدري نفسُكَ ! إنا لله وإنا إليه راجعون ! فلقدِ استُرجِعَتِ الوديعة ، وأُخذت الرَّهينةُ ، أما حزني فسرمدٌ ، وأما ليلي فمسهَّدٌ ، إلى أن يختارَ الله لي داركَ التي أنت بها مُقيمٌ .

وستنبّئكَ ابنتُكَ بتضافر أمّتِكَ على هضمِها ، فأحفِها السُّؤالَ[2] ، واستخبرها الحالَ . هذا ولم يَطُلِ العهدُ ، ولم يخلُ منكَ الذِّكر ، والسلام عليكما سلامَ مودّعٍ لا قالٍ[3] ولا سئمٍ ! فانْ أنصرفْ فلا عن ملالةٍ ، وإنْ أُقِمْ فلا عنْ سوءِ ظنٍّ بما وعدَ الله الصابرينَ !

---

١ ملحودة قبرك : اي الجهة المشقوقة من القبر ، واللحد هو الشق في جانب القبر .

٢ أحفها السؤال : استقص في سؤالها .

٣ قال : مبغض .

في الايمان والكفر

خطأ الفرق

أمّا بعدُ ، فإن الله لم يَقصِمْ[1] جبّاري دهرٍ قطُّ إلا بعد تمهُّلٍ[2] ورخاء ؛ ولم يجبُرْ عظمَ أحدٍ مِن الأممِ إلا بعد أزْلٍ[3] وبلاء . وفي دونِ ما استقبلتم من عَتْبٍ ، وما استدبرتم من خَطبٍ ، معتبرٌ ! وما كلُّ ذي قلبٍ بلبيب ، ولا كلُّ ذي سمْعٍ بسميعٍ ، ولا كلُّ ناظرٍ ببصيرٍ . فيا عَجبي ، وما ليَ لا أعجَبُ ؟ من خطإ هذه الفِرَقِ على اختلافِ حُججها في دينِها ! لا يقتصّون[4] أثَرَ نبيٍّ ، ولا يقتدون بعمل وصيٍّ ، ولا يؤمنون بغيبٍ ، ولا يعفّون عن عيبٍ . يعملون في الشُّبهاتِ

---

١ لم يقصم : لم يكسر .
٢ تمهل : اي تبختر وتكبر . وتروى تمهل
٣ الازل : الشدة .
٤ يقتصون : يتتبعون .

ويسيرون في الشهوات ! المعروفُ عندهم ما عَرفوا ، والمنكرُ عندهم ما أنكروا . مَفزعهم في المعضِلات الى أنفسِهم ، وتعويلُهم في المهمّات على آرائهم ؛ كأنّ كلّ امرىء منهم إمامُ نفسِه ، قد أخذ منها فيما يرى بعُرًى ثقاتٍ ، وأسباب محكماتٍ !

صفة المتقين

سأله صاحب له يقال له همام ، وكان رجلاً عابداً ، ان يصف له المتقين حتى كأنه ينظر اليهم . فتثاقل الامام عن جوابه ، ثم قال : يا همام اتق الله وأحسن ، فان الله مع الذين اتقوا ، والذين هم محسنون . فلم يقنع همام بهذا القول حتى عزم عليه . فحمد الله واثنى عليه ، وصلى على النبي ، ثم قال :

أما بعدُ ، فإنَّ الله سبحانه وتعالى خلق الخلقَ ، حين خلقهم ، غنياً عن طاعتِهم ، آمناً من معصيتِهم ؛ لِأنه لا تضرُّه معصيةُ مَن عصاه ، ولا تنفعهُ طاعةُ مَن أطاعه . فقسمَ بينهم معايِشَهم ، ووضعهم من الدُّنيا مواضعَهم . فالمتَّقون فيها هم أهلُ الفضائل ؛ منطقُهم الصَّوابُ ، وملبَسُهم الاقتصادُ ، ومشيُهم التواضُع . غَضُّوا أبصارَهم عمّا حرَّم الله عليهم ، ووقفوا أسماعَهم على العلمِ النافعِ لهم . نُزِّلتْ أنفسُهم منهم في البلاء كالتي نُزِّلت في الرَّخاء[1] . ولولا الأجلُ الذي كُتب

---

[1] كالتي : اي كالنفوس التي . والمراد انهم يحتملون الشدائد صابرين لاملهم الكبير في الله ، ولا يبطرهم الرخاء لخوفهم من الله . فنفوسهم لا تتبدل على الحالين .

عليهم لم تَستقرَّ أرواحُهم في أجسادهِم طرفةَ عينٍ شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب . عظُم الخالق في أنفسِهم فصغُر ما دونَه في أعينِهِم ، فهم والجنة كمن قد رآها ، فهم فيها مُنعَّمون ؛ وهم والنار كمن قد رآها ، فهم فيها معذَّبون . قلوبهُم محزونةٌ ، وشرورهُم مأمونةٌ ، وأجسادهم نحيفةٌ ، وحاجاتُهم خفيفةٌ ، وأنفسُهم عفيفة . صبروا أياماً قصيرةً أعقبتهم راحةً طويلةً : تجارةٌ مربحةٌ يسّرها لهم ربُّهم . أرادتهُم الدُّنيا فلم يُريدوها ، وأسَرتهم ففدوا أنفسَهم منها .

أما الليلُ فصافُّون أقدامَهم تالينَ لأجزاء القرآنِ ، يُرتّلونه ترتيلا ، يُحزِنون به أنفسَهم ، ويستثيرون دواء دائهم[1] . فاذا مرُّوا بآيةٍ فيها تشويقٌ رَكنوا اليها طمعاً ، وتطلّعت نفوسهم اليها شوقاً ، وظنُّوا أنها نُصْبُ أعينِهم ؛ واذا مرُّوا بآية فيها تخويفٌ أصغوا اليها مسامعَ قلوبِهِم ، وظنُّوا أنَّ زفيرَ جهنّم وشهيقَها في أُصول آذانِهِم ، فهم حانون على أوساطِهِم ، مُفترِشون لجباهِهِم وأكُفّهِم وركبهِم وأطرافِ أقدامِهِم ، يطلُبونَ الى الله تعالى في فَكاكِ رقابهِم .

وأما النهارُ فحُلَماء عُلَماء ، أبرارٌ أتقياء ، قد براهُم

---

[1] يستثيرون دواء دائهم : اي يستثيرون دموعهم ، دواء لداء حزنهم .

الخوف بري القداح[1] ؛ ينظر اليهم الناظر فيحسبهم مرضى ، وما بالقوم من مرض ، ويقول : قد خولطوا[2] ! ولقد خالطهم أمر عظيم : لا يرضون من أعمالهم القليل ، ولا يستكثرون الكثير ، فهم لأنفسهم متهمون ، ومن أعمالهم مشفقون[3] . إذا زكّي[4] أحدهم خاف مما يقال له ، فيقول : انا أعلم بنفسي من غيري ، وربي أعلم بي مني بنفسي ؛ اللهم لا تؤاخذني بما يقولون ، واجعلني أفضل مما يظنون ، واغفر لي ما لا يعلمون !

فمن علامة أحدهم ، أنك ترى له قوة في دين ، وحزماً في لين ، وإيماناً في يقين ، وحرصاً في علم ، وعلماً في حلم ، وقصداً[5] في غنى ، وخشوعاً في عبادة ، وتجمّلاً[6] في فاقة ، وصبراً في شدّة ، وطلباً في حلال ، ونشاطاً في هدى ، وتحرّجاً[7] عن طمع ؛ يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل . يمسي وهمّه الشكر ، ويصبح وهمّه الذكر . يبيت حذراً ،

---

١ القداح ، جمع القدح بالكسر ، وهو السهم قبل ان يراش وينصل .
٢ خولطوا : اي خولطوا في عقولهم .
٣ مشفقون : خائفون .
٤ زكي : مدح بالبناء على المجهول .
٥ القصد : الاقتصاد .
٦ التجمل : التزين والتصبر .
٧ تحرجاً : تأثماً .

ويُصبحُ فرحاً : حذراً لِما حذِر منَ الغفلة ، وفرحاً بما أصاب من الفضلِ والرَّحمةِ . إنِ استصعَبتْ عليه نفسُه فيما تَكرهُ لم يُعطها سُؤلها فيما تحبُّ . قرّةُ عينِه فيما لا يزولُ ، وزهادتُه فيما لا يَبقى . يَمزُجُ الحلمَ بالعلمِ ، والقولَ بالعملِ . تراه قريباً أملُه ، قليلاً زَللُهُ ، خاشعاً قلبُه ، قانعةً نفسُه ، منزوراً أكلُه ، سهلاً أمرُهُ ، حريزاً دينُه ، ميتةً شهوتُه ، مكظوماً غيظُه . الخيرُ منه مأمولٌ ، والشرُّ منه مأمونٌ . إنْ كان في الغافلين كُتِبَ في الذاكرين ، وإنْ كان في الذاكرين لم يُكتَبْ من الغافلين[1] . يَعفو عمّنْ ظلمَه ، ويُعطي مَن حرَمَه ، ويصِلُ مَن قطعَه ، بعيداً فُحشُهُ ، ليّناً قولُه ، غائباً منكَرُهُ ، حاضراً معروفُه ، مُقبِلاً خيرُه ، مُدبِراً شرُّه . في الزّلازلِ وقورٌ ، وفي المكارِه صبورٌ ، وفي الرَّخاء شكورٌ ؛ لا يحيفُ[2] على مَن يُبغضُ ، ولا يأثمُ فيمن يحبُّ . يعترِفُ بالحقِّ قبلَ أن يُشهدَ عليه . لا يُضيعُ ما استُحفِظَ ، ولا ينسى ما ذُكّرَ ، ولا يُنابِزُ[3] بالألقابِ ، ولا يُضارُّ

---

١ في الذاكرين : اي يذكر الله في قلبه . لم يكتب من الغافلين : لانه يذكر الله بقلبه ولسانه .

٢ يحيف : يجور ويظلم .

٣ ينابز : اي يلقب الناس على سبيل التعيير .

بالجارِ ، ولا يشمَتُ بالمصائبِ ، ولا يدخُل في الباطِل ، ولا يخرُج منَ الحقّ . إنْ صَمَتَ لم يَغُمَّهُ صمتُه ، وإنْ ضحِك لم يَعلُ صوته ، وإنْ بُغيَ عليه صَبرَ ، حتى يكونَ اللهُ هو الذي ينتقِمُ له . نفسُه منه في عَناء ، والناسُ منه في راحةٍ . أتعبَ نفسَه لآخرَتهِ ، وأراح الناسَ من نفسِه . بُعدُهُ عمَّن تباعدَ عنه زُهدٌ ونزاهةٌ ، ودُنوُّهُ ممن دنا منه لينٌ ورحمةٌ . ليس تباعدُهُ بِكِبْرٍ وعظمةٍ ، ولا دُنوُّهُ بِمكرٍ وخَدعةٍ .

قال : فصعق همام صعقة كانت نفسه فيها ، فقال امير المؤمنين عليه السلام :

أمَا والله ، لقد كنت أخافُها عليه !

ثم قال :

هكذا تصنع المواعظُ البالغةُ بأهلها !

فقال له قائل : فما بالك يا أمير المؤمنين ؟ (اي فما بالك لا تموت على ما في نفسك من هذه المواعظ البالغة) فقال :

ويحَكَ ! إنّ لكلّ أجلٍ وقتاً لا يَعدُوهُ ، وسبباً لا يتجاوزُهُ ، فمهلاً لا تَعُد لمثلِها ، فإنما نَفثَ الشيطانُ على لسانِك !

صفة المنافقين

نحمَدهُ علـى ما وَفّق له من الطاعةِ ، وذادَ[1] عنـه من المعصيةِ ؛ ونسألهُ لِمنّتِه تماماً ، وبحبلِه اعتِصاماً ؛ ونشهدُ أنّ مُحمّداً عبدُه ورسولُه، خاضَ إلى رضوانِ اللهِ كلَّ غمرةٍ[2]، وتجرّع فيه كلَّ غُصّةٍ ؛ وقد تلوّنَ له الأدنونَ ، وتألّبَ عليه الأقصونَ ، وخلعتْ إليه العربُ أعنّتَها ، وضربتْ لمحاربتِه بُطونَ رواحِلِها ، حتى أنزلتْ بساحتِه عُدوانَها ، من أبعدِ الدّارِ ، وأسحقِ[3] المزارِ .

أُوصيكم ، عِبادَ اللهِ ، بتقوى الله ، وأُحذِّرُكم أهلَ النّفاق، فإنهم الضالّونَ المُضِلّونَ ، والزالّون المزلّون. يتلوّنون ألواناً ، ويفتنّونَ افتِناناً ، ويَعمِدُونكم بكلِّ عِمادٍ[4] ، ويرصُدونكم

---

١ ذاد : دفع وطرد .

٢ الغمرة : شدة الشيء ومزدحمه .

٣ اسحق : ابعد .

٤ يعمدونكم : يوجعونكم ، ويفدحونكم . بكل عماد : اي بكل امر فادح .

بكلّ مِرصاد . قلوبُهم دَوِيَةٌ ، وصِفاحُهم نقيةٌ[1] ، يمشون الخفاء ، ويدِبُّون الضَّرَاء[2]، وصْفُهم دواء ، وقولهم شِفاء ، وفِعلُهم الدَّاء العَياء ؛ حَسدَةَ الرَّخاء ، ومؤكّدو البلاء ، ومقنِطو الرَّجاء . لهم بكلّ طريقٍ صريعٌ ، وإلى كلّ قلبٍ شفيعٌ ، ولكلّ شَجْوٍ دُموعٌ . يتقارَضون الثناء ، ويتراقبون الجزاء . إنْ سألوا ألحفوا ، وإن عذَلوا كشفوا ، وإن حكموا أسرَفوا . قد أعدُّوا لكلّ حقٍّ باطلًا ، ولكلّ قائمٍ مائلًا ، ولكلّ حيٍّ قاتلًا ، ولكلّ بابٍ مِفتاحاً ، ولكلّ ليلٍ مصباحاً . يتوصّلون إلى الطَّمعِ باليأسِ لِيُقيموا به أسواقَهم ، ويُنفِقوا به أعلاقَهم[3] . يقولون فيشبِّهون[4] ، ويَصِفون فيُموِّهون ، قد هوَّنوا الطريقَ ، وأضلعوا المضيقَ[5] . فهمْ لُمَّةُ الشيطانِ[6] ، وحُمَةُ النِّيران[7] : « أولئك حِزبُ الشيطانِ ، ألا إنَّ حِزبَ الشيطانِ همُ الخاسرون ! »

---

١ دوية : اي فاسدة مريضة . صفاحهم : وجوههم .

٢ يدبون الضراء : مثل يضرب لمن يختل صاحبه ويخدعه ، اي يمشون متخفين . والضراء : الاستخفاء ، والشجر الملتف في الوادي .

٣ اعلاقهم : اشياءهم النفيسة ، والمراد بها بضاعة نفاقهم .

٤ يشبهون : يلبسون الامر ، حتى يلتبس .

٥ اضلعوا المضيق : اي جعلوه معوجاً ، والمراد انهم جعلوا المضيق معوجاً بتلبيساتهم ، بعدما هونوا طريقه على الناس ، فاذا سلكه سالك اعوج لاعوجاجه .

٦ اللمة : الاصحاب والمؤنسون ، للواحد والجمع .

٧ الحمة : السم ، وابرة الزنبور والعقرب ونحوهما .

اصحاب الحديث

من كلام للامام ، وقد سأله سائل عن أحاديث البدع ، وعما في ايدي الناس من اختلاف الخبر :

إنَّ في أيدي الناس حقّاً وباطلاً ، وصِدقاً وكَذِباً ، وناسخاً ومنسوخاً ، وعامّاً وخاصّاً ، ومُحْكماً ومُتشابهاً ، وحِفظاً ووهماً . ولقد كُذِب على رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، على عهدِه حتى قام خطيباً فقال : « مَن كَذَب عليَّ مُتعمّداً فليتبوَّأْ مقعدَه من النارِ ! »

وإنما أتاك بالحديثِ أربعةُ رجالٍ ليس لهم خامسٌ :

رجلٌ منافق مُظهر للايمانِ ، مُتصنّع بالاسلامِ ، لا يتأثّمُ ولا يتحرّجُ ، يكذِبُ على رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، مُتعمّداً ؛ فلو علم الناسُ أنه منافقٌ كاذبٌ لم يقبلوا منه ، ولم يُصدّقوا قولَه ، ولكنهم قالوا : صاحبُ رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، رآه ، وسمِع منه ، ولقِف عنه[1] ، فيأخذون بقولِه ؛ وقد أخبرك الله عنِ المنافقين بما أخبرك ، ووصفهم بما

---

١ لقف عنه : تناول عنه .

وصفَهم به لك. ثم بَقوا بعدَه، عليه وآله السلامُ، فتقرَّبوا إلى أئمةِ الضلالةِ والدُّعاةِ إلى النارِ بالزُّورِ والبُهتانِ، فولَّوهمُ الاعمالَ، وجعلوهم حكّاماً على رِقابِ الناسِ، فأكلوا بهمُ الدُّنيا، وإنما الناسُ مع الملوكِ والدُّنيا، إلا مَن عصَمَ الله؛ فهذا أحدُ الأربعةِ.

ورجلٌ سمِعَ من رسول الله شيئاً لم يحفظْه على وجهِهِ، فوهِمَ فيه، ولم يتعمَّد كَذِباً، فهو في يديه ويرويه ويعملُ به، ويقولُ: أنا سمِعتُه من رسولِ اللهِ، صلى الله عليه وآله وسلم؛ فلو علم المسلمون أنه وهِمَ فيهِ لم يَقبَلوا منه، ولو علم هو أنه كذلك لرفضهُ.

ورجلٌ ثالث سمِع من رسول الله، صلى الله عليه وآله، شيئاً يأمُر به، ثم إنه نهى عنه وهو لا يعلمُ؛ أو سمِعه يَنهى عن شيء، ثم أمرَ به وهو لا يعلمُ، فحفِظَ المنسوخَ، ولم يحفَظِ الناسخَ؛ فلو علم أنه منسوخٌ لرفضهُ، ولو علمَ المسلمون إذ سمِعوه منه أنه منسوخٌ لرفضوه.

وآخَرُ رابعٌ لم يكذبْ على اللهِ، ولا على رسولِهِ، مُبغِضٌ للكذبِ خوفاً من الله، وتعظيماً لرسولِ الله، صلى الله عليه وآله، ولم يَهِم[1]، بل حفِظ ما سمِع على وجهِهِ،

---

١ يهم: مضارع وهم.

فجاء به على سمْعِه ، لم يَزِدْ فيه ولم يَنقصْ منه ؛ فحفِظ الناسخَ فعمِل به ، وحفِظ المنسوخَ فجنّب عنه ؛ وعرَف الخاصَّ والعامَّ ، فوضعَ كلَّ شيء موضِعه ؛ وعرَف المتشابهَ ومُحكَمه .

وقد كان يكونُ من رسولِ اللهِ ، صلى الله عليه وآله ، الكلام له وجهانِ : فكلامٌ خاصّ ، وكلامٌ عامّ ، فيسمعُه مَن لا يعرفُ ما عنى الله ، سبحانه ، به ، ولا ما عنى رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، فيحملُه السامعُ ، ويوجّهُه على غيرِ معرفةٍ بمعناه ، وما قُصدَ به ، وما خرج من أجلِه . وليس كلُّ أصحابِ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، مَن كان يسألُه ويستفهِمُه ؛ حتى إن كانوا ليُحبّون أن يجيء الأعرابيُّ والطارىء ، فيسألَه ، عليه السلامُ ، حتى يسمعوا . وكان لا يمرُّ بي من ذلك شيء إلا سألتُ عنه وحفِظتُه .

فهذه وجوهُ ما عليه الناسُ في اختلافِهم ، وعِلَلِهمْ في رواياتهم .

دعائم الايمان

الايمانُ على أربعِ دعائم : على الصبرِ ، واليقينِ ، والعدلِ ، والجهادِ .

والصبرُ منها على أربعِ شُعَبٍ : على الشوقِ ، والشَّفقِ[1] ، والزُّهدِ ، والتَّرَقُّبِ . فمَنِ اشتاق إلى الجنَّةِ سلا عن الشهواتِ ، ومَن أشفقَ منَ النارِ اجتنبَ المحرَّماتِ ؛ ومَن زهِد في الدُّنيا استهان بالمصيباتِ ؛ ومَنِ ارتقب الموتَ سارعَ إلى الخيراتِ .

واليقين منها على أربعِ شُعَبٍ : على تبصِرَةِ الفطنةِ ، وتأوُّلِ الحكمةِ[2] ، وموعِظَةِ العِبرةِ ، وسُنَّةِ الأوَّلينَ . فمَنْ تبصَّرَ في الفطنةِ تبيَّنت له الحكمةُ ؛ ومَن تبينت له الحكمة عرَفَ العبرَةَ ؛ ومَن عرَفَ العبرةَ فكأنما كان في الأوَّلين .

والعدلُ منها على أربعِ شُعَبٍ : على غائصِ الفَهْمِ ،

---

١ الشفق : الخوف .

٢ التأول : تدبر الشيء وتفسيره وتقديره .

وغَـورِ العلمِ ، وزُهرةِ[1] الحكمِ ، ورساخةِ الحلمِ . فمَن فَهِمَ عَلِمَ غورَ العلمِ ؛ ومَن علِمَ غورَ العلم صدرَ عن شرائعِ الحكمِ ؛ ومَن حلُم لم يُفرِّطْ في أمرهِ وعاش في النّاسِ حميداً .

والجهادُ منها على أربعِ شُعَبٍ : على الأمرِ بالمعروفِ، والنهيِ عنِ المنكرِ ، والصّدقِ في المواطنِ[2]، وشنآنِ[3] الفاسقين . فمَن أمرَ بالمعروفِ شدّ ظُهورَ المؤمنين ؛ ومَن نهى عنِ المنكرِ أرغمَ أنوفَ الكافرين ؛ ومَن صدَق في المواطنِ قضى ما عليه ؛ ومَن شنِىء الفاسقين ، وغضِبَ لله ، غضِبَ الله له ، وأرضاه يومَ القيامةِ .

---

١ الزهرة بالضم : الحسن .

٢ المواطن : اي مواطن القتال .

٣ الشنآن : البغض .

دعائم الكفر

الكفرُ على أربعِ دعائمَ : على التعمُّقِ[1]، والتنازُعِ ، والزَّيغِ ، والشِّقاق . فمَن تعمَّق لم يُنب[2] إلى الحقّ ؛ ومَن كَثُرَ نِزاعُه بالجهلِ دام عماهُ عنِ الحقّ ؛ ومَن زاغ ساءت عندَه الحسنةُ ، وحسُنت عنده السَّيِّئةُ ، وسكِرَ سُكرَ الضَّلالة ؛ ومَن شاقَّ وعُرَت عليه طرقُه ، وأعضلَ عليه أمرُه ، وضاق عليه مخرجُه .

والشكُّ على أربعِ شُعَبٍ : على التَّماري[3]، والهول ، والتردُّد ، والاستسلامِ . فمَن جعلَ المِراء ديناً لم يُصبحْ ليلُه ؛ ومَن هاله ما بين يديه نَكَصَ على عقِبيه ؛ ومَن تردَّد في الرَّيب وطِئته سنابكُ[4] الشياطينِ ؛ ومنِ استسلم لهلَكة الدُّنيا والآخرةِ هَلَكَ فيهما .

---

١ التعمق : اي التعمق في البحث الكشف عن الاسرار .
٢ لم ينب : لم يرجع .
٣ التماري : التجادل ، والتنازع في القول .
٤ السنابك : اطراف الحوافر .

القضاء والقدر

من كلام له وقد سأله سائل : أكان مسيرنا الى الشام بقضاء من الله وقدر؟

ويحك ! لعلك ظننت قضاء لازماً ، وقدراً حاتماً . ولو كان ذلك كذلك لبطل الثوابُ والعقاب ، وسقط الوعدُ والوعيد . إنَّ الله سبحانه أمر عبادَه تخييراً ، ونهاهم تحذيراً ، وكلَّف يسيراً ، ولم يكلِّفْ عسيراً ، وأعطى على القليلِ كثيراً ، ولم يُعصَ مغلوباً ، ولم يُطَعْ مكرَهاً ، ولم يرسلِ الانبياء لعباً ، ولم يُنزلِ الكتابَ للعباد عبثاً ، ولا خلق السموات والأرضَ وما بينهما باطلاً ، و « ذلك ظنُّ الذين كفروا ، فويلٌ للذين كفروا منَ النارِ ! »



وعن نوف البكالي ، قال : رأيت أمير المؤمنين ، عليه السلام ، ذات ليلة وقد خرج من فراشه فنظر في النجوم فقال لي : يا نوف ، أراقد أنت أم رامق ؟ فقلت : بل رامق. قال :

يا نَوفُ ، طوبى للزاهدين في الدُّنيا ، الراغبين في الآخرة! أولئك قوم اتخذوا الأرضَ بساطاً ، وترابها فراشاً ، وماءَها طِيباً ، والقرآنَ شعاراً ، والدُّعاء دثاراً[1] ، ثم قرضوا الدنيا[2] قرضاً على منهاجِ المسيحِ .

يا نَوفُ ، إنَّ داودَ ، عليه السلام ، قام في مثلِ هذه الساعةِ منَ الليلِ فقال :

---

١ والقرآن شعاراً : اي يقرأونه سراً . والشعار في الاصل ما يلي البدن من الثياب . والدعاء دثاراً : اي يرددونه جهاراً . والدثار في الاصل ما فوق الشعار من الثياب .

٢ قرضوا الدنيا : اي قطعوها كما يقطع الثوب بالمقراض .

إنها ساعةٌ لا يدعو فيها عبدٌ إلا استجيب له ، إلا أن يكون عَشَّاراً[1] ، أو عريفاً[2] ، أو شُرْطياً ، أو صاحبَ عَرطَبةٍ[3] ، أو صاحبَ كُوبةٍ[4] .

---

١ العشار : هو الذي يتولى جباية اعشار الاموال .

٢ العريف : من يتعرف وجوه الناس باحثاً عن شخص مطلوب ليئتي به الى طالبه .

٣ العرطبة : الطنبور .

٤ الكوبة : الطبل الصغير المخصر ، اي الدربكة .

علامات المؤمن

المؤمنُ بِشْرُه في وجهِه ، وحزْنُه في قلبِه ؛ أوسعُ شيء صدراً ، وأذلُّ شيء نفساً . يكرهُ الرّفعةَ ، ويشنأ السُّمعةَ[1] . طويلٌ غمُّه ، بعيدٌ همُّه ، كثير صمتُه ، مشغول وقتُه ، شكورٌ صبور ، مغمورٌ بفكرتِه ، ضنين بخَلَّتِه[2] ، سهْلُ الخليقةِ[3] ، ليّنُ العريكةِ ، نفسُه أصلبُ منَ الصَّلدِ[4] ، وهو أذلُّ منَ العبدِ .

---

١ يشنأ : يبغض . السمعة : التنويه بالذكر .

٢ الخلة : الحاجة .

٣ الخليقة : الطبيعة .

٤ الصلد : الحجر الصلب . والمراد ان نفسه اصلب من الصلد في عقيدتها وايمانها بالحق .

استغفر الله !

قال رجل بحضرته : استغفر الله ! فقال له الامام :

ثكِلتكَ أمُّكَ! أتدري ما الاستغفارُ ؟ الاستغفارُ درجةُ العِلّيينَ ، وهو اسمٌ واقعٌ على ستةِ معانٍ : أوّلها الندمُ على ما مضى ؛ والثاني العزمُ على تركِ العَودِ اليه أبداً ؛ والثالث أن تؤدّي إلى المخلوقين حقوقَهم ، حتى تلقى اللهَ أملسَ ليس عليك تَبِعَةٌ ؛ والرابعُ أن تعمِدَ إلى كلّ فريضةٍ عليك ضيّعتها ، فتؤدي حقَّها ؛ والخامسُ أن تعمِدَ إلى اللحمِ الذي نبت على السُّحتِ[1] ، فتُذيبَه بالاحزانِ ، حتى تلصِقَ الجلدَ بالعظمِ ، وينشأ بينهما لحمٌ جديدٌ ؛ والسادسُ أن تذيق الجسمَ ألمَ الطاعةِ ، كما أذقتَه حلاوةَ المعصيةِ ، فعند ذلك تقول : أستغفرُ الله !

---

١ السحت بالضم : المال الحرام .

النعمة والعصيان

يا ابنَ آدمَ ، إذا رأيتَ ربَّكَ ، سبحانه، يُتابعُ عليكَ نِعمَه ، وأنتَ تَعصيه ، فاحذَره !

الصلاة على شك

سمع رجلًا من الخوارج يتهجد ويقرأ ، فقال :

نومٌ على يقينٍ خيرٌ من صلاةٍ في شكٍّ .

ترك الدين

لا يَتركُ الناسُ شيئاً من أمرِ دينِهم لاستصلاحِ دنياهم ، إلا فتح الله عليهم ما هو أضرُّ منه .

المعصية والطاعة

احذَرْ أن يراكَ الله عند معصيتِه ، ويَفقِدَكَ عند طاعتِه ، فتكونَ منَ الخاسرين ! وإذا قَويتَ فاقوَ على طاعة الله ، وإذا ضَعُفتَ فاضعُفْ عن معصيةِ الله .

معنى الاسلام

لأنسُبَنَّ الاسلامَ نسبةً لم ينسُبْها أحدٌ قبلي :

الاسلامُ هو التسليمُ ، والتسليمُ هو اليقينُ ، واليقين هو التصديق ، والتصديق هو الاقرارُ ، والاقرار هو الأداء ، والاداء هو العمل .

فرائض

الصلاةُ قربانُ كلِّ تقيٍّ ، والحجُّ جهادُ كلِّ ضعيف ، ولكلِّ شيء زكاةٌ ، وزكاةُ البدنِ الصيامُ ، وجهادُ المرأة حُسنُ التبعُّل[1] .

اصلاح النفس

مَن أصلح سريرته ، أصلح الله علانيته ، ومَن عمل لدينه ، كفاه الله أمرَ دنياه ، ومن أحسن فيما بينه وبين اللهِ ، أحسن الله ما بينه وبين الناس .

---

١ حسن التبعل : اطاعة الزوج .

ابواب الله

ما كان الله ليفتح على عبدٍ بابَ الشكرِ ، ويُغلِقَ عنه بابَ الزّيادةِ ؛ ولا ليفتحَ على عبدٍ بابَ الدُّعاء ، ويُغلِقَ عنه بابَ الاجابةِ ؛ ولا ليفتحَ لعبدٍ بابَ التوبةِ ، ويُغلقَ عنه بابَ المغفرةِ .

لا حول ولا قوة الا بالله !

وسئل عن معنى قولهم : لا حول ولا قوة الا بالله ! فقال :

إنا لا نملِكُ مع الله شيئاً ؛ ولا نملكُ إلا ما ملَّكنا . فمتى ملَّكنا ما هو أملَكُ به منا ، كلَّفنا[1] ؛ ومتى أخذَه منا ، وضَع تكليفَه عنا .

حد الايمان

الايمانُ معرفةٌ بالقلب ، وإقرارٌ باللسانِ ، وعملٌ بالاركان[2] .

---

[1] كلفنا : اي فرض علينا العمل بما ملكنا من القوة عليه .

[2] الاركان : اي اركان الدين ، وهي الواجبات .

القدر

طريقٌ مظلمٌ فلا تَسلُكوه ، وبحرٌ عميقٌ فلا تلِجوه ، وسرُّ الله فلا تتكلفوه .

معنى الزهد

الزُّهدُ كلُّه بين كلمتين منَ القرآنِ . قال الله سبحانه : « لكيلا تأسَوا على ما فاتكم ، ولا تفرحوا بما آتاكم . » ومَن لم يأسَ على الماضي ، ولم يفرحْ بالآتي ، فقد أخذ الزُّهد بطرَفيه .

التوحيد والعدل الالهي

التوحيدُ ان لا تتوهَّمَه[1] ، والعدلُ ان لا تتَّهِمه[2] .

---

١ لا تتوهمه : اي لا تصوره بوهمك ، فتجعله محدوداً كالمخلوقات .
٢ ان لا تتهمه : اي ان لا تتهم عدل الله في امور لم تستطع ان تتبين حكمته فيها .

الدنيا والآخرة

تخففوا!

فإنَّ الغايةَ[1] أمامكم، وإن وراءكم الساعةَ[2] تحدوكم؛ تخفّفوا، تَلحقوا[3]؛ فإنما تنتظرُ بأوّلكم آخرَكم[4].

١ الغاية: الموت، او اراد بها الثواب والعقاب.

٢ الساعة: يوم القيامة. وقوله وراءكم: لانها تسوق الناس الى موقف الحساب.

٣ تخففوا: اي تخففوا من أثقال أوزاركم. تلحقوا: اي تلحقوا بالفائزين.

٤ اولكم: اي الذين ماتوا. آخركم: اي الذين يموتون آخر الدهر، وعندئذ تكون القيامة.

بكاء الزاهد

شوهد الامام في بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله ، وهو قائم في محرابه ، قابض على لحيته ، يتململ ويبكي بكاه الحزين ويقول :

يا دنيا ، يا دنيا ، إليكِ عني ! أبيَ تعرّضتِ ؟ أم إليّ تشوّفتِ[1] ؟ لا حان حِينُكِ ! هيهات ! غُرّي غيري ، لا حاجةَ لي فيكِ ، قد طلّقتُكِ ثلاثاً لا رجعةَ فيها ! فعيشُكِ قصيرٌ ، وخطرُكِ[2] يسيرٌ ، وأملُكِ حقيرٌ . آهِ من قلّةِ الزّادِ ، وطول الطريق ، وبُعدِ السفرِ ، وعظيم المورد !

---

١ تشوفت : تزينت .

٢ خطرك . شأنك .

الدنيا آذنت بوداع

أما بعد ، فإن الدنيا قد أدبرت ، وآذنَتْ بوداعٍ ؛ وإن الآخرةَ قد أشرفت باطّلاعٍ . ألا وإن اليوم المضمارَ ، وغداً السّباقَ ، والسَّبَقةُ الجنةُ[1] ، والغاية النار . أفلا تائبٌ من خطيئتِه قبلَ منيتِه ؟ ألا عاملٌ لنفسه قبل يومِ بؤسِه ؟ ألا وإنكم في أيامِ أملٍ من ورائه أجلٌ ، فمَن عمِل في أيام أملِه قبلَ حضورِ أجلِه ، نفعه عملُه ، ولم يَضرُره أجلُه . ومَن قصّر في أيامِ أملِه قبلَ حضور أجلِه ، فقد خسِر عملُه ، وضرّه أجلُه . ألا فاعملوا في الرّغبةِ كما تعملون في الرهبَة! ألا وإني لم أرَ كالجنةِ نام طالبُها ، ولا كالنارِ نام هاربها ؛ ألا وإنه مَن لا ينفعْه الحقُّ يَضرُرْه الباطل ، ومَن لم يستقمْ به الهدى ، يَجرُّ به الضلال إلى الردى ؛ ألا وإنكم قد مِرتم بالظعن ، ودُللتم على الزّادِ ، وإنّ أخوفَ ما أخافُ عليكم ، اتّباعُ الهوى وطولُ الأملِ . تزوّدوا من الدنيا ما تَحرُزون[2] أنفسكم به غداً !

---

١ السبقة بالتحريك : الغاية المحبوبة .

٢ تحرزون : تحفظون .

رفض الدنيا

عبادَ الله ، أوصيكم بالرَّفض هذه الدنيا التاركةِ لكم ، وإنْ لم تحبُّوا تركَها ؛ والمُبليةِ لاجسامِكم ، وإن كنتم تحبون تجديدها . فإنما مثلُكم ومثلُها كسَفْرٍ سلكوا سبيلاً ، فكأنهم قد قطعوه ؛ وأمُّوا عَلَماً[1] ، فكأنهم قد بلغوه . وكم عسى المُجري[2] إلى الغايةِ أن يجريَ اليها ، حتى يبلغَها ؟ وما عسى أن يكونَ بقاء مَن له يومٌ لا يعدُوه ، وطالبٌ حثيث يحدُوه[3] في الدنيا حتى يفارقها ؟ فلا تنافسوا في عزّ الدنيا وفخرها ، ولا تعجبوا بزينتِها ونعيمِها ، ولا تجزعوا من ضرّائها وبؤسِها ؛ فإن عزّها وفخرَها إلى انقطاعٍ ، وإن زينتَها ونعيمَها إلى زوالٍ ، وضراءها وبؤسَها إلى نفادٍ ؛ وكلُّ مدّةٍ فيها إلى انتهاء ، وكلُّ حيٍّ فيها إلى فناء . أوَليس لكم في آثار الأولين مُزدجَرٌ ، وفي آبائكم الأولين

---

١ العلم : الجبل ، والعلامة في الطريق يهتدى بها .
٢ المجري : اي الذي يجري فرسه الى الغاية .
٣ الحثيث : السريع . وطالب حثيث : اي الموت .حداه : تبعه وساقه امامه.

تبصِرةٌ ومعتَبرٌ ، إن كنتم تعقِلون ؟ ! أوَلم ترَوا الى الماضين منكم لا يَرجعون ؟ والى الخلَفِ الباقين لا يبقون ؟ أوَلستم ترَون أهلَ الدنيا يصبحون ويمسون على أحوالٍ شتى : فميتٌ يُبكَى ، وآخرُ يُعزّى ، وصريعٌ مبتَلًى ، وعائد يعود ، وآخرُ بنفسِه يجود ، وطالبٌ للدنيا والموتُ يطلُبه ، وغافلٌ وليس بمغفولٍ عنه ؟ ! وعلى أثرِ الماضي ما يمضي[1] الباقي !

ألا فاذكروا هاذِمَ[2] اللذاتِ ، ومنغِّصَ الشهوات ، وقاطعَ الأمنيّات ، عند المساورةِ[3] للاعمال القبيحةِ . واستعينوا الله على أداء واجبِ حقّه ، وما لا يحصى من أعدادِ نِعمِه وإحسانه !

---

١ ما يمضي : ما زائدة ، او مصدرية .

٢ الهاذم : القاطع .

٣ المساورة : المواثبة .

احذروا الدنيا !

أما بعد ، فإني أحذّرُكم الدنيا فانها حُلوةٌ خضِرةٌ ، حُفَّتْ بالشهوات ، وتحبّبت بالعاجلة ، وراقت بالقليل ، وتحلّت بالآمال ، وتزيّنت بالغرور ؛ لا تدومُ حَبرَتُها[1] ، ولا تؤمَنُ فجعتها . غرّارةٌ ضرّارةٌ ، حائلةٌ[2] زائلة ، نافدة بائدة ، أكّالة غوّالة ؛ لا تعدُو ، اذا تناهت إلى أمنيّةِ اهل الرّغبة فيها والرّضاء بها ، أن تكونَ كما قال الله ، سبحانه وتعالى: « كماء أنزلناه منَ السماء ، فاختلط به نباتُ الأرضِ ، فأصبح هشيماً تذرُوه الرّياحُ ، وكان الله على كلّ شيء مقتدراً . »

لم يكنِ امرؤٌ منها في حَبرَةٍ ، إلا أعقبتها عَبرَةٌ ؛ ولم يَلقَ في سرّائها بطناً ، إلا منحتْه من ضرّائها ظهراً ؛ ولم تطُلّه فيها دِيمَةُ رَخاء[3] ، إلا هتنت عليه مُزنَةُ بلاءٍ[4] .

---

١ الحبرة : السرور .

٢ حائلة : متغيرة .

٣ تطله : تمطره مطراً قليلاً . الديمة : مطر يدوم في سكون بلا رعد وبرق . الرخاء : سعة العيش .

٤ هتنت : مطرت مطراً كثيراً . المزنة : القطعة من السحاب الابيض ، او ذي الماء .

وحريّ ، إذا أصبحت له منتصِرةً ، أن تمسي له متنكِّرةً ؛ وإنْ جانبٌ منها اعذَوذَبَ واحلوْلى ، أمرَّ منها جانبٌ فأوبى[1] . لا ينالُ امرؤ من غضارتها[2] رغَباً ، إلا أرهقتْه من نوائبها تعَباً ؛ ولا يمسي منها في جَناحِ أمنٍ ، إلا أصبح على قوادِمِ خوفٍ[3] . غرّارةٌ ، غُرورٌ ما فيها ؛ فانية ، فانٍ مَن عليها ؛ لا خيرَ في شيء مِن أزوادِها[4] إلا التقوى . مَن أقلَّ منها ، استكثر مما يؤمِنُه ؛ ومَن استكثر منها ، استكثر مما يوبقُه[5] ، وزال عما قليلٍ عنه . كم من واثقٍ بها فجعته ، وذي طُمأنينةٍ قد صرعته ، وذي أبَّهةٍ قد جعلته حقيراً ، وذي نخوة قد ردّته ذليلاً ! سلطانها دولٌ ، وعيشُها رَنِقٌ[6] ، وعذبها

---

١ أوبى : صار وبيئاً .

٢ الغضارة : النعمة والسعة والخصب .

٣ في جناح امن : اي في ظل امن ، مستوراً وموقى من الاذى . القوادم : عشر ريشات في مقدم جناح الطائر ، وهي كبار الريش ، واحدتها قادمة . والمراد أن الراكب عليها يكون في خوف لانه يخشى السقوط .

٤ الازواد : جمع الزاد .

٥ يوبقه : يهلكه .

٦ رنق : كدر ، بكسر النون .

أجاجٌ[1]، وحُلوُها صبِرٌ[2]، وغذاؤها سِمامٌ[3]، وأسبابها رِمامٌ[4]. حيُّها بِعُرض[5] موتٍ، وصحيحُها بِعُرضِ سُقمٍ. ملكُها مسلوبٌ، وعزيزُها مغلوب، وموفورُها[6] منكوب، وجارُها محرُوب[7].

ألستم في مساكنِ مَن كان قبلكم أطولَ أعماراً، وأبقى آثاراً، وأبعدَ آمالاً، وأعدَّ عديداً، وأكثفَ جنوداً؟ تعبَّدوا للدُّنيا أيَّ تعبُّد، وآثروها أيَّ إيثارٍ، ثم ظعنوا عنها بغيرِ زادٍ مُبلِّغٍ، ولا ظَهرٍ قاطعٍ[8]! فهل بلغكم أنَّ الدنيا سَخَت لهم نفساً بِفِديةٍ، أو أعانتهم بمعونةٍ، أو أحسنت لهم صُحبةً؟ بل أرهقتهم بالفوادح، وأوهنتهم بالقوارع، وضعضعتهم بالنوائب، وعفَّرتهم للمناخرِ، ووطِئتهم بالمناسم، وأعانت عليهم ريبَ المنون[9]!

---

١ اجاج : حارق بملوحته .

٢ الصبر : عصارة شجر مر .

٣ السمام : جمع السم .

٤ الاسباب : الحبال . الرمام : جمع الرمة ، وهي القطعة البالية من الحبل .

٥ بعرض : بجانب .

٦ موفورها : اي ذو الوفر والثروة .

٧ محروب : مسلوب .

٨ ظهر قاطع : اي ظهر مطية تقطع براكبها الطريق .

٩ ريب المنون : صرف الدهر .

فقد رأيتم تنكُّرها لمن دان لها وآثَرَها ، وأخلد لها ! حتى ظعنوا عنها لفراقِ الأبدِ ! وهل زوَّدتهم إلا السَّغَبَ[1] ، أو أحلَّتهم إلا الضَّنْكَ ، أو نوَّرت لهم إلا الظُّلمةَ ، أو أعقبتهم إلا الندامةَ ؟ أفهذه تؤثِرون ، أم اليها تَطمئِنُّون ، أم عليها تحرِصون ؟ فبئستِ الدَّارُ لمن لم يتَّهمْها ، ولم يكن فيها على وجلٍ منها ! فاعلموا ، وأنتم تعلمون ، بأنَّكم تاركوها ، وظاعنون عنها ؛ واتَّعِظوا فيها بالذين قالوا : « مَن أشدُّ منا قوَّةً ! » حُمِلوا إلى قبورِهم فلا يُدعَون رُكباناً ، وأُنزِلوا الأجداثَ فلا يُدعَون ضِيفاناً ، وجُعِل لهم منَ الصفيح أجنانٌ[2] ، ومنَ التراب أكفانٌ ، ومن الرُّفات جيران ؛ فهم جيرةٌ لا يجيبون داعياً ، ولا يمنعون ضيماً ، ولا يبالون مَندَبةً[3] . إن جِيدُوا[4] لم يفرحوا ، وإن قُحِطوا لم يقنَطوا . جميعٌ وهم آحادٌ ، وجيرةٌ وهم أبعادٌ . متدانونَ لا يتزاورون ، وقريبون لا يتقاربون . حُلماء قد ذهبت أضغانُهم ، وجُهلاء

---

١ السغب : الجوع .

٢ الصفيح : وجه كل شيء عريض ، والمراد وجه الارض . وفسره ابن ابي الحديد بمعنى الحجارة . الاجنان : القبور ، واحدها جنن .

٣ المندبة : الندب على الميت .

٤ جيدوا : اي جادهم المطر .

قـد ماتت أحقـادُهم . لا يُخشى فجعُهم ، ولا يرجى دفعُهم . استبدلوا بظَـهرِ الأرضِ بطناً ، وبالسَّعةِ ضِيقاً ، وبالأهلِ غربةً ، وبالنور ظُلمةً ؛ فجاؤوها كما فارقوها حُفاةً عراةً ، قد ظعنوا عنها بأعمالِهم إلى الحياةِ الدائمةِ ، والدارِ الباقيةِ ، كما قال سبحانه : « كما بدأنا أوَّلَ خلقٍ نُعيدُه ، وعداً علينا ، إنا كنا فاعلين . »

قيام الساعة

فالله ، الله ، عباد الله ! فإن الدنيا ماضية بكم على سنن[1] ، وأنتم والساعة في قرن[2] . وكأنها قد جاءت بأشراطها ، وأزفت بأفراطها[3] ، ووقفت بكم على صراطها . وكأنها قد اشرفت بزلازلها ، وأناخت بكلاكلها[4] ، وانصرمت الدنيا بأهلها ، وأخرجتهم من حضنها ، فكانت كيوم مضى ، أو شهر انقضى ، وصار جديدها رثاً ، وسمينها غثاً[5] . في موقف ضنك المقام ، وأمور مشتبهة عظام ، ونار شديد كلبها[6] ، عال لجبها ، ساطع لهبها ، متغيظ زفيرها ، متأجج سعيرها ، بعيد خمودها ، ذاك[7] وقودها ، مخيف وعيدها ،

---

١ السنن : نهج الطريق ووجهه .

٢ القرن : الحبل يجمع به البعيران .

٣ الاشراط : العلامات . الافراط : الاعلام ، اي الدلائل .

٤ كلاكلها : صدورها .

٥ الغث : الهزيل .

٦ الكلب : الغضب والهياج بما يشبه الجنون ، والاكل الكثير بلا شبع .

٧ ذاك : شديد اللهب .

غمٍّ قرارُها[1] ، مُظلمة أقطارها ، حامية قُدورُها ، فظيعةٍ أمورُها : « وسيق الذين اتقوا ربَّهم إلى الجنةِ زُمَرًا . » قد أمِنَ العذابُ ، وانقطع العتابُ ، وزُحزحوا عن النارِ ، واطمأنت بهم الدارُ ، ورضوا المثوى والقرارَ . الذين كانت أعمالهم في الدنيا زاكيةً ، وأعينُهم باكيةً ؛ وكان ليلُهم في دنياهم نهاراً ، تخشُّعاً واستغفاراً ؛ وكان نهارهم ليلاً ، توحُّشاً وانقطاعاً . فجعلَ الله لهم الجنةَ مآباً ، والجزاء ثواباً ، وكانوا أحقَّ بها وأهلَها ، في مُلكٍ دائمٍ ، ونعيمٍ قائمٍ .

فارعوا ، عبادَ اللهِ ، ما برعايتِه يفوزُ فائزُكم ، وباضاعته يخسرُ مُبطِلكم ؛ وبادروا آجالَكم بأعمالِكم ، فإنكم مُرتهَنون بما أسلفتم ، ومَدينون بما قدَّمتم ، وكأن قد نزل بكم المخُوفُ فلا رجعةً تنالون ، ولا عَثرةً تُقالون . استعملَنا الله وإياكم بطاعتِه وطاعةِ رسولِه ، وعفا عنا وعنكم بفضل رحمتِه !

---

١ غم قرارها : اي ذو غم وكرب ، او شديد الحر .

بين الدنيا والاخرة

من كتاب بعث به الى عبد الله بن عباس ، وكان ابن عباس يقول :
ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله كانتفاعي بهذا الكلام.

أما بعدُ ، فإن المرء قد يسرُّه دركُ ما لم يكن ليفوتَه ؛ ويسوءُه فوتُ ما لم يكن ليدرِكَه ؛ فليكن سرورك بما نلت من آخرَتِك ، وليكن أسفُك على ما فاتَك منها . وما نلتَ من دنياك فلا تُكثِرْ به فرحاً ، وما فاتَك منها فلا تأس عليه جزعاً ؛ وليكن همُّكَ فيما بعد الموت .

ضاحك في جنازة

وتبع جنازة فسمع رجلا يضحك فقال :

كأنَّ الموتَ فيها على غيرِنا كُتِب ، وكأنَّ الحقَّ فيها على غيرِنا وجَب ، وكأنَّ الذي نرى من الأمواتِ سَفْرٌ عما قليلٍ إلينا راجعون ! نُبَوِّئُهم أجداثَهم ، ونأكلُ تُراثَهم ، كأنّا مخلَّدون بعدهم . ثم قد نسينا كلَّ واعظٍ وواعظةٍ ، ورُمينا بكلِّ جائحةٍ[1] !

---

[1] الجائحة : الآفة المهلكة .

الدنيا والاخرة عدوان

ورئي عليه ازار خلق مرقوع ، فقيل له في ذلك ، فقال :

يخشعُ له[1] القلب ، وتَذلُّ به النفسُ ، ويقتدي به المؤمنون. إنّ الدنيا والآخرةَ عدُوانِ متفاوتانِ ، وسبيلان مختلفان ؛ فمن أحبَّ الدنيا وتولاّها ، أبغضَ الآخرةَ وعاداها . وهما بمنزلةِ المشرقِ والمغربِ ، وماشٍ بينهما ، كلما قرُب من واحدٍ بعُد من الآخر ؛ وهما بعدُ ضرّتان !

عجب !

عجبتُ للبخيلِ يستعجلُ الفقرَ الذي منه هربَ ، ويفوته الغنى الذي إياه طلبَ ، فيعيشُ في الدنيا عيشَ الفقراء ، ويحاسبُ في الآخرةِ حسابَ الأغنياء . وعجبت للمتكبّرِ الذي كان بالأمسِ نُطفةً ويكون غداً جيفةً . وعجبتُ لمن شكَّ في الله وهو يرى خلقَ الله . وعجبت لمن نسيَ الموتَ وهو يرى الموتى . وعجبتُ لمن أنكر النشأةَ الأخرى وهو يرى النشأةَ الأولى . وعجبتُ لعامرِ دارِ الفناء ، وتاركِ دارِ البقاء !!

---

١ يخشع له : اي للازار الخلق المرقوع .

حديث القبور

قال ، وقد اشرف على القبور بظاهر الكوفة ، بعد رجوعه من صفين :

يا أهلَ الدّيارِ الموحِشةِ ، والمحالّ المقفِرةِ ، والقبور المظلِمةِ ؛ يا أهلَ التربةِ ؛ يا اهل الغربة ؛ يا أهلَ الوَحدَة ؛ يا أهل الوَحشة ، أنتم لنا فرَطٌ[1] سابقٌ ، ونحن لكم تبَعٌ لاحقٌ. أما الدُّورُ فقد سُكنتْ ، وأما الأزواجُ فقد نُكحت ، وأما الأموالُ فقد قُسمت . هذا خبرُ ما عندنا فما خبرُ ما عندكم ؟

ثم التفت الى اصحابه فقال :

أما لو أُذن لهم في الكلامِ لأخبروكم : أنّ خيرَ الزّادِ التقوى .

بين عملين

شتّانَ ما بين عملينِ : عملٌ تذهبُ لذّتُه وتبقى تَبِعتُه ، وعملٌ تذهبُ مؤونتُه ويبقى أجرُه .

نداء الملك

إنّ لله مَلَكاً ينادي في كل يومٍ : لِدُوا للموت ، واجمعوا للفناء ، وابنوا للخراب !

---

١ الفرط : المتقدم .

فهرست

الدينيات

صفات الله وعجيب خلقه

كتاب الله

في الايمان والكفر

الدنيا والآخرة

مناهل الادب العربي

١ جبران خليل جبران
٢ ميخائيل نعيمه
٣ احمد فارس الشدياق
٤ ولي الدين يكن
٥ أمين الريحاني
٦ ابو العلاء المعري – رسالة الغفران ١
٧ أبو العلاء المعري – رسالة الغفران ٢
٨ أبو العلاء المعري – كتب مختلفة
٩ أبو العلاء المعري – اللزوميات ١
١٠ ابو العلاء المعري – اللزوميات ٢
١١ بطرس البستاني
١٢ ابرهيم اليازجي*
١٣ ابرهيم اليازجي**
١٤ الشريف الرضي*
١٥ الشريف الرضي**
١٦ الشريف الرضي***
١٧ كرم ملحم كرم
١٨ الموشحات الاندلسية*
١٩ الموشحات الاندلسية**
٢٠ الموشحات الأندلسية***

٢١ ابن خلدون – المقدمة *
٢٢ ابن خلدون – المقدمة **
٢٣ ابن خلدون – المقدمة ***
٢٤ ابن خلدون – المقدمة ****
٢٥ ابن خلدون – المقدمة *****
٢٦ الامام علي – نهج البلاغة *

مناهل الأدب العربي

٢٧

مختارات من

الإمام علي

نهج البلاغة

**

مكتبة صادر
بيروت

مطبعة المناهل : ٤٤ — ١٩٥٠

سياسة الخلافة

قبل مبايعته

الخطبة الشقشقية[1]

أما والله لقد تقمّصها ابن ابي قُحافة[2] ، وإنه لَيعلم أنّ محلّي منها محلُّ القُطبِ[3] منَ الرَّحى ، ينحدرُ عني السيلُ[4] ، ولا يرقى إليَّ الطيرُ . فسدلتُ دونها ثوباً[5] ، وطَويتُ عنها كشحاً[6] . وطفِقتُ أرتئي بين أن أصُولَ بيدٍ جذّاء[7] ، أو

١ سميت الشقشقية لقوله فيها : شقشقة هدرت ثم قرت .

٢ تقمصها : لبسها كالقميص ، والضمير يعود على الخلافة. ابن ابي قحافة : اي ابو بكر ، هذه رواية ابن ابي الحديد ، ورواها الشيخ محمد عبده : تقمصها فلان ، والمراد ايضاً ابو بكر .

٣ القطب : حديدة تدور عليها الرحى .

٤ ينحدر عني السيل : اي الخير والفضل ، يشير الى قرابته للنبي .

٥ سدلت دونها ثوبا : اي ارخيت دونها حجاباً .

٦ طويت عنها كشحاً : اي ملت عنها ، وقطعتها . والكشح : ما بين الخاصرة الى الضلع الخلف .

٧ جذاء : مقطوعة .

أصبرَ على طَخيةٍ عمياء[1] ، يهرَمُ فيها الكبيرُ ، ويشيب فيها الصغير ، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربَّه . فرأيت أنّ الصبر على هاتا[2] أحجى ، فصبرت وفي العين قذًى ، وفي الحلقِ شجاً ، أرى تراثي نهباً ، حتى مضى الأولُ لسبيلِه ، فأدلى بها الى ابن الخطاب[3] بعدَه :

شتّانَ ما يومي على كورِها ، ويومُ حيّانَ أخي جابرِ[4]

فيا عجبا ! بينا هو يستقيلُها[5] في حياته ، إذ عقدها لآخرَ بعدَ وفاتِه ، لَشدَّ ما تشطّرا[6] ضرعيها . فصيّرها في حوزة

---

١ الطخية : الظلمة .

٢ هاتا : بمعنى هذه ، الهاء للتنبيه ، وتا للاشارة بمعنى ذي .

٣ ابن الخطاب : رواية ابن ابي الحديد ، وفلان : رواية الشيخ محمد عبده .

٤ البيت للاعشى . كورها : اي رحل الناقة . حيان : كان سيداً من بني حنيفة واسع النعمة ، وكان الاعشى ينادمه ، وله اخ اصغر منه يقال له جابر . يظهر هنا الفرق بين حالته في السفر على كور ناقته ، وحالته في الدعة والسكون وهو ينادم حيان . وتمثل الامام بهذا البيت لتبيان حالته في الخلافة الاولى والثانية .

٥ يستقيلها : روي ان ابا بكر قال بعد البيعة :« اقيلوني فلست بخيركم. » ومن الناس من انكر ذلك ولم يروه ، وانما روى قوله : وليتكم ولست بخيركم .

٦ لشد ما : شد بمعنى ما اشد للتعجب ، واللام للتوكيد ، وما مصدرية ، اي ما اشد ما . تشطرا : اي اقتسما.

خشناء يَغلُظُ كَلامُها[1]، ويخشُنُ مسُّها، ويكثرُ العِثارُ فيها، والاعتذار منها. فصاحبُها كراكبِ الصّعبةِ، إنْ أشنقَ لها خرمَ[2]، وإن أسلس لها تقحّمَ[3]. فمُنيَ الناسُ، لعمرُ اللهِ، بخبطٍ وشِماسٍ[4]، وتلوُّنٍ واعتراضٍ. فصبرتُ على طول المدّةِ، وشِدّةِ المحنةِ؛ حتى اذا مضى لسبيله جعلَها في جماعة زعم أني أحدُهم[5]، فيا لله وللشُّورى، متى اعترض الرَّيبُ فيّ مع الاولِ منهم حتى صرتُ أُقرَنُ إلى هذه النظائرِ! لكني أسففتُ إذ أسفُّوا[6]، وطِرتُ إذ طاروا، فصغى رجلٌ منهم

---

١ الحوزة: الناحية. الكلام بالضم: الارض الغليظة. ورواها ابن ابي الحديد كلمها، اي جرحها.

٢ الصعبة: من الابل ما ليست بذلول. اشنق البعير وشنقه: كفه بزمامه حتى ألصق اذنه بقادمة الرحل، او رفع رأسه وهو راكبه. وقوله: أشنق لها، ليقابل بها اسلس لها، ومثل هذا كثير في كلامهم. خرم: اي خرم انفها بشده.

٣ تقحم: رمى بنفسه في الامر العظيم من غير روية وتثبت، والمراد: تعرض للخطر.

٤ مني: بلي واصيب. الخبط: السير على غير جادة. الشماس: النفار.

٥ جعل عمر بن الخطاب قبل وفاته مجلس شورى للخلافة من ستة اشخاص بينهم علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان، فتشاوروا فيما بينهم، وبايعوا عثمان بعد جدال.

٦ اسف الطائر: دنا من الأرض في طيرانه، والمراد: فعلت مثلما فعلوا.

لِضِغْنِه[١]، ومالَ الآخرُ لِصِهْرِه[٢]، مع هَنٍ وهنٍ[٣]؛ الى أنْ قام ثالثُ القومِ نافجاً حِضْنَيهِ بين نثيلِه ومُعتلَفِه[٤]، وقام معه بنو أبيه يخضمون[٥] مالَ الله خَضمَةَ الابلِ نِبتَةَ الرَّبيع، إلى أنِ انتكثَ فتلُه[٦]، وأجهز عليه عملُه، وكبتْ به بِطنتُه[٧]. فما راعني إلا والناسُ كعُرفِ الضَّبُعِ اليَّ، ينثالون[٨] عليَّ من كلِّ جانب؛ حتى لقد وُطىء الحسنانِ، وشُقّ[٩]

---

١ صغى: مال. رجل: قيل اراد به سعد بن أبي وقاص، وسبب ضغنه ان الامام قتل أخواله صناديد قريش من بني عبد شمس يوم بدر.

٢ الآخر: اي عبد الرحمن بن عوف، وكان صهراً لعثمان، زوج اخته لامه.

٣ هن وهن: شيء وشيء، والمراد أمور لا يحسن التصريح بها.

٤ ثالث القوم: اي عثمان. نافجاً: رافعاً. يقال: جاء نافجاً حضنيه، للمتكبر، ولمن امتلأ بطنه من الطعام، والمعنى الاخير هو المقصود. النثيل: الروث. المعتلف: موضع العلف.

٥ يخضمون: أي يأكلون ملء افواههم.

٦ انتكث فتله: أي انتقض أمره، من فتل الحبل.

٧ البطنة: الاسراف في الشبع.

٨ عرف الضبع: ما على عنقها من الشعر وهو ثخين يضرب به المثل في الازدحام. ينثالون: يتتابعون مزدحمين، والمراد انهم ينثالون لمبايعته على الخلافة.

٩ الحسنان: اي ولداه الحسن والحسين. شق عطفاي: اي خدش جانباي من شدة الزحام.

عِطفايَ ، مجتمِعينَ حولي كربيضةِ الغنمِ [1]. فلما نهضت بالأمر نَكثَتْ طائفةٌ ومَرقَتْ أُخرى ، وقَسطَ آخرون [2] كأنهم لم يسمعوا كلامَ الله حيث يقول : « تلكَ الدّارُ الآخرة نجعلُها للذين لا يريدون عُلوّاً في الأرضِ ولا فساداً ، والعاقبةُ للمتّقين . » بلى ، والله ! لقد سمِعوها ووعَوها ، ولكنهم حَليتِ الدنيا في أعينِهِمْ وراقهم زِبرِجُها [3] . أما والذي فلق الحبّةَ ، وبرأ النّسَمةَ ، لولا حُضورُ الحاضرِ وقيام الحُجةِ بوجود الناصرِ [4] ، وما أخذ اللهُ على العلماء أن لا يُقارُّوا على كِظّةِ ظالمٍ ، ولا سغَبِ مظلومٍ [5] ، لألقيتُ حبلَها على غاربِها [6] ، ولسقيتُ آخرَها بكأسِ أوّلِها ، ولألفيتم دنياكم

---

١ ربيضة الغنم : اي الطائفة الرابضة من الغنم ، يصف شدة ازدحامهم حوله ، وجثومهم بين يديه .

٢ نكثت طائفة : اي الذين حاربوه يوم الجمل . ومرقت اخرى : اي الخوارج . قسط : جار ، وقوله : وقسط آخرون ، اي الذين حاربوه يوم صفين .

٣ زبرجها : زينتها .

٤ لولا حضور الحاضر : اي من حضر لبيعته . الناصر : اي الجيش الذي ناصره .

٥ ان لا يقاروا : من قاره على الشيء اي قر وسكن معه . الكظة : ما يعتري الانسان من الثقل عند امتلاء البطن من الطعام . السغب : الجوع .

٦ الغارب : الكاهل ، والمراد : تركت الخلافة وشأنها ، لا راعي لها .

هذه أزهدَ عندي من عَفطةِ عنزٍ[١] .

قالوا : وقام اليه رجل من اهل السواد (اي العراق) عند بلوغه الى هذا الموضع من خطبته فناوله كتاباً ، فأقبل ينظر فيه . قال له ابن عبـــاس رضي الله عنهما : يا امير المؤمنين ، لو اطردت خطبتك من حيث افضيت . فقال الامام :

هيهات يابنَ عباسٍ ، تلك شِقشِقةٌ[٢] هدرت ثم قرّت !

قال ابن عباس : فوالله ما اسفت على كلام قط كأسفي على هذا الكلام أن لا يكون امير المؤمنين ، عليه السلام ، بلغ منه حيث اراد .

---

١ عفطة عنز : اي عطسة عنز . ويكثر استعمال العفطة للنعجة ، والنفطة للعنز .

٢ الشقشقة : شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه اذا هاج ، وصوته عند اخراجها يسمى الهدير . ويقال : خطيب ذو شقشقة ، على تشبيه بالفحل عند هديره .

معنى قتل عثمان

لو أمرتُ به لكنتُ قاتلاً ، أو نهيتُ عنه لكنت ناصراً[1] ، غير أنَّ مَن نصَره لا يستطيعُ أن يقولَ : خذلَه مَن أنا خيرٌ منه ، ومَن خذله لا يستطيعُ أن يقولَ : نصَره مَن هو خيرٌ مني[2]. وأنا جامعٌ لكم أمرَه : استأثرَ فأساء الأثرةَ ، وجزعتم فأسأتم الجزعَ[3]، ولله حكمٌ واقعٌ في المستأثرِ والجازعِ !

---

١ ناصراً : اي ناصراً له . اراد انه لم يأمر بقتل عثمان ، ولا نصره بسيفه .

٢ يقول : ان الذين خذلوه افضل من الذين نصروه . فالذين خذلوه هم المهاجرون والانصار ، والذين نصروه دون هؤلاء فضلا وتدينا كمروان بن الحكم وامثاله من الامويين .

٣ استأثر : اي استبد بالامر . جزعتم : اي فقدتم الصبر . فأسأتم الجزع : اي لم تحسنوا التصرف في جزعكم ، فقتلتموه .

اتهامه بقتل عثمان

بلغه اتهام بني امية له بالمشاركة في دم عثمان ، فقال :

أولَمْ ينهَ أميّةَ علمُها بي عن قرْفي[1] ؟ اوما وزَع الجهالَ سابقتي عن تُهمتي ؟ ولَمَا[2] وعظَهم الله به أبلغُ من لساني ! أنا حجيجُ المارقينَ[3]، وخصيمُ المرتابينَ ، وعلى كتابِ الله تُعرضُ الأمثالُ[4] ، وبما في الصدور تجازى العبادُ .

---

١ قرفي : اتهامي وعيبي .

٢ لما : اللام للتأكيد ، وما موصول مبتدأ .

٣ الحجيج : الخصيم ذو الحجاج والخصومة . المارقين : اي الخارجين من الدين .

٤ الامثال : الحجج ، واحدها مثل بالتحريك .

ابعاد ابي ذر

كان ابو ذر من كبار الصحابة ، ومن الذين حدثوا عن الرسول ، وكان لا يخشى في الحق لومة لائم ، فلما اعطى عثمان مروان بن الحكم وغيره بيوت الاموال ، جعل ابو ذر يقول بين الناس وفي الطرقات والشوارع : بشر الكافرين بعذاب اليم ! ويرفع بذلك صوته ،ويتلو الآية : والذين يكنزون الذهب والفضة ، ولا ينفقونها في سبيل الله ، فبشرهم بعذاب اليم ! فرفع امره الى عثمان ، فنهاه ، فلم ينته . واتفق ذات يوم ان عثمان قال والناس حوله: ايجوز للامام ان يأخذ من المال شيئاً قرضاً ، فاذا ايسر قضى ؟ فقال كعب الاحبار : لا بأس بذلك . فقال ابو ذر : يابن اليهوديين اتعلمنا ديننا ؟! فامر عثمان باخراج ابي ذر الى الشام . فلما جاء دمشق اخذ ينكر على معاوية اشياء يفعلها . فلما بنى الدار الخضراء بدمشق ، قال له ابو ذر : يا معاوية ، ان كانت هذه من مال الله فهي الخيانة ، وان كانت من مالك فهي الاسراف . وما زال كذلك حتى أمر معاوية بحبسه ، وكتب الى عثمان يطلعه على خبره ، فاستقدم عثمان ابا ذر الى المدينة ، ثم أمر بابعاده عنها ، ومنع الناس ان يكلموه ، ويشيعوه . فخرج ابو ذر الى الربذة ، وهي قرية على ثلاثة اميال من المدينة على طريق الحجاز ، وتحاماه الناس الا علي بن ابي طالب

وعقيلا اخاه والحسن والحسين وعمار بن ياسر فانهم خرجوا معه يشيعونه ، فجعل الحسن يكلم ابا ذر ، فقال مروان : ايها يا حسن ! ألا تعلم ان امير المؤمنين قد نهى عن كلام هذا الرجل ؟ فان كنت لا تعلم ، فاعلم ذلك . فحمل علي على مروان ، فضرب بالسوط بين اذني فرسه وقال له : تنح ، لحاك الله ، الى النار ! فرجع مروان مغضباً الى عثمان فاخبره الخبر ، فتلظى على علي . ووقف ابو ذر ، فودعه القوم ، فقال له الامام علي :

يا أبا ذرّ ، إنك غضِبتَ لله فارجُ مَن غضِبتَ له . إن القومَ خافوكَ على دنياهم ، وخفتَهم على دينكَ ، فاترُكْ في أيديهم ما خافوكَ عليه ، واهربْ بما خِفتَهم عليه ؛ فما أحوجَهم الى ما منعتَهم ، وما أغناكَ عما منعوك ! وستعلمُ مَن الرّابحُ غداً ، والأكثرُ حسّداً ! ولو أنّ السمواتِ والأرضَ كانتا على عبدٍ رَتْقاً[1] ثم اتقى اللهَ ، لجعلَ اللهُ له منهما مخرجاً . لا يؤنسنّكَ إلا الحقُّ ، ولا يوحشنّكَ إلا الباطلُ ، فلو قبلتَ دنياهم لأحبّوكَ ، ولو قرضتَ منها[2] لأمِنوكَ .

---

١ رتقاً : سداً ، اي مسدودتين .

٢ لو قرضت منها : اي لو اخذت شيئاً من دنياهم .

تحذيره لعثمان

اجتمع الناس الى الامام علي ، وشكوا اليه ما نقموه على عثمان ، وسألوه مخاطبته عنهم ، واستعتابه لهم ، فدخل عليه فقال :

إنَّ الناسَ ورائي ، وقد استسفروني[1] بينك وبينهم ، ووالله ما أدري ما أقولُ لك ! ما أعرفُ شيئاً تجهلُه ، ولا أدلُّك على شيء لا تعرفُه . إنك لَتعلمُ ما نعلمُ ، ما سبقناك إلى شيء فنخبرَكَ عنه ، ولا خلونا بشيء فنبلِغكَه ، وقد رأيت كما رأينا ، وسمِعتَ كما سمِعنا ، وصحبتَ رسول الله كما صحبنا . وما ابنُ ابي قُحافةَ ولا ابنُ الخطابِ أولى بعملِ الحقّ منك ، وأنت أقربُ الى رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وشيجةَ[2] رحمٍ منهما ، وقد نلتَ من صِهره[3] ما لم ينالا ، فاللهَ اللهَ[4] في نفسك ! فإنك ، والله ،

---

١ استسفروني : جعلوني سفيراً .

٢ الوشيجة : اشتباك القرابة. وكان عثمان من بني امية بن عبد شمس بن مناف ، رابع اجداد النبي . وكان ابو بكر من بني تيم بن مرة ، سابع اجداد النبي . وكان عمر من بني عدي بن كعب ، ثامن اجداد النبي .

٣ صهره : لان عثمان تزوج بنتي الرسول ، رقية وام كلثوم .

٤ الله الله : اي فاحذر الله ، وراقبه .

ما تُبَصَّرُ من عمىً ، ولا تُعَلَّمُ من جهلٍ ! وإنَّ الطُرُقَ لواضحةٌ ، وإنَّ أعلامَ الدينِ لقائمةٌ ! فاعلم أنَّ أفضلَ عبادِ الله ، عند الله ، إمامٌ عادل هُدِيَ وهَدى ، فأقام سُنَّةً معلومةً ، وامات بدعةً مجهولة . وإنَّ السُّنَنَ لنيرةٌ لها أعلامٌ[1] ، وإن البِدعَ لظاهرة لها أعلام ؛ وإنَّ شرَّ الناس ، عند الله ، إمامٌ جائرٌ ضلَّ وضُلَّ به ، فأمات سُنَّةً مأخوذةً ، وأحيا بدعةً متروكة !

وإني سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، يقول: « يؤتى يوم القيامةِ بالامام الجائر وليس معه نصيرٌ ولا عاذر ، فيُلقى في نارِ جهنمَ ، فيدورُ فيها كما تدور الرَّحى ؛ ثم يَرتبط في قعرها . » وإني أنشُدك الله أن لا تكونَ إمامَ هذه الأمة المقتولَ ؛ فانه كان يقال : يُقتلُ في هذه الامةِ إمامٌ يفتحُ عليها القتلَ والقتالَ إلى يومِ القيامةِ ، ويُلبِسُ أمورَها عليها ، ويُثبِّتُ الفِتَنَ فيها ، فلا يبصِرون الحقَّ مِنَ الباطلِ ؛ يموجون فيها موجاً ، ويمرجون فيها مرجاً[2] ، فلا تكونَنَّ لمروانَ

---

١ اعلام : اي علامات ودلائل .

٢ المرج : بالتسكين الخلط ، وبالتحريك الفساد ، ويسكن للازدواج في قولهم: الهرج والمرج .

سَيِّقةٌ[1] يسوقُكَ حيث شاء بعد جَلالِ السِّنِّ ، وتَقَضّي العُمُرِ !

وسأله عثمان ان يكلم الناس في تأجيله حتى يصلح امرهم ، فقال :

ما كان بالمدينةِ فلا أجلَ فيه ، وما غاب فأجلُه وصول أمرِكَ اليه .

---

١ السيقة : ما استاقه العدو من الدواب ، وكان مروان كاتباً ومشيراً لعثمان .

مبايعته على الخلافة

استعفاؤه

قبل ان الذين ارادوه على البيعة بعد مقتل عثمان ، طلبوا منه ان يقسم عليهم بيوت الاموال ، فاستعفاهم ، وسألهم ان يطلبوا غيره ، لانه اذا ولي الخلافة ، يسير بها كما يعلم من امرها ، ولا يميل الى قول القائل وعتب العاتب .

دعوني والتمسوا غيري ، فإنا مُستقبِلون أمراً له وجوه وألوان ، لا تقومُ له القلوبُ ، ولا تثبُتُ عليه العقولُ ؛ وإن الآفاق قد أغامت ، والمحجّةَ قد تنكّرت ! واعلموا أني إنْ أجبتُكم ركبتُ بكم ما اعلم ، ولم أصغَ الى قولِ القائل وعتبِ العاتبِ . وإنْ تركتموني فأنا كأحدِكم ، ولعلي أسمعُكم وأطوعُكم لمن وليتموه أمركم ؛ وأنا لكم وزيراً خيرٌ لكم مني أميراً .

اعينوني على انفسكم

قال هذا الكلام بعد بيعته :

لم تكن بَيعتُكم إيايَ فلتة[١] ، وليس أمري وامركم واحداً : إني أريدكم لله ، وأنتم تريدونني لانفسِكم ! ايها الناسُ ، أعينوني على انفسِكم ! وايمُ اللهِ لأنصِفنّ المظلومَ من ظالمِه ، ولأقودنّ الظالمَ بخِزامتِه[٢] ، حتى أورِده منهلَ الحقّ وإنْ كان كارهاً !

---

١ الفلتة : الامر يقع عن غير تدبر ولا روية . قال ابن ابي الحديد : وفي الكلام تعريض ببيعة ابي بكر ، لقول عمر : كانت بيعة ابي بكر فلتة وقى الله شرها .

٢ الخزامة : حلقة من شعر تجعل في انف البعير ، ويجعل فيها الزمام .

الى طلحة والزبير

من كلام قاله لطلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة ، وقد عتبا عليه من ترك مشورتهما ، والاستعانة في الامور بهما :

لقد نقمتُما يسيراً ، وأرجأتما كثيراً[1] ، ألا تُخبراني أيُّ شيء ، لكما فيه حق ، دفعتُكما عنه ؟ وأيُّ قِسمٍ استأثرتُ عليكما به ؟ أم أي حقٍّ رفعَه إليّ أحدٌ من المسلمين ضعفتُ عنه أم جهِلتُه أم أخطأتُ بابَه ؟

والله ، ما كانت لي في الخلافةِ رغبةٌ ، ولا في الولايةِ إربةٌ ، ولكنكم دعوتموني اليها ، وحملتُموني عليها ، فلما أفضت إلي نظرتُ الى كتابِ الله وما وضَع لنا ، وأمرَنا بالحُكم به ، فاتّبعتُه ، وما استنّ النبيُّ ، صلى الله عليه وآله وسلم ، فاقتديتُه . فلم أحتجْ في ذلك إلى رأيكما ، ولا رأي غيركما ، ولا وقع حكمٌ جهِلتُه ، فأستشيركما وإخواني المسلمين ، ولو كان ذلك لم أرغب عنكما ، ولا عن غيركما . وأما ما ذكرتما من أمر

---

١ ارجأتما كثيراً : اي اخرتما ذكر كثير من الحسنات التي لا تدعوكما الى النقمة.

الأسوة[1] ، فانّ ذلك أمرٌ لم أحكم أنا فيه برأيي ، ولا وَلَيتُه هوًى مني ، بل وجدتُ أنا وأنتما ما جاء به رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، قد فُرِغَ منه ، فلم أحتجْ اليكما فيما قد فَرَغَ الله من قَسمِهِ ، وأمضى فيه حُكمَه ؛ فليس لكما ، والله ، عندي ولا لغيركما في هذا عُتبى[2] . أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحقّ ، وألهمنا وإياكم الصبر .

رحمَ الله امرأً رأى حقاً فأعان عليه ، أو رأى جوراً فردّه ، وكان عوناً بالحقّ على صاحبه !

---

١ الاسوة : اي المساواة بين الناس . وكان الامام قد آثر المساواة بين المسلمين في قسمة الاموال ، فلم يعجب ذلك طلحة والزبير ، وكانا يؤثران تفضيل اهل السوابق ، وهما منهم .

٢ العتبى : الرضى ، والرجوع عن الاساءة .

موقعة الجمل

قوة المنطق

ارسل قوم من اهل البصرة رجلاً يقال له كليب الجرمي يستطلع حال الامام مع اصحاب الجمل لتزول الشبهة من نفوسهم ، فبين له امير المؤمنين من امره معهم ما علم به انه على الحق . ثم قال له : بايع ! فقال: اني رسول قوم ، ولا احدث حدثاً حتى ارجع اليهم . فقال له :

أرأيتَ[1] ، لو أنَّ الذين وراءك بعثوك رائداً تبتغي لهم مساقطَ الغيثِ ، فرجعتَ اليهم وأخبرتهم عن الكلأ والماء، فخالفوا الى المعاطشِ والمجادبِ ، ما كنتَ صانعاً ؟

قال : كنت تاركهم ومخالفهم الى الكلأ والماء . فقال الامام :

فامدد إذاً يدَك !

فقال الرجل: فوالله ما استطعت ان امتنع عند قيام الحجة علي ، فبايعته عليه السلام !

---

١ ارأيت : اي اخبرني .

الى اهل الـكوفة

بعث بهذا الكتاب الى اهل الكوفة يحضهم على الجهاد ، عند مسيره من المدينة الى البصرة :

منْ عبدِ اللهِ علي أميرِ المؤمنينَ إلى أهلِ الكوفةِ جبهةِ الأنصار[1] وسَنامِ العربِ !

أما بعدُ ، فإني أخبرُكم عن أمرِ عثمانَ حتى يكونَ سمعُه كعيانِهِ : إنَّ الناسَ طعنوا عليه فكنتُ رجلًا منَ المهاجرين أكثرُ استعتابَه [2] وأقلُّ عتابه . وكان طلحةُ والزُّبيرُ أهونُ سيرِهِما فيه الوجيفُ[3] ، وأرفقُ حدائهما العنيفُ . وكان من عائشة فيه فلتةُ غضبٍ [4] ، فأتيح له قوم فقتلوه ، وبايعني الناسُ غيرَ مستكرَهينَ ولا مجبرين ، بل طائعين مخيَّرين .

---

١ الانصار : اي انصاره .

٢ استعتابه : استرضاؤه .

٣ الوجيف : ضرب من السير سريع . والمراد انهما كانا يمعنان في تحريض الناس عليه والطعن فيه .

٤ قيل ان عائشة حرضت الناس على عثمان .

واعلموا أن دار الهجرة قد قلعت بأهلها وقلعوا بها[1] ، وجاشت جيش المرجل ، وقامت الفتنة على القطب[2] ؛ فأسرعوا الى أميركم ، وبادروا جهاد عدوّكم ، إن شاء الله !

نقائص النساء

قالها بعد حرب الجمل :

معاشرَ الناسِ ، إنّ النساءَ نواقصُ الايمان ، نواقص الحظوظ ، نواقصُ العقولِ . فأما نقصانُ إيمانهنّ ، فقعودهنّ عن الصلاةِ والصيامِ في أيامِ حيضهنّ ؛ وأما نقصانُ عقولهنّ ، فشَهادةُ امرأتين كشهادةِ الرّجلِ الواحدِ . وأما نقصان حظوظهن ، فمواريثهن على الأنصافِ من مواريثِ الرجالِ . فاتّقوا شِرار النّساء ، وكونوا من خِيارهن على حذرٍ ، ولا تطيعوهن في المعروف حتى لا يطمعن في المنكرِ !

---

١ دار الهجرة : اي المدينة . قلعت بهم : اي صارت منزل قلعة بالضم ، يعني منزل رحيل لا يستوطن ، وقلعوا بها : اي فارقوها وانقلعوا عنها .

٢ القطب : المراد به الامام علي نفسه .

الى اهل البصرة

كنتم جندَ المرأةِ وأتباعَ البهيمةِ [1]؛ رغا فأجبتم ، وعقِرَ فهربتم . أخلاقُكم دِقاقٌ ، وعهدكم شِقاقٌ ، ودينكم نِفاق ، وماؤكم زُعاق [2] ، والمقيمُ بينَ أظهُركم مرتهنٌ بذنبه ، والشاخص عنكم متدارَكٌ برحمةٍ من ربهِ . كأني بمسجدِكم كجُؤجؤ [3] سفينةٍ قد بعث الله عليها العذابَ من فوقها ومن تحتها ، وغرق من في ضمنِها !

---

١ المرأة : اي عائشة . البهيمة : جمل عائشة ، وكانت عليه في هودجها تحرض عسكر البصرة على قتال علي .

٢ زعاق : ملح .

٣ الجؤجؤ : الصدر . روي ان البصرة غرقت مرتين ، مرة في ايام القادر بالله ومرة في ايام القائم بامر الله ، ولم يبق الا مسجدها الجامع بارزاً كجؤجؤ السفينة ، فصح ما توقعه لها أمير المؤمنين . قيل جاءها الماء من بحر فارس من جهة الموضع المعروف بجزيرة الفرس ، ومن جهة الجبل المعروف بجبل السنام ، فخربت دورها ، وغرق كل من في ضمنها ، وهلك كثير من اهلها .

حرمة عائشة

من خطاب لاهل البصرة :

فمن استطاع عند ذلك أن يعتَقِلَ نفسَه على الله فليفعل ! فإن أطعتُموني فاني حاملُكم، إن شاء الله، على سبيل الجنةِ، وإن كان ذا مشقةٍ شديدةٍ ومذاقةٍ مريرةٍ .

وأما فلانةُ فأدركها رأيُ النساء، وضِغنٌ غلى في صدرها كمِرجلِ القينِ[1]، ولو دُعيَت لتنالَ من غيري ما أتت إليَّ، لم تفعل . ولها بعدُ حرمتُها الاولى، والحساب على الله !

---

١ القين : الحداد .

في طلحة بن عبيد الله

قد كنتُ وما أُهدَّدُ بالحرب ، ولا أُرهبُ بالضرب ، وانا على ما قد وعدني ربي من النصر . والله ، ما استعجَل متجرداً للطلبِ بدمِ عثمان إلا خوفاً من أن يطالَب بدمه ، لانه مَظِنتُه ، ولم يكن في القومِ أحرصُ عليه[1] منه . فأراد ان يغالطَ بما أجلبَ[2] فيه ليلتبسَ الأمرُ ويقعَ الشكُّ ! ووالله ما صَنع في أمرِ عثمان واحدةً من ثلاث : لئن كان ابنُ عفان ظالماً ، كما كان يزعمُ ، لقد كان ينبغي له أن يؤازرَ قاتليه ، أو أن ينابذَ[3] ناصريه ؛ ولئن كان مظلوماً ، لقد كان ينبغي له أن يكونَ منَ المنهنهينَ عنه[4] والمعذّرين فيه[5] ؛ ولئن كان في شكٍّ من الخَصلتين ، لقد كان ينبغي له أن يعتزله ويركُدَ جانباً ، ويدعَ الناسَ معه . فما فعل واحدةً منَ الثلاثِ ، وجاء بأمرٍ لم يُعرَف بابُه ، ولم تَسلمْ معاذيرُه .

---

١ احرص عليه : اي على سفكه .

٢ أجلب : توعد بشر ، او جمع الجمع .

٣ ينابذ : يناضل .

٤ المنهنهين : اي الزاجرين والكافين .

٥ المعذرين : بتشديد الذال المكسورة ، اي المعتذرين الذين لهم عذر ، ادغمت التاء بالذال .

قتلى قريش

وقال لما مر بطلحة بن عبيد الله ، وعبد الرحمن بن عتاب بن اسيد ، وهما قتيلان يوم الجمل :

لقد أصبح ابو محمدٍ بهذا المكانِ غريباً ! أما والله لقد كنتُ أكرهُ أن تكونَ قريشٌ قتلى تحت بطونِ الكواكبِ . أدركتُ وتري[1] من بني عبدِ منافٍ وأفلتني أعيان[2] بني جمح؛ لقد أتلعوا[3] اعناقهم إلى أمرٍ لم يكونوا أهلَه ، فوُقِصوا[4] دونه.

---

١ وتري : ثأري .

٢ اعيان : وتروى اعيار ، اي حمير .

٣ اتلعوا : رفعوا .

٤ وقصوا : اندقت اعناقهم .

حرب صفين

دعاؤه قبل القتال

اللهمّ رَبّ السقف المرفوع ، والجوّ المكفوفِ[1] ، الذي جعَلته مَغيضاً[2] لليلِ والنهار ، ومجرًى للشمس والقمرِ ، ومختلَفاً للنجومِ السيارةِ ؛ وجعلتَ سُكانَه سِبطاً[3] من ملائكتك لا يسأمون من عبادتكَ ؛ وَربّ هذه الأرضِ التي جعلتها قراراً للانامِ ، ومَدرجاً للهوامّ والأنعامِ[4] ، وما لا يحصى مما يُرى ومما لا يُرى ؛ وربّ الجبالِ الرواسي التي جعلتها للارض اوتاداً وللخلقِ اعتماداً ، إن أظهرتنا على عدوّنا فجنّبنا البغيَ ، وسدّدنا للحقّ ؛ وإن أظهرتهم علينا ، فارزُقنا الشهادةَ واعصِمنا منَ الفتنة !

---

١ المكفوف : اي المجموع بعضه الى بعض .

٢ المغيض : مدخل الماء ومجتمعه في الارض ، استعاره لليل والنهار .

٣ السبط : الامة .

٤ الهوام : الحشرات . الانعام : الابل والشاء .

أين المانعُ للذّمارِ[1]، والغائرُ[2] عند نزولِ الحقائقِ[3] من أهل الحِفاظِ[4] ؟! العارُ وراءكم ، والجنةُ امامكم !

تأخيره القتال

قال ، وقد استبطأ اصحابه اذنه لهم في القتال بصفين :

أما قولُكم: أكلُّ ذلك كراهيةَ الموت ؟! فوالله ما أبالي أدخلتُ الى الموتِ أو خرج الموتُ اليَّ . وأما قولُكم : شكّاً في أهلِ الشامِ[5] ! فوالله، ما دفعتُ الحربَ يوماً إلا وأنا اطمعُ أن تَلحقَ بي طائفةٌ فتهتديَ بي ، وتعشوَ[6] إلى ضوئي ، وذلك أحبُّ إليَّ من أن أقتلَها على ضلالِها ، وإن كانت تبوء بآثامِها[7] .

---

١ الذمار : ما يحامى عنه .
٢ الغائر : ذو الغيرة .
٣ الحقائق : جمع الحقيقة ، وحقيقة الرجل ما يلزمه حفظه ومنعه ويحق عليه الدفاع عنه من اهل بيته .
٤ اهل الحفاظ : اي الذين يحافظون على حقائقهم .
٥ شكاً في اهل الشام : المراد ان الامام يشك في جواز قتال اهل الشام .
٦ تعشو : تقصد النور الذي بدا لها وهي في الليل .
٧ تبوء : ترجع ، والمراد ترجع الى الله بآثامها .

آداب الفروسية

كان يقول لاصحابه في بعض ايام صفين :

معاشرَ المسلمينَ ، استشعِروا الخشيةَ[1] ، وتجلببوا السكينة ، وعَضُّوا على النواجِذِ[2] ، فإنه أنبى للسيوفِ عن الهامِ[3] . وأكمِلوا اللأمةَ[4] ، وقلقلوا السيوفَ في أغمادِها قبل سلّها ، والحَظوا الخَزَرَ[5] ، واطعُنوا الشزْرَ[6] ، ونافِحوا[7] بالظُّبا ، وصِلوا السيوفَ بالخُطا[8] . واعلموا أنكم بعينِ الله ، ومع ابنِ عمِّ

١ استشعروا الخشية : اي اجعلوها شعاركم ، والشعار من الثياب ما يلي الجلد ، واراد بها الخشية من الله .

٢ النواجذ : اضراس العقل ، والعض على النواجذ : كناية عن الصبر والتصلب في الامور .

٣ انبى : من نبا السيف ، اذا لم يقطع ، والمراد ان الصبر في القتال انجى للمحارب من الفشل .

٤ اللأمة : الدرع ، واكمالها أن يزاد عليها البيضة والسواعد .

٥ الخزر : ان ينظر الانسان بمؤخر عينه ، وهي علامة الغضب .

٦ اطعنوا الشزر : اي يميناً وشمالا .

٧ نافحوا : ضاربوا .

٨ بالخطا : اي بخطوكم الى عدوكم .

رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم . فعاوِدوا الكرّ . واستحيوا منَ الفرّ ، فانه عارٌ في الأعقابِ ، ونارٌ يومَ الحسابِ ، وطيبوا عن أنفسِكم نفساً ، وامشوا الى الموتِ مشياً سُجُحاً[١] ؛ وعليكم بهذا السوادِ الاعظمِ ، والرواقِ المطنّبِ[٢] ، فاضربوا ثبَجه[٣] ! فانّ الشيطانَ كامنٌ في كِسرهِ[٤] ، قد قدّم للوثبةِ يداً ، وأخّرَ للنكوصِ رِجلاً ! فصمْداً صمداً[٥] ! حتى ينجلي لكم عمودُ الحقّ « وأنتم الأعلَونَ ، والله معكم ، ولن يَتِرَكم أعمالَكم[٦] . »

---

١ سجحاً : سهلا

٢ المطنب : المشدود بالحبال ، واراد به رواق معاوية ، اي قبته ، وحولها ابطال اهل الشام .

٣ الثبج : الوسط .

٤ الكسر : جانب البيت .

٥ الصمد : القصد ، اي فاصمدوا له صمداً .

٦ يتركم : ينقصكم ، اي ينقصكم جزاء اعمالكم .

الرفق بالنساء

وصيته لجيشه قبل لقاء العدو بصفين

لا تقاتِلوهم حتى يبدأوكم، فإنكم، بحمدِ الله، على حُجةٍ، وتركُكم إياهم حتى يبدأوكم حُجةٌ أُخرى لكم عليهم. فاذا كانت الهزيمةُ، باذنِ الله، فلا تقتلوا مُدبراً، ولا تُصيبوا مُعوراً[1]، ولا تُجهِزوا على جريحٍ، ولا تَهيجوا[2] النساء بأذى، وإن شتَمنَ أعراضَكم، وسببْنَ أمراءكم؛ فإنهنّ ضعيفاتُ القوى والأنفسِ والعقولِ؛ إن كنا لَنؤمر[3] بالكفّ عنهن، وإنهن لمشركاتٌ، وإن كان الرجُلُ ليتناولُ المرأةَ في الجاهليةِ بالفِهرِ[4] أو الهِراوةِ فيُعَيَّرُ بها وعقِبُه من بعدِه.

---

١ المعور: الفارس اذا بدا فيه موضع خلل للضرب، لا يستطيع ان يمنعه ويحميه.

٢ لا تهيجوا: اي لا تثيروا.

٣ لنؤمر: اي يأمرنا الشرع.

٤ الفهر: الحجر ملء الكف.

قتلى صفين

من خطبة له بالكوفة بعد معركة صفين

أيها الناسُ ، إني قد بثثتُ لكم المواعظَ التي وعظ الانبياء بها أممهم ، وأديتُ اليكم ما أدتِ الأوصياء إلى من بعدهم ، وأدبتُكم بسوطي فلم تستقيموا ، وحدوتُكم بالزواجر فلم تستوسِقوا [1] ! لله أنتم ، أتتوقّعون إماماً غيري يطأ بكم الطريقَ ، ويُرشدكم السبيلَ ؟ !

ألا إنه قد أدبر منَ الدنيا ما كان مقبلاً ، وأقبل منها ما كان مدبراً ، وأزمع الترحالَ عبادُ الله الأخيارُ ، وباعوا قليلاً منَ الدنيا لا يبقى، بكثيرٍ منَ الآخرةِ لا يفنى . ما ضرّ إخواننا الذين سُفكت دماؤهم وهم بصِفينَ أن لا يكونوا اليومَ احياء يُسيغون الغُصصَ ، ويشربون الرَّنَق [2] ، قد ، والله ، لقوا الله فوفّاهم أجورهم ، وأحلهم دارَ الأمنِ بعد خوفهم . أين إخواني الذين ركبوا الطريقَ ومضوا على الحقّ ؟ أين عمّارٌ ؟

---

١ لم تستوسقوا : لم تجتمعوا .

٢ الرنق : بسكون النون وكسرها وفتحها : الماء الكدر .

وأين ابنُ التَيِّهانِ ؟ وأين ذو الشهادتين[١]؟ وأين نُظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنية ، وأُبردَ برؤوسِهم[٢] الى الفَجرةِ ؟!

أوّه[٣] على إخواني الذين قرأوا القرآنَ فأحكموه ، وتدبروا الفرض فأقاموه ، أحيوا السُّنةَ ، وأماتوا البدعةَ ؛ دُعوا للجهادِ فأجابوا ، ووثقوا بالقائدِ فاتبَعوه !

ثم نادى باعلى صوته :

الجهادَ الجهادَ عبادَ الله ! ألا وإني مُعسكرٌ في يومي هذا، فمن أراد الرَّواحَ الى الله فليخرج !

---

١ عمار : اي عمار بن ياسر من الصحابة السابقين . ابن التيهان : هو مالك بن عمرو بن الحارث من الصحابة . ذو الشهادتين : هو خزيمة بن ثابت بن الفاكه الانصاري من الاوس ، لقب بذي الشهادتين لان النبي جعل شهادته كشهادة رجلين .

٢ ابرد برؤوسهم : اي حملت رؤوسهم مع البريد .

٣ روي انه قال ذلك بعدما ضرب على لحيته فاطال البكاء .

رسائله الى معاوية

براءته من دم عثمان

من كتاب له الى معاوية

إنه بايعني القومُ الذين بايعوا أبا بكرٍ وعُمرَ وعثمانَ ، على ما بايعوهم عليه ، فلم يكن للشاهدِ أن يختار ، ولا للغائب أن يرُدّ ، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصارِ ؛ فإن اجتمعوا على رجُلٍ وسموه إماماً ، كان ذلك لله رضًى ، فان خرج عن أمرهِم خارجٌ بطعنٍ أو بِدعةٍ ، ردوه الى ما خرج منه ؛ فان أبى ، قاتلوه على اتّباعهِ غيرَ سبيلِ المؤمنين ، وولاه الله ما تولى[1] .

ولَعمري ، يا معاوية ، لئن نظرتَ بعقلِكَ دون هواك ، لَتجدنـي أبرأ الناسِ من دمِ عثمانَ ، ولَتعلمنَّ أني كنتُ في عُزلةٍ عنه ، إلا أن تتجنى ، فتَجنِّ[2] ما بدا لك ؛ والسلام .

---

١ ولاه الله : اي اعرض عنـــه . ما تولى : اي ما ادبر واعرض . والمراد ادبر واعرض عن سبيل المؤمنين .

٢ تجنى عليه : ادعى عليه جناية لم يفعلها . تجن : تستر .

بين السلم والحرب

من كتاب الى جرير بن عبد الله البجلي ، لما ارسله الى معاوية

أما بعد ، فاذا أتاك كتابي ، فاحمِلْ مُعاوية على الفصل وخُذه بالأمرِ الجزمِ ، ثم خيّره بين حربٍ مجليةٍ[1] ، أو سلمٍ مخزيةٍ[2] ، فانِ اختار الحرب فانبِذْ اليه[3] ، وإنِ اختار السِلمَ فخُذ بيعته ، والسلام.

---

١ مجلية : اي تجلي المقهورين عن اوطانهم .

٢ مخزية : لان معاوية امتنع عن البيعة ، واختيار السلم مشروط بها .

٣ فانبذ اليه : من قولهم نبذ اليه عهده ، اي طرحه وابطله وجاهر بالعداء .

سابقة اهل البيت

من كتاب له الى معاوية

فأراد قومُنا[1] قتلَ نبيِّنا ، واجتياحَ[2] أصلِنا ، وهمُّوا بنا الهمومَ ، وفعلوا بنا الأفاعيلَ ، ومنعونا العذبَ[3] ، واحلسونا[4] الخوفَ ، واضطرُّونا الى جبلٍ وعرٍ[5] ، وأوقدوا لنا نار الحربِ . فعزمَ الله لنا على الذَّبِّ عن حوزتِه[6] ، والرَّمْي من وراء حُرمتِه ؛ مؤمنُنا يبغي بذلك الأجرَ ، وكافرُنا يحامي عنِ الأصلِ ، ومن أسلمَ من قريشٍ خِلواً مما نحن فيه بحِلْف يمنعُه ، أو عشيرةٍ تقوم دونه ، فهو من القتلِ بمكانِ أمْنٍ .

وكان رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، إذا احمرَّ

---

١ قومنا : اي قريش في جاهليتها .

٢ الاجتياح : الاستئصال .

٣ العذب : اي العيش او الماء العذب .

٤ احلسونا : الزمونا .

٥ جبل وعر : كناية عن خشونة العيش .

٦ حوزته : ناحيته .

البأس[1] ، وأحجمَ الناسُ ، قدَّم أهلَ بيتِه فوقَى بهم أصحابَه حرَّ الأسنَّةِ والسيوفِ ؛ فقُتل عُبيدةُ بن الحارثِ يوم بدر ، وقُتل حمزةُ يومَ أُحُدٍ ، وقُتل جعفرٌ يومَ مُؤتةَ ، وأراد من لو شئتُ ذكرتُ اسمَه مِثلَ الذي أرادوا منَ الشهادةِ[2] ، ولكنْ آجالُهم عُجِّلت ، ومَنيَّتُه أُجِّلت ، فيا عجبا للدَّهر إذ صِرتُ يُقرنُ بي مَن لم يسعَ بقدمي ، ولم تكن له كسابقتي التي لا يدلي أحدٌ بمثلِها إلا أن يَدعي مدَّعٍ ما لا أعرفُه ، ولا أظنُّ الله يعرفه ! والحمد لله على كل حال !

وأما ما سألتَ من دفعِ قتلةِ عثمان اليك ، فاني نظرت في هذا الأمرِ ، فلم أرَه يسعُني دفعُهم اليك ولا الى غيرك . ولعمري ، لئن لم تَنزِعْ عن غَيِّك وشِقاقك ، لتَعرفنَّهم عن قليلٍ يطلبونك ، لا يكلفونك طلبَهم في بَرٍ ولا بحرٍ ، ولا جبلٍ ولا سهلٍ ، إلا أنه طلبٌ يسوءُك وِجدانُه ، وزَورٌ[3] لا يَسرك لُقيانُه ؛ والسلام لأهلِه !

---

١ احمر البأس : كناية عن اشتداد القتال مما سال من الدماء .

٢ اراد بذلك نفسه .

٣ الزور : الزيارة ، والزائر الواحد والجمع .

دعوة الى البراز

من كتاب الى معاوية

وكيف أنت صانعٌ ، اذا تكشَّفتْ عنك جلابيبُ ما أنتَ فيه من دنيا قد تبهَّجتْ بزينتِها ، وخَدعتْ بلذَّتِها ؟ دعتكَ فأجبتَها ، وقادتك فاتَّبعتَها ، وأمرتْكَ فأطعتَها . وإنه يوشِكُ أن يقِفكَ واقفٌ على ما لا يُنجيكَ منه مِجَنٌّ[١] ، فاقعَسْ[٢] عن هذا الأمر ، وخذ أُهبةَ الحسابِ ، وشمِّرْ لما قد نزل بك ، ولا تُمكِّنِ الغُواةَ من سمعِك ؛ وإلا تفعلْ أُعلِمْكَ ما أغفلتَ من نفسِك . فانكَ مُترَفٌ قد أخذ الشيطان منك مأخذَه ، وبلغ فيك أملَه ، وجرى منك مجرى الروحِ والدم. ومتى كنتم[٣] يا مُعاويةُ ساسة الرعيةِ ، وولاة أمرِ الأمةِ ،

١ يقفك : يطلعك . واقف : قيل اراد به الله ، وقيل اراد به الموت ، ويجوز ان يكون اراد به نفسه ، لقوله بعد ذلك : والا تفعل اعلمك . المجن : الترس .

٢ اقعس : تأخر .

٣ كنتم : اي انت وقومك بنو امية .

بغير قدم سابقٍ ، ولا شرفٍ باسقٍ ؟ ونعوذ بالله من لزوم سوابقِ الشقاء ! وأحذرك أن تكونَ متمادياً في غِرةِ[1] الأمنية مختلفَ العلانية والسريرة .

وقد دعوتَ الى الحربِ فدع الناس جانباً واخرجْ إلي ، وأعفِ الفريقين منَ القتالِ ، لِيُعلَم أيُّنا المَرين[2] على قلبه والمغطى على بصره . فأنا أبو حسنٍ قاتلُ جدك وخالِك وأخيك شدخاً[3] يومَ بدرٍ ، وذلكَ السيفُ معي ، وبذلك القلب ألقى عدوّي ! ما استبدلتُ ديناً ، ولا استحدثتُ نبياً ، وإني لعلى المنهاجِ[4] الذي تركتموه طائعين ، ودخلتم فيه مكرهين !

وزعمتَ أنك جئتَ ثائراً بعثمانَ ، ولقد علمتَ حيث وقع دمُ عثمانَ ، فاطلبه من هناك إن كنت طالباً ؛ فكأني قد رأيتك تضجُ منَ الحرب إذا عضتك ضجيجَ الجمالِ بالأثقال ؛ وكأني بجماعتِك تدعوني ، جزعاً من الضربِ المتتابعِ ، والقضاء الواقع ، ومَصارعَ بعد مصارعَ ، الى كتابِ الله وهي كافرةٌ جاحدة ، أو مبايعةٌ حائدة !

---

١ الغرة : الغفلة والغرور .

٢ المرين : المغلوب ، يقال ران ذنبه على قلبه .

٣ جد معاوية لامه : عتبة بن ربيعة . خاله : الوليد بن عتبة . اخوه : حنظلة ابن أبي سفيان . شدخاً : كسراً ، يقال شدخ رأسه .

٤ المنهاج : اي منهاج الدين .

بين محق ومبطل

من كتاب الى معاوية جواباً عن كتاب منه اليه

فأما طلبُكَ إليَّ الشامَ ، فاني لم أكن لأعطيَكَ اليومَ ما منعتُكَ أمسِ ؛ وأما قولُكَ : « إنَّ الحربَ قد أكلتِ العرب إلا حُشاشاتِ أنفسٍ بقيت . » ألا ومن أكلَه الحقُّ فالى الجنةِ ، ومَن أكله الباطلُ فالى النار ! وأما استِواؤنا في الحربِ والرجال ، فلستَ بأمضى على الشكِّ مني على اليقين ؛ وليس أهل الشامِ بأحرصَ على الدنيا من أهلِ العراق على الآخرةِ . وأما قولك : « إنا بنو عبدِ مناف » فكذلك نحن ، ولكن ليس أميةُ كهاشمٍ ، ولا حربٌ كعبدِ المطلبِ ، ولا أبو سُفيانَ كأبي طالبٍ ، ولا المهاجرُ كالطليقِ[1] ، ولا الصريحُ كاللصيقِ[2] ، ولا المحِقُّ كالمبطِل ، ولا المؤمنُ

---

١ الطليق : هو كل من دخل عليه النبي مكة عنوة ، فملكه ، ثم اطلقه عن اسلام او غير اسلام ، بفداء او بغير فداء ، وكان ابو سفيان ومعاوية من الطلقاء يوم الفتح .

٢ الصريح : المراد به هنا من اسلم اعتقاداً واخلاصاً . اللصيق : المراد به من اسلم تحت السيف او رغبة في الدنيا .

كالمُدغِل[1] ؛ ولبئس الخلفُ خلَفاً يَتبعُ سلفاً هوى في نار جهنم !

وفي أيدينا ، بعدُ ، فضلُ النبوّةِ التي أذللنا بها العزيزَ ، ونعشنا بها الذليلَ . ولما أدخل الله العربَ في دينه أفواجاً ، وأسلمت له هذه الأمة طوعاً وكرهاً ، كنتم ممن دخل في الدين إما رغبةً[2] ، وإما رهبةً ، على حين فاز أهلُ السَّبْقِ بسبقِهم ، وذهب المهاجرون الأولون بفضلِهم ، فلا تجعلنَّ للشيطان فيك نصيباً ، ولا على نفسك سبيلًا !

---

١ المدغل : المفسد والخائن .

٢ رغبة : اي رغبة في الدنيا .

ردٌّ وتهديد ونقض

من كتاب الى معاوية جواباً ، وهو من محاسن الكتب

أما بعدُ ، فقد أتاني كتابُك تذكرُ فيه اصطفاء الله محمّداً ، صلى الله عليه وآله ، لدينه ، وتأييدَه إياه بمن أيده من أصحابه ، فلقد خبّأ لنا الدهرُ منك عجباً إذ طفقتَ تُخبرنا ببلاء[1] الله تعالى عندنا ، ونعمتِه علينا في نبينا ، فكنت في ذلك كناقلِ التمرِ الى هَجَرَ[2] أو داعي مُسدّدِه الى النضال[3] . وزعمت أنّ أفضلَ الناسِ في الاسلامِ فلانٌ وفلانٌ[4] ! فذكرتَ

١ البلاء : اي البلاء الحسن .

٢ هجر : بلد بالبحرين مشهور بنخيله وتمره ، ومنه المثل : كمبضع تمر الى هجر .

٣ داعي مسدده الى النضال : هذا مثل من قول الشاعر :

أعلمه الرماية كل يوم فلما استد ساعده رماني

استد ساعده : استقام على الرمي . مسدده : معلمه الرماية . النضال : الرماية .

٤ فلان وفلان : اي ابو بكر وعمر ، اراد معاوية بقوله هذا ان يغضب الامام فيحمله على التبرؤ من الخليفتين الاولين ، والطعن فيهما ليفسد عليه قلوب جنده وانصاره ممن يعتقدون امامة الشيخين ، فلم يخف ذلك على علي ، فكان متحفظاً في جوابه .

أمراً إن تمَّ اعتزلَك كلُّه[1] ، وإن نقص لم يلحقك ثَلمُه . وما أنت والفاضلَ والمفضولَ ، والسائسَ والمسوسَ ، وما للطلَقاء وأبناء الطلقاء ، والتمييزَ بين المهاجرين الأولين ، وترتيبَ درجاتهم ، وتعريف طبقاتهم ؟ هيهات ! لقد حنَّ قِدح ليس منها[2] ، وطفِق يحكُم فيها مَن عليه الحُكم لها ! ألا تربَعُ ، أيها الانسانُ ، على ظلعِك[3] ، وتعرفُ قُصورَ ذرعِك[4] ، وتتأخرُ حيث أخرك القدرُ ؟ فما عليك غلَبةُ المغلوب ، ولا ظَفرُ الظافرِ ! وإنك لذهّابٌ في التيه ، روّاغٌ عن القصد[5] ! ألا ترى ، غيرُ مخبرٍ لك ، ولكن بنعمةِ الله أُحدّث ، أنَّ قوماً استُشهدوا في سبيل الله من المهاجرين والأنصارِ ، ولكلٍّ فضلٌ ، حتى إذا استُشهدَ شهيدُنا ، قيل : « سيدُ الشهداء[6] » ؛

---

١ اعتزلك كله : اي ليس لك من فضلهما نصيب .

٢ القدح : السهم . ليس منها : اي ليس من بقية السهام ، وهو مثل يضرب لمن يدخل نفسه بين قوم ليس له ان يدخل بينهم ، ويروى ان قائله عمر بن الخطاب .

٣ تربع : اي تقيم . الظلع : ميل الناقة من رجلها كالعرج ، ومن الامثال قولهم : اربع على ظلعك ، اي انك ضعيف ، فانته عما لا تطيقه .

٤ الذرع : بسط اليد ، ومن ذلك قولهم : ضقت به ذرعاً .

٥ التيه : الضلال والكبر . الرواغ : الميال . القصد : الاعتدال .

٦ سيد الشهداء : حمزة بن عبد المطلب ، قتل يوم أحد .

وخصّه رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه؟ أولا ترى أن قوماً قُطّعت أيديهم في سبيل الله، ولكلٍّ فضلٌ؛ حتى اذا فُعِل بواحدنا ما فُعل بواحدهم قيل: «الطيارُ في الجنةِ وذو الجناحين[1]»؟ ولولا ما نهى الله عنه من تزكيةِ المرء نفسه، لذكرَ ذاكرٌ[2] فضائلَ جمّةً تعرفها قلوبُ المؤمنين، ولا تمجّها آذانُ السامعين. فدع عنك مَن مالت به الرَّمِيةُ[3]، فإنا صنائعُ ربّنا والناسُ بعدُ صنائعُ لنا، لم يمنعنا قديمَ عزنا ولا عاديّ طولنا[4] على قومِك، أن خلطناكم بأنفسنا فنكحنا وأنكحنا فِعل الأكفاء، ولستم هناك[5]! وأنى يكونُ ذلك كذلك؟ ومنا النبيُّ، ومنكم

١ الطيار في الجنة، وذو الجناحين: جعفر بن ابي طالب اخو الامام، قتل في غزوة مؤتة، قال البلاذري: «قطعت يداه، ولذلك قال رسول الله، صلى الله عليه وآله: لقد ابدله الله بهما جناحين يطير بهما في الجنة، ولذلك سمي الطيار.»

٢ ذاكر: اي الامام نفسه.

٣ الرمية: الصيد يرميه الصائد. قال الشيخ محمد عبده: هو مثل يضرب لمن اعوج غرضه، فمال عن الاستقامة لطلبه. وشرحه ابن ابي الحديد بقوله: دع عنك ذكر من مال الى الدنيا، ومالت به، اي امالته اليها، وقال انه اراد بذلك عثمان لان معاوية ذكره في كتابه.

٤ العادي: القديم. الطول: الفضل.

٥ ولستم هناك: اي ولستم اكفاء لنا.

المكذّب[١] ! ومنا أسدُ الله ، ومنكم أسدُ الاحلافِ[٢] ! ومنا سيدا شبابِ أهلِ الجنةِ[٣] ، ومنكم صِبيةُ النارِ[٤] ! ومنا خير نساء العالمين[٥] ، ومنكم حمّالةُ الحطبِ[٦] ! في كثير مما لنا وعليكم.

فإسلامنا ما قد سُمِع ، وجاهليتُنا[٧] لا تُدفعُ ، وكتاب الله

---

١ المكذب : يعني ابا سفيان بن حرب ، والد معاوية ، كان يكذب النبي ، ويجلب عليه .

٢ اسد الله : حمزة بن عبد المطلب ، عم النبي ، وعم الامام علي . اسد الاحلاف : عتبة بن ربيعة جَد معاوية لامه ، والمراد احلاف قريش في موقعة بدر . قال الواقدي ما محصله : ان منادي المشركين نادى : يا محمد ، أخرج الينا الاكفاء من قومنا لنقاتلهم . فبرز حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب . فقال حمزة : انا اسد الله واسد رسوله . فقال عتبة بن ربيعة: كفؤ كريم ، وانا اسد الحلفاء ، من هذان معك ؟ فسماهما له ، فقال : كفؤان كريمان !

٣ سيدا شباب اهل الجنة : يعني الحسن والحسين ، كما سماهما النبي .

٤ صبية النار : هي الكلمة التي قالها النبي لعقبة بن ابي معيط حين قتله يوم بدر وقد قال له مستعطفاً : من للصبية يا محمد ؟ قال : النار . وعقبة من بني عبد شمس قوم معاوية .

٥ خير نساء العالمين : يعني زوجه فاطمة بنت النبي .

٦ حمالة الحطب : ام جميل بنت حرب بن امية امرأة ابي لهب وعمة معاوية وكانت تلقي الشوك في طريق النبي وقد ورد نص القرآن بذلك متوعداً لها ولزوجها .

٧ جاهليتنا : اي شرفنا في الجاهلية .

يجمعُ لنا ما شذَّ عنا وهو قوله : « وأولو الأرحامِ بعضُهم أولى ببعضٍ في كتابِ الله »، وقوله تعالى: « إنَّ أولى الناسِ بابراهيم لَلذين اتّبعوه ، وهذا النبيُّ والذين آمنوا ، والله وليُّ المؤمنين . » فنحن مرةً أولى بالقرابةِ ، وتارة أولى بالطاعة . ولما احتجَّ المهاجرون على الانصارِ يوم السّقيفةِ[1] برسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، فَلَجوا عليهم[2] ؛ فانْ يكنِ الفلَج به فالحقُّ لنا دونكم[3]، وإن يكن بغيره فالانصار على دعواهم!

وزعمتَ أني لكلّ الخلفاء حسدتُ ، وعلى كلّهم بغيتُ ! فان يكن ذلك كذلك فليس الجنايةُ عليك ، فيكونَ العذر اليك :

وتلكَ شَكاةٌ[4] ظاهرٌ عنكَ عارُها ؛

وقلتَ : إني كنتُ أُقادُ كما يُقادُ الجملُ المخشوشُ[5] حتى

---

١ يوم السقيفة : يوم اجتمع المسلمون في سقيفة بني ساعدة بعد موت النبي ، ليختاروا الخليفة ، فقال الانصار للمهاجرين من قريش : « منا امير ومنكم امير . » فاحتجت قريش بانها شجرة الرسول ، ففازت عليهم .

٢ فلجوا عليهم : فازوا عليهم .

٣ الحق لنا دونكم : لان بني هاشم ثمرة الشجرة . وعلى ذلك قوله حين اخبر باحتجاج قريش يوم السقيفة : « احتجوا بالشجرة واضاعوا الثمرة . »

٤ الشكاة هنا : الذم والعيب ، وهي في غير هذا الموضع المرض والشكوى .

٥ المخشوش : البعير الذي ادخل في انفه الخشاش ليقاد . والخشاش ككتاب : خشب يجعل في عظم انف البعير .

أُبايِعَ ، ولَعمرُ الله لقد أردتَ أن تَذمَّ فمَدحتَ ، وأن تفضحَ فافتضحت ! وما على المسلمِ من غضاضةٍ في أن يكونَ مظلوماً ما لم يكن شاكّاً في دينه ، ولا مرتاباً بيقينه . وهذه حُجتي إلى غيرك قصدُها[1] ، ولكني أطلقت لك منها بقدْرِ ما سَنح من ذكرها .

ثم ذكرتَ ما كان من أمري وأمرِ عثمان ، فلك أن تجاب عن هذه لِرحِمِك منه ، فأيُّنا كان أعدى له ، وأهدى الى مَقاتلِه ؟ أمَن بذل له نُصرتَه فاستقعده واستكفَّه[2] ؟ أمَّنِ استنصره فتراخى عنه وبثَّ المنونَ اليه[3] ، حتى أتى قدَرُه عليه ؟! كلا والله : « لقد علِم الله المعوّقين[4] منكم ، والقائلين لاخوانهم هلمَّ الينا ، ولا يأتون البأس إلا قليلا . »

وما كنتُ لِأعتذرَ من أني كنتُ أنقِمُ عليه أحداثاً[5] ،

---

١ حجتي الى غيرك قصدها : اي الى من ولي امر الخلافة .

٢ بذل له نصرته : اي الامام . فاستقعده واستكفه : اي عثمان .

٣ استنصره : استنصر عثمان بني امية ومنهم معاوية ، فقعدوا عن نصرته ، وأسلموه بقعودهم الى المنون .

٤ المعوقون : المانعون من النصرة .

٥ الاحداث : جمع حدث ، وهو الامر الحادث المنكر الذي ليس بمعتاد ولا معروف في السنة .

فان كان الذنبُ اليه إرشادي وهِدايتي له ، فرُبَّ ملوم لا ذنبَ له . وقد يستفيدُ الظِنَّةَ المتنصّح[١] ، وما أردتُ «إلا الاصلاح ما استطعتُ ، وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت ، واليه أُنيب[٢] . »

وذكرتَ أنه ليس لي ولأصحابي عندك إلا السيفُ ! فلقد أضحكتَ بعدَ استِعبارٍ[٣] ! متى ألفيتَ بني عبدِ المطَّلب عن الأعداء ناكلين وبالسيفِ مخوَّفين ؟ ! لَبِّثْ قليلاً يلحقِ الهيجا حمَل[٤] ! فسيطلبُك مَن تطلبُ ، ويقرُبُ منك ما تستبعِد ، وأنا مُرقِلٌ[٥] نحوك في جحفلٍ منَ المهاجرين والأنصارِ والتابعين لهم باحسانٍ ، شديدٍ زِحامُهم ، ساطعٍ قَتامُهم[٦] ، متسربلين سربال الموتِ ، أحبُّ اللقاء اليهم لقاء ربهم ؛ قد صحِبَتهم ذُرّيةٌ بدريةٌ[٧] ، وسيوفٌ هاشميةٌ ، قد عرفتَ مواقعَ نِصالها في أخيك وخالِك وجدِّك وأهلك ! «وما هي منَ الظالمين ببعيدٍ ! »

---

١ الظنة : التهمة . المتنصح : باذل النصح بسخاء . وصدر البيت :
وكم سقت في آثاركم من نصيحة

٢ انيب : أتوب .

٣ الاستعبار : البكاء ، وبكاؤه على ما يصيب المسلمين من الشقاق .

٤ لبث : أي أمهل . حمل : اسم رجل في الجاهلية اغير على إبله فاستنقذها ، والمثل يضرب للتهديد .

٥ مرقل : مسرع .

٦ ساطع : منتشر . قتامهم : غبارهم .

٧ بدرية : أي من الذين شهدوا موقعة بدر .

الخوارج والتحكيم

انذار

وقال ينذر الخوارج من أهل النهروان ويحذرهم :

فأنا نذيركم أن تُصبِحوا صرعى بأثناء هذا النهرِ ، وبأهضام هذا الغائطِ[1] ، على غير بيّنةٍ من ربكم ، ولا سُلطانٍ مُبينٍ معكم. قد طوّحتْ بكم الدارُ ، واحتبلكم[2] المِقدارُ ، وقد كنتُ نهيتكم عن هذه الحكومةِ[3] فأبيتم عليَّ إباء المخالفين المنابذين ، حتى صرفتُ رأيي إلى هواكم ، وأنتم معاشرُ أخِفّاء الهامِ ، سفهاء الاحلامِ . ولم آتِ ، لا أبا لكم ، بُجراً[4] ، ولا أردت لكم ضُرّاً !

---

١ الاهضام: جمع هضم وهو المطمئن من الوادي. الغائط: ما سفل من الارض.

٢ احتبلكم : أوقعكم في حبائله .

٣ الحكومة : أي التحكيم .

٤ البجر : الشر .

لا حكم الا لله

ومن كلام له لما سمع قول الخوارج : لا حكم الا لله .

كلمةُ حقٍّ يراد بها الباطلُ ! نعم ، إنه لا حُكمَ إلا لله ، ولكن هؤلاء يقولون : « لا إمرةَ إلا لله . » وإنه لا بدّ للناسِ من أميرٍ برٍّ أو فاجرٍ يعمَلُ في إمرتِهِ المؤمنُ ، ويستمتعُ فيها الكافرُ ، ويُبلّغُ اللهُ فيها الأجلَ[1] ، ويُجمعُ به الفيء[2] ، ويقاتَلُ به العدوُّ ، وتأمنُ به السبلُ ، ويؤخذُ به للضعيفِ منَ القويّ حتى يستريحَ برٌّ ويستراحَ من فاجر !

آخرهم لصوص

ولما قتل الخوارج قيل له : يا أمير المؤمنين هلك القوم باجمعهم ، فقال :

كلا والله ، إنهم نُطفٌ في أصلابِ الرجالِ وقرارات النساء ، كلما نجَمَ منهم قرنٌ قُطع ، حتى يكونَ آخرهم لصوصاً سلابين .

---

١ يبلغ الله فيها الأجل : اي ينتهي أجلها المحدود .

٢ به : الضمير للامير . الفيء : مال الخراج .

دون النطفة

وقال لما عزم على حرب الخوارج وقيل له ان القوم قد عبروا جسر النهروان :

مَصارعُهم دون النُّطفةِ[1] ، والله لا يُفلتُ منهم عشرةٌ ولا يهلِكُ منكم عشرة[2].

الخوارج ومعاوية

لا تقتُلوا الخوارجَ بعدي ، فليس مَن طلب الحقَّ فأخطأه كمن طلب الباطلَ[3] فأدركه .

---

١ النطفة : قال الشريف الرضي : يعني بالنطفة ماء النهر وهي افصح كناية عن الماء وان كان كثيراً جماً .

٢ روي انه لم يفلت من الخوارج الا تسعة،ولم يقتل من أصحاب الامام الا ثمانية.

٣ طلب الباطل : قال الشريف الرضي: يعني معاوية وأصحابه .

رفع المصاحف

من كلام قاله للخوارج ، وقد خرج الى معسكرهم ، وهم مقيمون على انكار التحكيم :

أَكُلُّكم شَهِدَ معنا صِفِّينَ ؟

فقالوا : منا من شهد ومنا من لم يشهد . قال :

فامتازوا فرقتين ، فليكن مَن شَهِدَ صِفِّينَ فِرقة ، ومَن لم يشهَدها فرقة ، حتى أُكلِّمَ كُلًّا بكلامه .

ونادى الناس فقال :

أمسِكوا عنِ الكلامِ وأنصِتوا لِقولي ، وأقبِلوا بأفئدتِكم إليَّ ، فمن نشدناه شهادةً فليقُل بعلمِه فيها .

ثم كلمهم بكلام طويل منه قوله :

ألم تقولوا عند رفعِهم المصاحفَ ، حيلةً ، وغيلةً ، ومكراً ، وخديعة : « إخوانُنا ، وأهلُ دعوتِنا استقالونا[1] ، واستراحوا إلى كتاب الله سبحانه ، فالرأيُ القبولُ منهم ،

---

١ استقالونا : طلبوا منا ان نقيل عثرتهم ، اي نرفعها ونقيمها .

والتنفيس عنهم » ? فقلتُ لكم : « هذا أمرٌ ظاهرهُ إيمانٌ ، وباطنهُ عدوانٌ ، وأوّله رحمةٌ ، وآخرهُ ندامة ، فأقيموا على شأنِكم ، والزموا طريقتكم ، وعَضّوا على الجهاد بنواجذكم[1] ، ولا تلتفتوا إلى ناعقٍ نعقَ ، إن أُجيب أضلّ ، وإن تُرك ذلّ ». وقد كانت هذه الفَعلةُ ، وقد رأيتُكم أعطيتُموها ، والله لئن أبيتُها ما وجَبتْ عليّ فريضتُها ، ولا حمّلني اللهُ ذنبَها ؛ ووالله إن جئتُها إني للمحقُّ الذي يُتّبعُ ، وإنّ الكتاب لمعي ، ما فارقتُه مذ صحِبتُه ؛ فلقد كنا مع رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وإنّ القتلَ ليَدورُ على الآباء والأبناء والاخوانِ والقراباتِ ، فلا نزدادُ على كلّ مصيبةٍ وشِدّة إلا إيماناً ، ومُضيّاً على الحقّ ، وتسليماً للامر ، وصبراً على مضض الجِراحِ . ولكنا إنما أصبحنا نُقاتلُ إخوانَنا في الاسلام على ما دخل فيه من الزّيغ والاعوجاجِ والشبهةِ والتأويلِ . فاذا طمِعنا في خَصلة[2] يَلمُّ اللهُ بها شعثَنا ، ونتدانى بها إلى البقية فيما بيننا ، رغِبنا فيها ، وأمسكنا عما سِواها .

---

١ النواجذ : اضراس العقل . والعض بالنواجذ كناية عن الصبر والتصلب .

٢ الخصلة : اي الحالة .

التحكيم

من كلام له في الخوارج لما انكروا تحكيم الرجال

إنا لم نُحكّم الرجالَ ، وإنما حكّمنا القرآنَ . وهذا القرآنُ إنما هو خطٌ مستورٌ بين الدفّتين[1] ، لا يَنطِق بلسانٍ ، ولا بدّ له من ترجُمانٍ ، وإنما يَنطِق عنه الرجالُ . ولما دعانا القومُ إلى أن نُحكّمَ بيننا القرآنَ ، لم نكنِ الفريقَ المتولي[2] عن كتابِ الله تعالى ، وقد قال سبحانه : « فإن تنازعتم في شيء فردُّوه إلى اللهِ والرسول . » فردُّه الى الله أن نحكم بكتابه ، وردُّه إلى الرسولِ أن نأخذ بسنّتِه . فاذا حُكم بالصدقِ في كتابِ الله ، فنحن احق الناس به ؛ وإن حُكم بسُنّةِ رسولِ الله ، صلى الله عليه وآله ، فنحن أولاهم به .

وأما قولكم : لِمَ جعلتَ بينك وبينهم اجلاً في التحكيم؟ فانما فعلتُ ذلك ليتبينَ الجاهلُ ، ويتثبتَ العالمُ ، ولعلّ الله

---

١ الدفتان : جانبا الكتاب اللذان يكتنفانه.

٢ المتولي : المعرض .

أن يُصلحَ في هذه المُدنةِ أمرَ هذه الأمةِ ، ولا تؤخذ بأكظامِها[1] فتعجلَ عن تبيُّنِ الحقّ ، وتنقادَ لِأوّلِ الغيّ .

إن أفضلَ الناسِ عند الله مَن كان العملُ بالحقّ أحبَّ اليه ، وإن نقصه وكَرَثه[2] ، من الباطلِ ، وإن جرَّ اليه فائدةً وزادَه . فأين يُتاه بكم ؟ ومن أين أُتيتم[3] ؟ استعِدّوا للمسيرِ الى قومٍ حَيارى عنِ الحقّ لا يُبصرونه ، ومُوزَعين[4] بالجَوْرِ لا يَعدِلون به[5] ، جُفاةٍ عنِ الكتاب ، نُكُبٍ[6] عن الطريقِ !

ما أنتم بوثيقةٍ يُعلَقُ بها ، ولا زوافرِ[7] عزٍّ يُعتصَم اليها ! لَبئسَ حُشّاشُ[8] نارِ الحربِ أنتم ! أفٍّ لكم ، لقد لقيتُ منكم بَرْحاً[9] ! يوماً أناديكم ، ويوماً أُناجيكم ! فلا أحرارُ صدقٍ عند النداء ولا إخوانُ ثقةٍ عند النجاء !

---

١ الاكظام: جمع كظم بالتحريك، وهو مخرج النفس، والأخذ بالاكظام كناية عن المضايقة .
٢ كرثه: اشتد عليه وشق.
٣ اتيتم : دهيتم ، أو دخل عليكم العدو ، والمراد به الشيطان.
٤ موزعين : من أوزعه ، أي اغراه بالشيء .
٥ لايعدلون به : اي لا يجعلون مثله شيئاً آخر.
٦ نكب : جمع انكب، وهو الحائد عن طريق الحق.
٧ الزوافر: العشيرة والانصار .
٨ الحشاش : الموقدون ، جمع حاش .
٩ برحاً : شدة واذى .

بين التحكيم والتكفير

فان أبيتم أن تزعموا إلا أني أخطأت وضللت ، فلِم تُضلّلون عامة أمة محمد ، صلى الله عليه وآله ، بضلالي ، وتأخذونهم بخطئي ، وتكفّرونهم بذنوبي ؟ ! سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضعَ البُرء والسُقم ، وتخلطون من أذنب بمن لم يُذنب . وقد علمتم أنَّ رسولَ الله ، صلى الله عليه وآله ، رجمَ الزانيَ ثم صلى عليه ، ثم ورّثه أهلَه ، وقتل القاتلَ وورّث ميراثه أهلَه ، وقطعَ السارقَ[1] ، وجلدَ الزاني غير المحصَن[2] ، ثم قسم عليهما من الفيء[3] ، ونكحا المسلمات . فأخذهم رسولُ الله ، صلى الله عليه وآله ، بذنوبهم ، وأقام حقّ الله فيهم ، ولم يمنعهم سهمَهم من الاسلام ، ولم يُخرجْ أسماءهم من بينِ أهلِه[4] . ثم أنتم شِرارُ الناسِ ، ومن رمى به

١ قطع السارق : أي قطع يده .
٢ غير المحصن : اي غير المعصوم بالزواج .
٣ الفيء : الغنيمة .
٤ لم يخرج أسماءهم : ذهب الخوارج الى تكفير أصحاب الخطايا الكبيرة ، وكفروا علياً ومن اتبعه على قبول التحكيم ، فاحتج عليهم الامام بسنة الرسول في معاملة أصحاب الكبائر ، وانه لم يعتبرهم كفاراً ، ولا اخرجهم من الاسلام .

الشيطانُ مراميَه ، وضرب به تيهَه !

وسيهلِكُ فيَّ صِنفانِ : محبٌّ مُفرطٌ يَذهبُ به الحُبُّ إلى غيرِ الحقِّ ، ومُبغضٌ مُفرطٌ يذهب به البغضُ الى غيرِ الحقِّ ؛ وخيرُ الناسِ فيَّ حالاً النمطُ الأوسطُ فالزموه ، والزموا السوادَ الأعظمَ ، فانَّ يدَ الله على الجماعةِ . وإياكم والفُرقةَ فانَّ الشاذَّ منَ الناسِ للشيطانِ ، كما أنَّ الشاذَّ من الغنمِ للذِّئبِ ! ألا مَن دعا إلى هذا الشِّعارِ[1] فاقتُلوه ، ولو كان تحت عمامتي هذه !

وإنما حُكِّمَ الحكمان لِيُحيِيا ما أحيا القرآنُ ، ويُميتا ما أمات القرآنُ ؛ وإحياؤه الاجتماعُ عليه ، وإماتتُه الافتراق عنه ؛ فانْ جرَّنا القرآنُ اليهم اتبعناهم ، وإن جرَّهم إلينا اتبعونا . فلم آتِ ، لا أبا لكم ، بُجراً[2] ، ولا خَتلتُكم[3] عن أمركم ، ولا لبَّستُه عليكم ؛ إنما اجتمع رأيُ مَلئِكم[4] على

١ الشعار : أي شعار من يدعو الى الفرقة والخروج ، وهم الخوارج ، وكان شعارهم : لا حكم الا لله ، ويحلقون وسط رؤوسهم ، ويبقى الشعر مستديراً حوله كالاكليل .

٢ البجر : الشر العظيم .

٣ ختلتكم : خدعتكم .

٤ ملئكم : جماعتكم .

اختيارِ رجلين أخذنا عليهما أن لا يتعديا القرآنَ ، فتاها عنه ، وتركا الحقّ وهما يُبصرانه ، وكان الجورُ هواهما فمضيا عليه. وقد سبق استثناؤنا[1] عليهما ، في الحكومة بالعدلِ ، والصَّمدِ[2] للحق ، سوءَ رأيهما وجورَ حُكمِهما .

---

١ استثناؤنا : اي شرطنا .

٢ الحكومة : الحكم . الصمد : القصد .

في معاوية والامويين

اشباه الرجال

قال ابو العباس المبرد : انتهى الى علي ، عليه السلام، ان خيلًا وردت الانبار لمعاوية، فقتلوا عاملا له يقال له حسان بن حسان، فخرج مغضباً يجر رداءه ، حتى اتى النخيلة ، واتبعه الناس. فرقي رباوة من الارض، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ، صلى الله عليه وآله ، ثم قال :

أما بعدُ ، فانَّ الجهادَ بابٌ من أبوابِ الجنةِ فتحه الله لخاصةِ أوليائه ، وهو لِباسُ التقوى ، ودِرعُ الله الحصينةُ ، وجُنَّتُه[1] الوثيقةُ ؛ فمن تركه رَغبةً عنه ألبسه الله ثوبَ الذل وشملةَ البلاء ، ودُيِّثَ بالصَّغار والقَماء[2] ، وضُرب على قلبهِ بالأسدادِ[3] ، وأُدِيل الحقُّ منه[4] ، بتضييعِ الجهادِ ؛ وسيمَ

---

١ الجنة بالضم : الوقاية .

٢ ديث : ذلل . الصغار : الذل والضيم . القماء : الصغار والذل .

٣ ضرب على قلبه بالأسداد : اي حار وسدت عليه طرقه، وعميت عليه مذاهبه .

٤ أديل الحق منه : أي جعلت الدولة للحق بدلا منه .

الخسفَ[١] ، ومُنعِ النَّصَفَ[٢] .

ألا وإني قد دعوتُكم الى قتالِ هؤلاء القومِ ليلاً ونهاراً ، وسِرّاً وإعلاناً ، وقلت لكم : اغزوهم قبلَ أن يَغزوكم ، فوالله ما غُزِيَ قومٌ في عُقرِ دارِهم[٣] إلا ذلوا ! فتواكلتم[٤] ، وتخاذلتم ، حتى شُنَّتْ عليكم الغاراتُ ، ومُلِكَتْ عليكم الأوطانُ . وهذا أخو غامدٍ[٥] ، وقد وردتْ خيلُه الانبارَ ، وقد قتَلَ حسانَ بنَ حسان البكريَّ ، وأزال خيلكم عن مسالحها[٦] ! ولقد بلغني أنَّ الرَّجلَ منهم كان يَدخُل على المرأة المسلمة ، والأخرى المعاهِدة ، فينتزعُ حِجلها وقُلبها وقلائدها ورِعاثَها[٧] ما تمتنِعُ منه إلا بالاسترجاع[٨] والاسترحامِ . ثم

---

١ سيم : كلف . الخسف : الذل والمشقة .

٢ النصف : الانصاف .

٣ عقر دارهم : اصلها ووسطها .

٤ تواكلتم : اي وكل كل منكم الامر الى غيره ، ولم يتوله بنفسه .

٥ اخو غامد: هو سفيان بن عوف الغامدي، بعثه معاوية بجيش ليغير به على اهل المدائن وأهل الانبار بالعراق .

٦ المسالح : الثغور حيث يخشى دخول الاعداء، واحدتها مسلحة .

٧ المعاهدة: الذمية. الحجل: الخلخال . القلب : السوار المصمت . الرعاث : ما يعلق في الاذن كالقرط .

٨ الاسترجاع : الاستعاذة بأن تقول : انا لله وانا اليه راجعون .

انصرفوا وافرينَ ما نال رجلاً منهم كَلْمٌ[1]، ولا أُريقَ لهم دم! فلو أنّ امرأً مسلماً مات، من بعدِ هذا، أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان به عندي جديراً.

فيا عجبا، والله، يُميتُ القلبَ ويجلبُ الهمَّ اجتماعُ هؤلاء القومِ على باطلِهمْ، وتفرقُكم عن حقكم! فقُبحاً لكم وترحاً، حين صرتم غرضاً يُرمى! يُغار عليكم ولا تُغيرون، وتُغزَون ولا تَغزون، ويُعصى الله وترضَون! فاذا أمرتُكم بالسير اليهم في أيامِ الصيفِ، قلتم: هذه حمارّةُ القيظِ[2]، أمهلنا يُسبّخ[3] عنا الحرُّ. واذا أمرتُكم بالسير اليهم في الشتاء قلتم: هذه صبارّةُ القرّ[4]، أمهلنا ينسلخْ عنا البرد. كلُّ هذا فراراً منَ الحرّ والقرّ، فأنتم، والله، منَ السيفِ أفرُّ، يا أشباه الرجالِ ولا رجالَ! حُلومُ الاطفالِ، وعقولُ ربات الحِجال[5]، لوددتُ أني لم أركم ولم أعرفكم! معرفةٌ، والله،

---

١ وافرين: اي تامين لم ينقص أحد منهم. كلم: جرح.

٢ حمارة القيظ: شدة الحر.

٣ يسبخ: يخف الحر ويسكن.

٤ صبارة القر: شدة برد الشتاء.

٥ ربات الحجال: أي النساء. والحجال: جمع حجـلة وهي القبة، وبيت يزين بالستور والثياب.

جرّت ندماً ، وأعقبتْ سَدَماً[1]. قاتلكم الله ! لقد ملأتم قلبي قيحاً وشحنتم صدري غيظاً ! وجرّعتموني نُغبَ التّهمامِ أنفاساً[2] ! وأفسدتم عليّ رأيي بالعِصيان والخِذلان ! حتى قالتْ قريشٌ : إنّ ابنَ أبي طالبٍ رجلٌ شجاعٌ ، ولكنْ لا عِلم له بالحرب !

لله أبوهم ! وهل أحدٌ منهم أشدُّ لها مراساً ، وأقدمُ فيها مني ؟ ! لقد نهضتُ فيها وما بلغتُ العشرين ، وها أنذا قد ذرّفتُ[3] على الستينَ ، ولكن لا رأي لِمَن لا يُطاع !

بين غدر ودهاء

والله ما مُعاويةُ بأدهى مني ، ولكنه يغدِرُ ويفجُرُ ، ولولا كَراهيةُ الغدرِ لكنتُ من أدهى الناسِ . ولكنْ كل غدرةٍ فَجرةٌ ، ولكلّ فجرةٍ كَفرةٌ ، ولكلّ غادرٍ لواءٌ يُعرف به يومَ القيامةِ . والله ما أُستَغفَلُ بالمكيدةِ ، ولا أُستَغمَز بالشديدة[4] .

---

١ السدم : الحزن والغيظ .

٢ النغب : جمع نغبة وهي الجرعة. التهمام : الهم. انفاساً : اي جرعة بعد جرعة.

٣ ذرفت : زدت .

٤ استغمز : استضعف . الشديدة : النائبة النازلة .

فتنة بني امية

أما بعد أيها الناسُ ، فأنا فقأتُ عينَ الفتنةِ ، ولم تكن ليجرُؤ عليها أحدٌ غيري بعدَ أن ماج غيهبُها واشتدَّ كَلَبُها[1] . فاسألوني قبلَ أن تَفقِدوني؛ فوالذي نفسي بيدِه ، لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعةِ[2] ، ولا عن فئة تهدي مائةً وتُضِلُّ مائةً ، إلا أنبأتُكم بناعقِها[3] ، وقائدِها ، وسائقِها ، ومُناخِ رِكابِها ، ومحطِّ رحالِها ، ومَن يُقتلُ من أهلِها قتلاً ، ومن يموتُ منهم موتاً . ولو قد فقدتموني ، ونزلتْ بكم كرائه الأمورِ ، وحوازِبُ[4] الخطوبِ ، لأطرقَ كثيرٌ منَ السائلين ، وفَشِلَ[5] كثيرٌ من المسؤولين . وذلك إذا قلَّصتْ حربُكم وشمَّرت[6] عن ساقٍ ، وضاقتِ الدُّنيا عليكم ضِيقاً تستطيلون معه أيام

---

١ الغيهب : الظلمة . كلبها : اي جنونها واذاها .

٢ الساعة : أي القيامة.

٣ ناعقها : اي الداعي اليها .

٤ الحوازب : الشدائد .

٥ فشل : جبن .

٦ قلصت: انكمشت وشمرت. وتشمير الحرب كناية عن شدتها والاستعداد للهرب .

البلاء عليكم ، حتى يفتحَ الله ابقيةِ الأبرارِ منكم .

إنَّ الفِتَنَ إذا أقبلت شبَّهت[١] ، وإذا أدبرت نبَّهت . يُنكَرن مُقبلاتٍ ، ويُعرَفن مُدبراتٍ . يحُمنَ حول الرِّياح[٢] يُصبن بلداً ويُخطئن بلداً . ألا إن أخوفَ الفتنِ عندي عليكم فتنةُ بني أُميةَ ، فانها فتنةٌ عمياء مُظلمةٌ ، عمَّت خُطتُها ، وخَصَّت بليَّتُها[٣] ، وأصاب البلاء مَن أبصر فيها ، وأخطأ البلاء مَن عمِيَ عنها . وايمُ الله لتَجدُنَّ بني أُميةَ لكم أربابَ سوء بعدي كالنابِ الضروسِ ، تعذِمُ بفيها ، وتخبِط بيدها ، وتزبِنُ[٤] برجلها ، وتمنعُ دَرَّها . لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلا نافعاً لهم ، او غيرَ ضائرٍ بهم[٥] . ولا يزال بلاؤهم حتى لا يكونَ انتصارُ أحدِكم منهم إلا كانتصارِ العبد من ربه والصاحبِ من مُستصحِبه . ترد عليكم فتنتُهم شوهاء مَخشية ، وقِطعاً جاهلية ليس فيها منارُ هدًى ، ولا علَمٌ[٦] يُرى . نحن

---

١ شبهت : التبست .

٢ يحمن حول الرياح : اي كأن الفتن تجري مع الرياح .

٣ عمت خطتها : اي عم امرها جميع الناس، لان لها الدولة عليهم. خصت بليتها: اي خصت أهل البيت.

٤ الناب : الناقة المسنة . الضروس : السيئة الخلق تعض حالبها . تعذم : تعض . تزبن : تضرب .

٥ ضائر : ضار ، اي يضرهم .

٦ العلم : ما يستدل به.

أهلَ البيتِ منها بمَنجاةٍ[1] ، ولسنا فيها بدعاةٍ ، ثم يُفرّجُها الله عنكم ، كتفريج الأديمِ[2] ، بمن يسومُهم خسفاً[3] ، ويسوقُهم عُنفاً ، ويسقيهم بكأس مُصبَّرةٍ[4] ، لا يُعطيهم إلا السيفَ ، ولا يُحلِسُهم[5] إلا الخوفَ ، فعند ذلك تودُّ قريشٌ ، بالدنيا وما فيها ، لو يرَونني[6] مقاماً واحداً ، ولو قدْرَ جَزرِ جَزورٍ[7] ، لأقبل منهم ما أطلبُ اليومَ بعضَه ، فلا يُعطونني .

---

١ بمنجاة : اي بمعزل عنها ، ولسنا من أصحابها .

٢ الاديم : الجلد ، والمراد سلخ الجلد لينكشف عما تحته .

٣ يسومهم خسفاً : يوليهم ذلا ، الاشارة هنا الى بني العباس .

٤ مصبرة : ممزوجة بالصبر ، أو مملوءة الى حروفها .

٥ يحلسهم : أي يلبسهم .

٦ لو يرونني : قال ابن أبي الحديد : ان أرباب السيرة كلهم نقلوا ان مروان بن محمد قال يوم الزاب لما شاهد عبدالله بن علي بن عبدالله بن العباس بازائه في صف خراسان : لوددت ان علي بن أبي طالب تحت هذه الراية بدلا من هذا الفتى .

٧ الجزور : من الابل ما يجزر ، أي يذبح ، والمراد ولو مدة جزر جزور .

اصحابه واصحاب معاوية

ولئن أمهل الله الظالمَ فلن يفوتَ أخذُه ، وهو له بالمرصاد على مجازِ طريقه ، وبموضعِ الشجا[1] من مساغِ ريقه ! أما والذي نفسي بيده لَيظهرنّ هؤلاء القومُ عليكم ، ليس لأنهم أولى بالحقّ منكم ، ولكنْ لاسراعِهم الى باطلِ صاحبِهم ، وإبطائكم عن حقي . ولقد أصبحتِ الأممُ تخافُ ظُلمَ رُعاتها ، وأصبحتُ أخاف ظلمَ رعيتي . استنفرتُكم للجهادِ فلم تنفروا ، وأسمعتكم فلم تسمعوا ، ودعوتُكم سراً وجهراً فلم تستجيبوا ، ونصحت لكم فلم تقبلوا . أشهودٌ[2] كغُيّابٍ ، وعبيدٌ كأربابٍ ؟ ! أتلو عليكم الحِكَمَ فتنفِرون منها ، وأعِظكم بالموعظةِ البالغة فتتفرّقون عنها ، وأحثّكم على جهادِ أهلِ البغي فما آتي على آخرِ القولِ حتى أراكم مُتفرقين أيادي سبا[3] ، ترجعون الى مجالسِكم وتتخادعون عن مواعظِكم . أقوِّمُكم غُدوةً

1 الشجا : ما يعترض في الحلق من عظم ونحوه .

2 شهود : حضور ، جمع حاضر .

3 ايادي سبأ : أي أولاده ، وسبأ ابو عرب اليمن ، وكان اولاده عن يمينه وشماله كالايدي له ، فتبددوا وتفرقوا في البلاد .

وترجعون إليّ عشيّةً كظهرِ الحنيّةِ[1]، عجز المقوّم، وأعضلَ المقوّم!

ايها الشاهدة[2] أبدانهم، الغائبة عقولهم، المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم! صاحبكم يُطيعُ الله وأنتم تعصونه، وصاحبُ أهلِ الشامِ يعصي الله وهم يُطيعونه! لوددتُ، والله، أنّ معاويةَ صارفني بكم صرفَ الدّينارِ بالدّرهمِ، فأخذ مني عشرةً منكم، وأعطاني رجلاً منهم!

يا أهلَ الكوفةِ، مُنيتُ[3] منكم بثلاثٍ واثنتين: صمّ ذوو أسماعٍ، وبكمٌ ذوو كلامٍ، وعميٌ ذوو أبصارٍ، لا احرارُ صدقٍ عند اللقاء[4]، ولا إخوانُ ثقةٍ عند البلاء!

تربتْ أيديكم[5]! يا أشباه الابلِ غاب عنها رعاتها؛ كلما جُمعت من جانبٍ تفرقت من جانبٍ آخرَ! والله لكأني بكم، فيما إخالُ، أن لو حمِسَ الوغى، وحميَ الضرابُ، قد انفرجتم عن ابنِ أبي طالبٍ، وإني لعلى بيّنةٍ من ربي، ومنهاج من نبيّي، وإني لعلى الطريقِ الواضحِ ألقُطُه لقطاً.

---

١ الحنية: القوس.
٢ الشاهدة: الحاضرة.
٣ منيت: بليت.
٤ اللقاء: أي الحرب ولقاء الاعداء.
٥ تربت ايديكم: اي لا لقيت خيراً وصار فيها التراب.

انظروا أهل بيتِ نبيكم فالزموا سَمتَهم[1] ، واتَّبعوا أثرَهم ، فلن يُخرجوكم من هُدًى ، ولن يُعيدوكم في رَدًى . فانْ لَبَدوا فالبُدوا[2]، وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبِقوهم فتضِلُّوا، ولا تتأخروا عنهم فتهلِكوا. لقد رأيتُ أصحابَ محمدٍ، صلى الله عليه وآله ، فما أرى أحداً منكم يُشبهُهم ! لقد كانوا يُصبحون شُعثاً غُبراً[3] ، وقد باتوا سُجَّداً وقياماً ، يُراوِحون بين جِباهِهم وخُدودِهم[4] ، ويقفون على مِثلِ الجمرِ من ذكر مَعادِهم[5] ! كأنَّ بين أعينِهم رُكَبَ المِعزى[6] من طول سجودِهم ! إذا ذُكر الله هَمَلَتْ أعينُهم حتى تبلَّ جُيوبَهم[7] ، ومادوا كما يميدُ الشجرُ يومَ الريحِ العاصف ، خوفاً منَ العقابِ ، ورجاء للثواب .

---

١ السمت : الطريق .

٢ لبد : أقام.

٣ الشعث : جمع أشعث وهو المغبر الرأس . الغبر: جمع أغبر ، اي أغبر اللون، وكنى بذلك عن تقشفهم.

٤ يراوحون : أي يعملون هذا مرة ، وهذا مرة ، والمراد يسجدون تارة على الجباه ، ويضعون الخدود تارة على الارض .

٥ المعاد : الآخرة .

٦ ركب المعزى : أي صلب ويبس ما بين عيونهم من طول السجود حتى صار كركب المعزى .

٧ الجيوب : جمع الجيب، وهو طوق القميص .

فى الأخلاق والاجتماع

الناس في الدنيا

الناس اربعة اصناف ، وصنف خامل

أيها الناسُ ، إنا قد أصبحنا في دهرٍ عَنودٍ ، وزمنٍ كنودٍ[1] ، يُعَدُّ فيه المحسنُ مسيئاً ، ويزدادُ الظالمُ عتوّاً ، لا ننتفع بما علمنا ، ولا نسألُ عما جهلنا ، ولا نتخوّفُ قارعةً حتى تحُلَّ بنا . فالناسُ على أربعةِ أصنافٍ : منهم مَن لا يمنعُه الفسادَ إلا مَهانةُ نفسهِ ، وكلالةُ حدِّهِ ، ونضيضُ وَفرهِ[2] ؛ ومنهم المُصلِتُ لسيفهِ ، والمعلنُ بشرِّه ، والمجلِبُ[3] بخيلهِ ورَجلِه ، قد أشرطَ نفسَه ، وأوبقَ[4] دينَه ، لحُطامٍ ينتهزُه ،

---

١ الكنود : الكفور .

٢ النضيض : القليل . الوفر : المال .

٣ المجلب : المتوعد بشر ، والذي يجمع الجمع .

٤ اوبق : اهلك .

أو مِقنَبٍ[1] يقودُه ، أو منبرٍ يفرَعُه[2] ، ولبئسَ المتجرُ أنْ ترى الدنيا لنفسِكَ ثمناً ، ومما لكَ عند اللهِ عِوضاً ؛ ومنهم مَن يطلُبُ الدنيـا بعملِ الآخرةِ ، ولا يطلُبُ الآخرةَ بعملِ الدنيا ، قد طامَنَ[3] من شخصِهِ ، وقاربَ من خطوِهِ ، وشمَّرَ من ثوبِهِ ، وزخرفَ من نفسِهِ للامانةِ ، واتخذَ سترَ اللهِ ذريعةً إلى المعصيةِ ؛ ومنهم مَن أبعده عن طلبِ الملكِ ضُؤولةُ نفسه ، وانقطاعُ سببِهِ ، فقصرته الحالُ على حالِهِ ، فتحلّى باسم القناعة ، وتزيَّن بلباسِ أهلِ الزَّهادةِ ، وليس من ذلك في مراحٍ ولا مغدًى .

وبقيَ رجالٌ غضَّ أبصارَهم ذِكرُ المرجعِ[4] ، وأراقَ دموعَهم خوفُ المحشَرِ[5] ، فهم بين شريدٍ نادٍّ[6] ، وخائفٍ مقموعٍ ، وساكتٍ مكعومٍ[7] ، وداعٍ مخلصٍ ، وثكلانَ

---

١ المقنب : طائفة من الخيل ما بين الثلاثين الى الاربعين .

٢ يفرعه : يعلوه .

٣ طامن : خفض .

٤ المرجع : اي الآخرة .

٥ المحشر : القيامة .

٦ ناد : اي هارب من المجتمع ، متوحد .

٧ مكعوم : مشدود الفم .

مُوجَعٍ . قد أخملتهم التَّقيّة[1] ، وشملتهم الذّلة ، فهم في بحرٍ أُجاجٍ[2] ، أفواهُهم ضامزة[3] ، وقلوبهُم قرحة ، وقد وَعظوا حتى مُلُّوا ، وقُهِروا حتى ذَلُّوا ، وقُتلوا حتى قَلُّوا .

فلتكنِ الدنيا في أعينِكم أصغرَ من حُثالةِ القَرَظِ[4] وقُراضةِ الجَلَمِ[5] ، واتعِظوا بمن كان قبلَكم ، قبلَ أن يتعِظَ بكم مَن بعدَكم ، وارفِضوها ذميمةً ؛ فإنها رفضت مَن كان أشغف بها منكم .

يوم المظلوم

يومُ المظلومِ على الظالمِ أشدُّ من يومِ الظالمِ على المظلوم .

---

١ التقية : الحذر .

٢ الاجاج : الملح .

٣ ضامزة : ساكتة .

٤ الحثالة : القشارة ، وما لا خير فيه . القرظ : ورق شجر السلم ، بالتحريك.

٥ الجلم : المقراض يجز به صوف الغنم .

فروع تتبع الاصول

أيها الناسُ، إنما أنتم في هذه الدنيا غرضٌ تنتضِلُ فيه المنايا[1]، مع كلِّ جرعةٍ شرَقٌ، وفي كلِّ أكلةٍ غصَصٌ . لا تنالون منها نعمةً إلا بفراقِ أخرى، ولا يُعمَّرُ مُعمَّرٌ منكم يوماً من عمُرهِ إلا بهدمِ آخرَ من أجَلِه، ولا تُجدَّدُ له زيادةٌ في أكله إلا بنفادِ ما قبلَها من رزقِه، ولا يحيا له أثرٌ إلا مات له أثرٌ، ولا يتجدد له جديدٌ إلا بعد أن يَخلَقَ[2] له جديدٌ، ولا تقومُ له نابتةٌ إلا وتسقط منه محصودة . وقد مضت أُصولٌ نحن فروعُها، فما بقاء فرعٍ بعد ذَهاب اصلِه ؟!

القليل الدائم

قليلٌ تدومُ عليه أرجى من كثيرٍ مملولٍ منه .

---

١ الغرض : الهدف . تنتضل : تتبارى ، والمراد اختلاف اسباب الموت .

٢ يخلق : يبلى .

قبل موته

أيها الناسُ ، كلُّ امرئٍ لاقٍ ما يفِرُّ منه في فِرارهِ ، والأجلُ مَساقُ النفسِ ، والهَربُ منه مُوافاتُه . كم أطردتُ الايامَ أبحثُها[1] عن مكنونِ هذا الأمر ، فأبى الله إلا إخفاءه . هيهات ، عِلمٌ مخزونٌ ! أما وصيتي فالله لا تشرِكوا به شيئاً ، ومحمد ، صلى الله عليه وآله وسلم ، فلا تُضَيّعوا سُنّتَه . أقيموا هذين العمودين ، وأوقدوا هذين المصباحين ، وخلاكم ذمٌّ ، ما لم تشرُدوا ! حَمَلَ كلُّ امرئٍ منكم مجهوده ، وخفف عن الجهَلَةِ ربٌّ رحيمٌ ، ودينٌ قويمٌ ، وإمامٌ عليمٌ . أنا بالامس صاحبكم ، وانا اليومَ عبرةٌ لكم ، وغداً مُفارقكم ، غفر الله لي ولكم !

إنْ ثبتتِ الوطأةُ في هذه المزلّةِ[2] فذاكَ ، وإنْ تدحض القدمُ[3] ، فإنا كنا في أفياء أغصانٍ ، ومهبِّ رياحٍ ، وتحت

---

١ اطردت الايام : اي راهنتها وغالبتها ، او طردتها يوماً بعد يوم وانا ابحثها .

٢ ثبتت الوطأة : كناية عن نهوضه ، وشفائه من جراحه . المزلة : موضع زلل القدم .

٣ تدحض القدم : تزلق ، كناية عن الموت .

ظلٌّ غمامٍ اضمحلَّ في الجوِّ مُتلفَّقُها، وعفا في الأرض مخطُّها[1]. وإنما كنتُ جاراً جاوركم بدني اياماً وستُعقبون[2] مني جثةً خلاءً، ساكنةً بعد حراكٍ، وصامتةً بعد نُطوق!

لِيعِظْكم هدوّي، وخفوتُ إطراقي، وسكونُ أطرافي؛ فانه أوعظُ للمعتبرين من المنطقِ البليغِ والقول المسموعِ. وَداعي لكم وَداعُ امرىءٍ مُرصِدٍ للتلاقي. غداً ترون أيامي، ويُكشفُ لكم عن سرائري، وتعرفونني بعد خلوّ مكاني، وقيامِ غيري مقامي!

مرارة الدنيا وحلاوتها

مرارةُ الدنيا حلاوةُ الآخرةِ، وحلاوةُ الدنيا مرارة الآخرةِ.

---

١ متلفقها: مجتمعها، والضمير للغمام. عفا: اندرس وذهب. مخطها: موضع ما تخط في الارض، والضمير للرياح، والمعنى اننا كنا في طبيعة تؤذن كلها بالزوال.

٢ ستعقبون: ستورثون.

تعزية

قال يعزي الاشعث بن قيس عن ابن له :

يا أشعثُ ، إنْ تحزن على ابنِك فقدِ استحقت منك ذلك الرَّحِمُ ؛ وإن تصبر ففي الله من كلّ مصيبةٍ خلفٌ . يا أشعثُ، إنْ صبرتَ جرى عليك القدرُ وأنت مأجورٌ ؛ وإن جزعتَ جرى عليك القدرُ وأنت مأزورٌ[1] . يا أشعثُ ، ابنُك سرَّك وهو بلاء وفتنةٌ[2] ، وحزَنَك[3] وهو ثوابٌ ورحمة .

المبتلى والمعافى

ما المبتلى الذي قدِ اشتدَّ به البلاء بأحوجَ إلى الدعاء من المُعافى الذي لا يأمنُ البلاء !

---

١ مأزور : اي موزور وهو فاعل الوزر اي الذنب ، قلبت الواو همزة ليتم الازدواج بين مأزور ومأجور .

٢ بلاء : اي بتكاليف تربيته . فتنة : اي بشاغل محبته .

٣ حزنك : اي بموته .

قوام الدين والدنيا

من كلامه لجابر بن عبد الله الانصاري

قوامُ الدينِ والدنيا بأربعةٍ : عالمٍ مُستعمِلٍ عِلمَه ، وجاهلٍ لا يستنكفُ أنْ يتعلمَ ، وجوّادٍ لا يبخَلُ بمعروفِه ، وفقيرٍ لا يبيعُ آخرتَه بدنياه . فاذا ضيَّعَ العالمُ علمَه استنكف الجاهلُ أن يتعلمَ ؛ وإذا بخِلَ الغنيُّ بمعروفِه باعَ الفقيرُ آخرتَه بدنياه [1] .

يا جابرُ ، مَن كثرت نِعَمُ الله عليه كثرت حوائجُ الناس اليه ؛ فمن قام لله فيها بما يجبُ عرّضها للدوامِ والبقاء ؛ ومن لم يَقُم فيها بما يجب عرّضها للزوال والفناء .

محاسن الدنيا

إذا أقبلتِ الدنيا على أحدٍ أعارته محاسنَ غيرِه ، وإذا أدبرتْ عنه سلبته محاسنَ نفسِه .

---

١ لانه يقترف الاثم ليكتسب به .

الصبر على الاذى

أغضِ على القذى[1] والألمِ ،ترضَ أبداً .

الخير والشر

ما خيرٌ بخيرٍ بعدَه النارُ ، وما شرٌّ بشرٍّ بعدَه الجنةُ ، وكلُّ نعيمٍ دون الجنةِ فهو محقورٌ ، وكلُّ بلاء دون النار عافية .

مرض وصحة

ألا وإنَّ منَ البلاء الفاقةَ ؛ وأشدُّ من الفاقةِ مرض البدن ؛ وأشدُّ من مرضِ البدنِ مرضُ القلبِ ؛ ألا وإنَّ منَ النّعم سَعَةَ المالِ ، وأفضلُ من سَعةِ المالِ صحةُ البدنِ ، وأفضل من صحةِ البدنِ تقوى القلبِ .

---

١ القذى : ما يسقط في العين فيؤذيها .

الدهر يومان

المنيّةُ ولا الدنيّةُ ! والتقلّلُ[1] ولا التوسّلُ ! ومَن لم يُعطَ قاعداً لم يُعطَ قائماً . والدهرُ يومانِ : يومٌ لك ، ويوم عليك ؛ فاذا كان لك فلا تبطرْ ، وإذا كان عليك فاصبرْ !

العمل في الحياة

امشِ بدائك ما مشى بك .

مسكين ابن آدم

مسكينٌ ابنُ آدمَ ، مكتومُ الأجلِ ، مكنونُ العِلل ، محفوظُ العمل[2] ، تؤلِمُه البقّةُ ، وتقتلُه الشّرقةُ[3] ، وتُنتِنُه العَرقةُ .

---

١ التقلل : الاكتفاء بالقليل .

٢ محفوظ العمل : اي محفوظ عند الله يحاسب عليه .

٣ الشرقة : الغصة بالماء .

العافية والغنى

لا ينبغي للعبدِ أنْ يثقَ بخَصلتَين : العافيةِ والغنى . بينا تراه معافىً إذ سقِم ، وبينا تراه غنياً إذ افتقر .

علامات الظالم

للظالمِ منَ الرجالِ ثلاثُ علاماتٍ : يَظلِمُ مَن فوقَه بالمعصيةِ ، ومَن دونَه بالغلَبةِ ، ويُظاهِرُ القومَ الظَّلَمةَ .

بعد الشدة الفرج

عند تناهي الشدّة تكونُ الفَرجةُ ، وعند تضايُقِ حلَق البلاء يكون الرخاء.

منهومان !

منهومانِ لا يَشبعانِ : طالب عِلمٍ ، وطالبُ دنيا !

رحلة الميت

عزى قوماً عن ميت فقال لهم :

إنّ هذا الأمر ليس لكم بدأ ، ولا إليكم انتهى ؛ وقد كان صاحبُكم هذا يسافرُ فعدُّوه في بعضِ أسفارهِ ؛ فانْ قدِم عليكم ، وإلا قدِمتم عليه .

الدنيا للآخرة

الدنيا خُلقت لغيرها ، ولم تُخلقْ لنفسِها .

عثرة الامل

مَن جرى في عِنانِ أملِه ، عثرَ بأجَلِه .

سيئة خير من حسنة

سيئةٌ تسوءك خيرٌ عند الله من حسنةٍ تُعجبُك[1] .

---

١ لان السيئة ربما قربتك الى الله ، والحسنة ربما ابعدتك عنه .

بين جوع وشبع

احذروا صولةَ الكريمِ إذا جاع ، واللئيمِ إذا شبع .

حلوة اللسبة

المرأةُ عقربٌ حلوةُ اللّسبةِ[1] .

الحظ ستار

عيبُكَ مستورٌ ما أسعدَكَ جَدُّكَ[2] .

ركب نيام

أهل الدنيا كرَكْبٍ يُسارُ بهم وهم نيامٌ .

---

١ اللسبة : اللسعة .

٢ الجد : الحظ .

شواغل القلب

لقد عُلّق بنياطِ[1] هذا الانسانِ بَضعةٌ[2] هي أعجبُ ما فيه، وذلك القلبُ؛ وله موادُّ منَ الحكمةِ وأضدادٌ من خلافها. فانْ سَنح له الرجاء أذلّه الطمعُ، وإن هاج به الطمع أهلكه الحِرصُ، وإن ملكه اليأسُ قتلَه الأسفُ، وإن عَرض له الغضبُ اشتدّ به الغيظُ، وإن أسعده الرضا نسيَ التحفظَ، وإن ناله الخوفُ شغلَه الحذرُ، وإنِ اتسع له الأمنُ استلَبته الغِرّة[3]، وإن أفاد مالاً أطغاه الغنى، وإن أصابته مصيبةٌ فضحه الجزعُ، وإن عضته الفاقةُ شغله البلاء، وإن جهَده الجوعُ قعد به الضُعفُ، وإن أفرطَ به الشّبَع كظّته البِطنة[4]. فكلُّ تقصيرٍ به مضرٌّ، وكلُّ إفراطٍ له مفسد.

---

١ النياط : عرق غليظ معلق به القلب .

٢ البضعة : القطعة من اللحم .

٣ الغرة : الغفلة .

٤ كظته : كربته وأثقلته . البطنة : امتلاء البطن حتى يضيق النفس .

عشائر قريش

وسئل عن قريش فقال :

أما بنو مخزوم فريحانةُ قريشٍ ، تحبُّ حديثَ رجالهم، والنكاحَ في نسائهم . وأما بنو عبدِ شمس[1] فأبعدُها رأياً ، وأمنعُها لِما وراء ظهورِها . وأما نحن[2] فأبذلُ لِما في أيدينا ، وأسمحُ عند الموتِ بنفوسِنا ؛ وهم[3] أكثرُ وأمكرُ وأنكرُ، ونحن أفصحُ وأنصحُ وأصبحُ[4] .

الحق واحد

ما اختلفت دعوتانِ إلا كانت إحداهما ضلالةً .

---

١ بنو عبد شمس : منهم بنو امية .

٢ واما نحن : اي بنو هاشم .

٣ وهم : اي بنو عبد شمس .

٤ اصبح : اي اصبح وجوهاً .

صفة الغوغاء[1]

هُمُ الذين إذا اجتمعوا غَلَبوا ، وإذا تفرَّقوا لم يُعرَفوا .

وقال فيهم :

هُم الذين إذا اجتمعوا ضرُّوا ، وإذا تفرَّقوا نفعوا.

فقيل : قد عرفنا مضرة اجتماعهم فما منفعة افتراقهم ؟ فقال :

يرجِـعُ أصحابُ المِهَنِ إلى مِهَنِهِم ، فيَنتفِـعُ الناسُ بهم ، كرُجوعِ البنَّاء إلى بنائهِ ، والنسَّاجِ إلى مِنسجِه ، والخبَّاز إلى مَخبزِه .

وأتي بجانٍ ومعه غوغاء فقال :

لا مرحباً بوجوهٍ لا تُرى إلا عند كلِّ سوأة !

١ الغوغاء : الكثير المختلط من الناس .

الى ذامّ الدنيا

قال ، وقد سمع رجلاً يذم الدنيا :

أيها الذامُّ للدُّنيا ، المغترُّ بغرورها ، المخدوعُ بأباطيلِها ! أتغترُّ بالدنيا ثم تذمُّها ؟ أنت المتجرِّمُ عليها[1] ، أم هي المتجرِّمة عليك ؟ متى استهوتك ، أم متى غرَّتك ؟ أبمَصارعِ آبائك منَ البِلى ؟ ! أم بمضاجعِ أُمهاتك تحت الثرى ؟ ! كم علَّلتَ[2] بكفَّيك ، وكم مرَّضتَ بيديك ، تبغي لهم الشِّفاء ، وتستوصف لهم الأطباء ؟ غَداةَ لا يُغني عنهم دواؤك ، ولا يُجدي عليهم بكاؤك . لم ينفع أحدَهم إشفاقُك ، ولم تُسعَفْ بطِلبتِك ، ولم تدفعْ عنـه بقوَّتك ! وقد مثَّلتْ لك بـه الدنيا نفسَك ، وبمصرعِه مصرعَك !

إنَّ الدنيا دارُ صِدقٍ لمن صدَّقها ، ودارُ عافيةٍ لمن فهِم عنها ، ودارُ غنًى لمن تزوَّد منها ، ودارُ موعظةٍ لمنِ اتعظ بها . مسجدُ أحبَّاء الله ، ومصلَّى ملائكةِ الله ، ومهبِطُ وحي

---

١ المتجرم عليها : المدعي الذنب عليها .

٢ عللت : خدمت العليل .

الله ، ومتجرُ أولياء الله ، اكتسبوا فيها الرحمةَ ، وربحوا فيها الجنةَ .فمن ذا يذمُّها ؟ وقد آذنت ببَينِها[1]، ونادت بفراقِها، ونعت نفسَها وأهلَها ، فمثّلت لهم ببلائها البلاء ، وشوّقتهم بسُرورها إلى السرورِ ! راحت بعافيةٍ ، وابتكرت[2] بفجيعة، ترغيباً وترهيباً ، وتخويفاً وتحذيراً ، فذمَّها رجالٌ غداةَ الندامة، وحمِدها آخرون يومَ القيامةِ ؛ ذكّرتهم الدنيا فتذكروا ، وحدّثتهم فصدّقوا ، ووعظتهم فاتعظوا .

خيار خصال النساء

خيارُ خصالِ النساء شِرارُ خصالِ الرجالِ : الزّهو ، والجُبْنُ ، والبُخلُ . فاذا كانت المرأةُ مَزهوّةً ، لم تمكّن من نفسِها ؛ وإذا كانت بخيلةً ، حفِظت مالَها ومال بعلِها ؛ وإذا كانت جبانةً فرِقت[3] من كلّ شيء يَعرِضُ لها .

---

١ آذنت ببينها : اي اعلمت اهلها بزوالها .

٢ الرواح : يكون في العشي . الابتكار : يكون في الصباح .

٣ فرقت : خافت .

البرد

توقّوا البردَ في أولِه ، وتلقّوه في آخرِه ؛ فانه يفعل في الابدانِ كفعلِه في الأشجارِ ؛ أوّله يُحرقُ ، وآخرُه يورِق.

رجلان في الدنيا

الدنيا دارُ ممرٍّ لا دارُ مقرٍّ ، والناسُ فيها رجُلان : رجُلٌ باع فيها نفسه فأوبقها[1] ، ورجلٌ ابتاع نفسَه فأعتقها .

الهم

الهمُّ نصفُ الهرَمِ .

لا بد منها

المرأةُ شرٌّ كلُّها ، وشرٌّ ما فيها أنه لا بدَّ منها !

---

١ أوبقها : اهلكها .

الوالد والولد

إنَّ للولدِ على الوالدِ حقاً ، وإنَّ للوالدِ على الولدِ حقاً ؛ فحقُّ الوالدِ على الولدِ أن يُطيعه في كلِّ شيء ، إلا في معصية الله سبحانه ؛ وحق الولدِ على الوالدِ أن يحسِّنَ اسمَه ، ويحسِّنَ أدبهُ ، ويُعلِّمه القرآنَ .

الاشتغال بالاهل والولد

لا تجعلنَّ أكثرَ شغلِك بأهلِك وولدك ؛ فانْ يكن أهلُك وولدكَ أولياء الله ، فانَّ الله لا يُضيعُ اولياءه ؛ وإن يكونوا أعداء الله ، فما همُّك وشُغلُك بأعداء الله ؟ !

تهنئة بغلام

هنأ بحضرته رجل رجلاً بغلام ولد له ، فقال له : ليهنئك الفارس !
فقال له الامام :

لا تقل ذلك ، ولكن قل : شكرتَ الواهبَ ، وبورِكَ لك في الموهوبِ ، وبلغَ أشُدَّه ، ورُزقتَ بِرَّه !

المرأة ريحانة لا قهرمانة

من وصيته لابنه الحسن

وإياكَ ومُشاورةَ النساء، فانَّ رأيَهُنَّ إلى أفْنٍ [1]، وعزمهُنَّ الى وهْنٍ . واكفُفْ عليهِنَّ من أبصارهِنَّ بحجابِكَ إياهُنَّ؛ فانَّ شدَّةَ الحجابِ أبقى عليهِنَّ، وليس خُروجُهُنَّ بأشدَّ من إدخالِكَ مَن لا يوثَقُ به عليهِنَّ، وإنِ استطعتَ أن لا يعرفْنَ غيرَكَ فافعلْ . ولا تُمَلِّكِ المرأةَ من أمرها ما جاوز نفسَها، فانَّ المرأةَ ريحانةٌ وليست بقهرَمانةٍ [2] . ولا تعدُ [3] بكرامتِها نفسَها، ولا تطمِعْها في أن تشفعَ بغيرِها . وإياكَ والتغايُرَ [4] في غير موضعِ غيرَةٍ، فانَّ ذلك يدعو الصحيحةَ إلى السُّقْمِ، والبريئةَ الى الرِّيَبِ .

القرابة والمودة

مودَّةُ الآباءِ قرابةٌ بين الأبناءِ، والقرابةُ إلى المودَّةِ أحوجُ منَ المودةِ إلى القرابةِ .

---

١ الافن : ضعف الرأي .

٢ القهرمان : وكيل المال وامين الدخل والخرج ، يؤخذ رأيه في شؤون الدولة.

٣ لا تعد : لا تجاوز .

٤ التغاير : اظهار الغيرة .

ولاة الامور

الحاكم العاجز

في صفة من يتصدى للحكم بين الامة ، وليس لذلك بأهل

إنّ أبغضَ الخلائقِ إلى الله رجلان : رجلٌ وكَلَه الله إلى نفسِه ، فهو جائرٌ عن قصدِ السبيلِ ، مشغوفٌ بكلام بدعةٍ ، ودعاء ضلالةٍ ، فهو فتنةٌ لمنِ افتتن به ، ضالٌّ عن هديِ مَن كان قبلَه ، مُضِلٌّ لمنِ اقتدى به في حياته وبعد وفاتِه ، حمّالٌ خطايا غيرِه ، رهنٌ بخطيئتِه ؛ ورجلٌ قَمَشَ جهلاً[1] ، مُوضِعٌ[2] في جُهّالِ الأمةِ ، عادٍ في أغباش[3] الفتنة ، عَمٍ بما في عقدِ الهُدنةِ[4] ، قد سمّاه أشباه الناس عالماً ، وليس به ! بكَّرَ فاستكثر من جمعٍ ، ما قلَّ منه خيرٌ مما كثُرَ ،

---

١ قمش جهلاً : جمعه .

٢ موضع : مسرع .

٣ اغباش : ظلمات .

٤ الهدنة : السكون ، والمراد انه جاهل بما في السكون عن الفتنة من الخير .

حتى إذا ارتوى من آجنٍ[1] ، واكتنز من غير طائلٍ[2] ، جلس بين الناس قاضياً ضامناً لتخليصِ ما التبسَ على غيرهِ . فإن نزلتْ به إحدى المبهماتِ هيأ لها حشواً رثاً من رأيه ، ثم قطَع به ، فهو مِن لَبْسِ الشُّبُهاتِ في مِثلِ نسجِ العنكبوت[3]، لا يدري أصاب أم أخطأ . فان أصاب خاف أن يكون قد أخطأ ، وإن أخطأ رجا أن يكونَ قد أصاب . جاهلٌ خبّاطُ جهالاتٍ ، عاشٍ رَكّابُ عشواتٍ[4] ، لم يعَضَّ على العلمِ[5] بضرسٍ قاطعٍ ، يُذري الرّواياتِ إذراء الرّيحِ الهشيمَ ، لا مَليءٌ[6] ، والله ، بإصدارِ ما ورد عليه ، ولا هو أهلٌ لما فُوّض اليه . لا يحسَبُ العلمَ في شيء مما انكره ، ولا يرى أنّ مِن وراء ما بلغ مذهباً لغيرهِ ، وإن أظلمَ أمرٌ اكتتم به لِما يعلمُ من جهلِ نفسِهِ . تصرُخ من جَور قضائه الدّماء ، وتعجّ[7] منه المواريثُ .

---

١ الآجن : الماء الفاسد الطعم واللون .
٢ من غير طائل : اي من دون خسيس .
٣ اللبس : الالتباس . في مثل نسج العنكبوت : اي في ضعف رأيه .
٤ العاشي : الاعمى ، او الضعيف النظر . العشوات : الظلمات .
٥ لم يعض على العلم : اي لم يعجم عوده . والمراد : لم يأخذ العلم بالاختبار .
٦ المليء : الحسن القضاء .
٧ تعج : تضج ، وترفع الصوت .

الى الله أشكو من معشرٍ يعيشون جُهّالاً ، ويموتون ضُلاّلاً ، ليس فيهم سِلعةٌ أبوَرُ منَ الكتابِ إذا تُلِيَ حقّ تلاوتِه ، ولا سِلعةٌ أنفقُ بيعاً ولا أغلى ثمناً منَ الكتابِ اذا حُرّفَ عن مواضعه ، ولا عندهم أنكرُ منَ المعروفِ ، ولا أعرفُ منَ المنكرِ !

نصيحة لعمر

من كلام له وقد شاوره عمر بن الخطاب في الخروج الى غزو الروم بنفسه :

وقد توكّل الله لأهلِ هذا الدين بإعزاز الحوزةِ ، وستر العورةِ[1]، والذي نصرهم وهم قليلٌ لا ينتصِرون، ومنَعَهم وهم قليلٌ لا يمتنِعون ، حيٌّ لا يموتُ !

إنك متى تَسِر الى هذا العدوّ بنفسِك فتلقَهم فتُنكب ، لا تكن للمُسلمينَ كانِفةٌ[2] دون أقصى بلادهم ، ليس بعدَك مرجِعٌ يرجِعون اليه . فابعث اليهم رجلًا مُجرّباً ، واحفز[3] معه أهل البلاء والنصيحةِ ؛ فان أظهر الله ، فذاكَ ما تُحبُّ ، وإن تكنِ الأخرى ، كنتَ رِدءاً للناس ، ومثابةً للمسلمين[4] .

---

١ الحوزة : الناحية والجانب ، العورة : الخلل ، وكل امر يستحيا منه .
٢ كانفة : اي جهة عاصمة تصونهم .
٣ احفز : ادفع .
٤ الرده : العون والقوة . مثابة : مرجع .

نصيحة مثلها

استشاره عمر بن الخطاب في الشخوص لقتال الفرس بنفسه ، فقال له :

إنّ هذا الأمرَ لم يكن نصرُه ولا خِذلانُه بكثرةٍ ولا قلّةٍ ، وهو دينُ الله الذي أظهره ، وجُندُه الذي أعدّه وأمدّه ، حتى بلغ ما بلغ وطلَع حيثما طلع . ونحن على موعودٍ منَ الله ، والله مُنجِزٌ وعدَه ، وناصرٌ جُندَه ، ومكانُ القيّم بالأمر مكانُ النظامِ منَ الخرزِ ، يجمعُه ويَضُمُّه ، فاذا انقطع النظامُ تفرّق الخرزُ وذهب ، ثم لم يجتمِعْ بحذافيره [1] أبداً . والعربُ اليومَ ، وإن كانوا قليلا ، فهم كثيرون بالاسلام ، عزيزون بالاجتماعِ ، فكن قُطباً [2] ، واستدِرِ الرحى بالعربِ ، وأصلِهم دونك نارَ الحربِ ؛ فانك إن شخصتَ من هذه الأرض ، انتقضتْ عليك العربُ من أطرافها وأقطارِها حتى يكونَ ما تدعُ وراءك منَ العورات أهمّ اليك مما بين يديك.

إنّ الأعاجِمَ إن ينظُروا اليك غداً يقولوا : هذا اصل

١ بحذافيره : بأسره .

٢ القطب : الحديدة التي تدور عليها الرحى .

العربِ ، فاذا قطعتُموه استرحتم ، فيكونُ ذلك اشدُّ لِكَلَبِهِم عليك[1] ، وطمَعِهِم فيك . فأما ما ذكرتَ من مسيرِ القوم الى قتال المسلمين ، فانّ الله سبحانه هو أكره لمسيرِهم منك ، وهو أقدرُ على تغييرِ ما يكره؛ وأما ما ذكرتَ من عددِهِم، فإنا لم نكن نُقاتلُ فيما مضى بالكَثرةِ ، وإنما كنا نقاتلُ بالنصر والمعونة[2] .

محاسبة

من كتاب الى بعض عماله

أما بعدُ؛ فقد بلغني عنك أمرٌ إن كنتَ فعلته فقد أسخطت ربّك ، وعصَيتَ إمامَك ، وأخزيتَ أمانتَك .

بلغني أنك جرّدتَ الأرض فأخذت ما تحت قدميك ، وأكلت ما تحت يديك ، فارفعْ إليّ حسابَك ، واعلم أنّ حساب الله اعظمُ من حسابِ الناس ؛ والسلام .

---

١ كلبهم عليك : اي حرصهم على قتلك .

٢ بالنصر والمعونة : اي بنصر الله ومعونته .

نزاهة الحاكم

والله ، لأنْ أبيتَ على حَسَكِ السَّعدان[1] مُسهَّداً ، وأُجَرَّ في الأغلالِ مُصفَّداً ، أحبُّ إليَّ من أنْ ألقى الله ورسوله ، يومَ القيامةِ ، ظالماً لِبعضِ العبادِ ، وغاصباً لشيء من الحُطام. وكيف أظلِمُ أحداً لِنفسٍ يُسرعُ الى البِلى قفولُها[2] ، ويطول في الثرى حُلولُها ؟ !

والله لقد رأيت عَقيلاً وقد أملَقَ حتى استماحني من بُرّكم صاعاً[3] ، ورأيتُ صِبيانَه شُعثَ الشعورِ[4] ، غُبرَ الألوان من فَقرِهم ، كأنما سُوِّدت وجوهُهم بالعِظلِمِ[5] ؛ وعاودَني مؤكِّداً ، وكرَّر عليَّ القولَ مردِّداً ، فأصغيتُ[6] اليه سمْعي ، فظنَّ أني أبيعُه ديني ، وأتَّبعُ قِيادَه مُفارقاً طريقتي. فأحميت

---

١ السعدان : نبت له شوك يسمى حسك السعدان .

٢ لنفس : اي لاجل نفس ، والمراد بها نفسه . قفولها : رجوعها .

٣ عقيل : اخو الامام . املق : افتقر . البر : الحنطة . الصاع : اربعة امداد .

٤ شعث الشعور : اي شعورهم منتشرة مغبرة لقلة التعهد .

٥ العظلم : نبات يصبغ به صبغ اسود .

٦ اصغيت : املت .

له حديدةً ، ثم أدنيتُها من جسمهِ ليعتبرَ بها ، فضجَّ ضجيجَ ذي دنَفٍ[1] من ألمِها وكاد أن يحترقَ من مِيسَمِها[2] . فقلت له : ثَكِلَتكَ الثواكلُ يا عَقيلُ ! أتئنُّ من حديدةٍ أحماها إنسانها للَعِبهِ ، وتجُرُّني الى نارٍ سَجرَها[3] جبارُها لِغضبهِ ؟ أتئنُّ منَ الأذى ، ولا أئنُّ من لظى ؟ !

وأعجبُ من ذلك طارقٌ طرقَنا بملفوفةٍ[4] في وِعائها ، ومعجونةٍ شَنِئتُها[5] ، كأنما عُجِنت بريقِ حيَّةٍ أو قيئِها ، فقلتُ : أصِلةٌ ، أم زكاةٌ ، أم صدقةٌ ؟ فذلك محرَّمٌ علينا أهلَ البيتِ . فقال : لا ذا ولا ذاكَ ، ولكنَّها هديةٌ . فقلتُ : هبِلَتكَ الهَبولُ[6] ، أعن دينِ الله أتيتني لِتخدعَني ؟ أمختَبِطٌ ، أم ذو جِنَّةٍ ، أم تهجُرُ[7] ؟ والله لو أُعطيتُ الأقاليم

---

١ الدنف : المرض .

٢ الميسم : المكواة .

٣ سجرها : احماها .

٤ الملفوفة : هي هدية من الحلواء اهداها اليه الاشعث بن قيس ، محاولا استمالته بها ، وكانا متباغضين .

٥ شنئتها : ابغضتها .

٦ هبلتك : ثكلتك . الهبول : الثكول التي لا يعيش اولادها .

٧ المختبط : من به مس الشيطان ، او المصروع . ذو جنة : من به جنون . تهجر : تهذي .

السبعةَ بما تحت افلاكها ، على أن أعصيَ اللهَ في نملةٍ أسلبُها جِلبَ شعيرةٍ[1] ، ما فعلتُ . وإنَّ دنياكم عندي لأهونُ من ورقةٍ في فمِ جرادةٍ تقضَمُها ! ما لِعليٍّ ولِنعيمٍ يَفنى ، ولذَّة لا تَبقى ! نعوذ بالله من سُباتِ العقلِ ، وقُبحِ الزَّللِ ، وبه نستعين !

ثناؤه على عمر

لله بلادُ فلانٍ[2] ، فقد قوَّم الأوَدَ ، وداوى العمَدَ[3] ، وأقام السُّنَّةَ ، وخلَّفَ الفتنةَ . ذهب نقيَّ الثوبِ ، قليل العيبِ ، أصاب خيرَها ، وسبَقَ شرَّها . أدى إلى الله طاعتَه ، واتَّقاه بحقه . رحلَ وتركهم في طُرقٍ مُتشعّبةٍ ، لا يهتدي فيها الضالُّ ، ولا يستيقنُ المهتدي !

---

١ الجلب : غطاء الرحل ، والمراد هنا غطاء الشعيرة ، اي قشرتها .

٢ بلاد فلان : اي بلاد انشأت فلاناً ، والمراد به عمر بن الخطاب . ورواها ابن الاثير في النهاية : لله بلاء فلان : اي بلاؤه الحسن .

٣ الاود : العوج . العمد : الورم .

دار القاضي

اشترى القاضي شريح بن الحارث داراً بثمانين ديناراً . فبلغ الامام ذلك ، فاستدعاه ، وقال له : بلغني انك ابتعت داراً بثمانين ديناراً وكتبت لها كتاباً واشهدت فيه شهوداً . فقال له شريح : قد كان ذلك يا امير المؤمنين . فنظر اليه نظر المغضب ، ثم قال له :

يا شُريحُ ، أما إنه سيأتيك مَن لا ينظرُ في كتابِك ، ولا يسألك عن بيّنتِك ، حتى يخرجَك منها شاخصاً[1] ، ويُسلِمَك إلى قبرك خالصاً ! فانظر يا شُريحُ ، لا تكونُ ابتعتَ هذه الدارَ من غير مالِك ، أو نقدتَ الثمنَ من غير حلالِك ! فاذاً أنت قد خسرتَ دارَ الدنيا ودار الآخرة ! أما إنك لو كنتَ أتيتني عند شرائك ما اشتريتَ ، لكتبتُ لك كتاباً على هذه النُسخةِ ، فلم ترغب في شراء هذه الدارِ بدرهم فما فوق ؛ والنسخةُ هذه :

هذا ما اشترى عبدٌ ذليلٌ ، من عبدٍ قد أُزعِجَ للرحيل ، اشترى منه داراً من دار الغرور من جانبِ الفانين ، وخِطةِ[2]

---

١ الشاخص : المسافر الخارج من منزله .

٢ الخطة: الارض التي يختطها الانسان لنفسه ، اي يجعل عليها علامة بالخط ليعمرها .

المالكين . وتجمعُ هذه الدّارَ حُدودٌ أربعةٌ : الحدُّ الأوّل ينتهي إلى دواعي الآفاتِ ، والحدُّ الثاني ينتهي الى دواعي المصيبات ، والحدُّ الثالثُ ينتهي الى الهوى المُردي ، والحدُّ الرابعُ ينتهي الى الشيطانِ المُغوي ، وفيه يُشرع[1] بابُ هذه الدّارِ !

اشترى هذا المغترُّ بالأملِ ، من هذا المزعَجِ بالأجلِ ، هذه الدّارَ بالخروجِ من عِزِّ القناعةِ ، والدُّخولِ في ذلِّ الطلبِ والضراعةِ[2]. فما أدرك هذا المشتري فيما اشترى منه من دركٍ[3] ؛ فعلى مُبلبِلِ أجسامِ الملوكِ ، وسالبِ نفوسِ الجبابرةِ ، ومُزيلِ مُلكِ الفراعنةِ ، مِثلَ كسرى وقيصر ، وتُبَّعٍ وحِمْيَرَ ، ومَن جمعَ المالَ على المالِ فأكثر ، ومن بنى وشيَّدَ ، وزخرفَ ونجَّدَ[4] ، وادَّخرَ واعتقدَ[5] ، ونظر بزعمِه للولدِ ، إشخاصُهم[6] جميعاً الى موقفِ العَرضِ والحسابِ ، وموضعِ الثوابِ والعقابِ ، إذا وقع الأمر بفصلِ القضاء

---

١ يشرع : يفتح .

٢ الضراعة : الخضوع والاستكانة .

٣ الدرك : التبعة .

٤ نجد : زين .

٥ اعتقد : جعل لنفسه عقدة من دار او مال صامت .

٦ اشخاصهم : مبتدأ مؤخر ، وخبره في قوله : فعلى مبلبل الاجسام .

«وخسِر هنالك المبطِلون».

شهِد على ذلك العقلُ إذا خرج من أسرِ الهوى ، وسلِم من علائق الدُّنيا .

الولاية امانة لا طعمة

من كتاب له الى الاشعث بن قيس ، وهو عامل اذربيجان

وإنَّ عملَك ليس لك بطُعمةٍ ، ولكنه في عُنُقِك أمانة ، وأنت مُسترعًى لمن فوقَك[1] .

ليس لك أن تفتاتَ[2] في رعيةٍ ، ولا تخاطرَ إلا بوثيقةٍ[3] ، وفي يديك مالٌ من مالِ الله عزَّ وجلَّ ، وأنت من خزّانِه حتى تُسلّمه إليَّ . ولعلّي أن لا أكون شرَّ ولاتِك لك ، والسلام !

---

١ مسترعى لمن فوقك : اي يرعاك من فوقك ، وهو الخليفة .

٢ تفتات : اي تعمل دون استئذان .

٣ بوثيقة : اي باحتياط وثقة .

في بني تميم

من كتاب له الى عبد الله بن عباس ، وهو عامله على البصرة ، وكان قد اشتد على بني تميم لمناصرتهم طلحة والزبير يوم الجمل ، فصعب الامر على المتشيعين للامام منهم ، فشكوه اليه :

اعلمْ أنَّ البصرةَ مهبِطُ إبليسَ ومغرِسُ الفِتَنِ ، فحادِثْ أهلَها بالاحسانِ اليهم ، واحلُلْ عُقدةَ الخوف عن قلوبهم .

وقد بلغني تنمُّرُكَ لبني تميم وغِلظتُكَ عليهم . إنَّ بني تميم لم يغِبْ لهم نجمٌ إلا طلَعَ لهم آخرُ ، وإنهم لم يُسبَقوا بوغمٍ[1] في جاهليَّةٍ ولا إسلامٍ ، وإنَّ لهم بنا رَحِماً ماسةً ، وقرابةً خاصة ، نحن مأجورون على صِلتِها ، ومأزورون[2] على قطيعتها . فاربَعْ[3] أبا العباسِ ، رحِمكَ الله ! فيما جرى على لسانِك ويدِك من خيرٍ وشرٍّ ؛ فإنا شريكانِ في ذلك ، وكن عند صالحِ ظني بك ؛ ولا يَفِيلَنَّ رأيي[4] فيك ؛ والسلام !

---

١ الوغم : الثأر والحرب والقهر .

٢ مأزورون : اي موزورون ، جاء بالهمزة موازنة لمأجورون .

٣ اربع : قف واقتصر .

٤ يفيل الرأي : يضعف ويخطىء .

بين اللين والشدة

من كتاب له الى بعض عماله

أما بعدُ ، فانّ دهاقينَ[1] أهلِ بلدِك شكوا منك غِلظةً وقسوةً واحتقاراً وجفوة ؛ ونظرتُ فلم أرَهم أهلاً لأنْ يُدنَوا لِشِركِهم ، ولا أن يُقصَوا ويُجفَوا لعهدِهم[2]. فالبَس لهم جلباباً منَ اللينِ تشوبُه بطرَفٍ منَ الشدّةِ ، وداوِل لهم بين القسوة والرأفةِ ، وامزُج لهم بين التقريب والادناء ، والابعاد والاقصاء ، إن شاء الله !

---

١ الدهاقين : الزعماء ارباب الاملاك ، واحدها دهقان .

٢ لشركهم : اي لانهم مشركون. لعهدهم : اي لانهم معاهدون .

تهديد زياد

من كتاب له الى زياد ابن ابيه ، وكان نائب عبد الله بن عباس على البصرة ، وعبد الله يومئذ عامل الامــام عليها وعلى كور الاهواز وفارس و كرمان وغيرها .

وإني أُقسمُ بالله قَسماً صادقاً ، لئن بلغني أنك خُنتَ من فيء[1] المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً ، لأشُدَّنَّ عليك شَدَّةً تدَعُكَ قليلَ الوَفرِ ، ثقيلَ الظَّهر ، ضئيلَ الأمر ؛ والسلام !

مضامير الرجال

الولايات مضامير[2] الرِّجالِ .

١ الفيء : المال من غنيمة او خراج .
٢ المضامير : جمع مضمار ، وهو المكان الذي تضمر فيه الخيل للسباق ، فيعرف الجواد الكريم .

اسراف زياد

من كتاب له ايضاً

فـدعِ الاسرافَ مُقتصداً ، واذكر في اليومِ غـداً ، وأمسِكْ منَ المالِ بقدرِ ضرورتِك ، وقدّم الفضـل[1] ليومَ حاجتِك .

أترجو أن يُعطيك الله أجرَ المتواضعين ، وأنت عنده منَ المتكبرين ؟ وتطمعُ ، وأنت مُتمرّغٌ في النعيمِ تمنعُهُ الضعيف والأرمـلةَ ، أن يوجبَ لك ثوابَ المتصدّقين ؟ وإنما المرء مَجزيٌ بما أسلف ، وقادمٌ على ما قدّم ؛ والسلام !

---

١ الفضل : الزيادة . والمراد ان ينفق الزيادة في الصدقات ، فيكون له ذخراً يوم حاجته في الآخرة الى الثواب .

عهد الولاية

من عهد له الى محمد بن ابي بكر حين قلده مصر

فاخفِض لهم جناحَك ، وألِن لهم جانبَك ، وابسُط لهم وجهَك ، وآسِ بينهم[1] في اللحظةِ والنظرةِ ، حتى لا يطمعَ العظماء في حيفِك لهم[2] ، ولا ييأسَ الضعفاء من عدلِك عليهم . فانّ الله تعالى يُسائلُكم ، معشرَ عبادِه ، عن الصغيرةِ من أعمالِكم والكبيرةِ ، والظاهرةِ والمستورة ؛ فإنْ يُعذِّبْ فأنتم أظلمُ ؛ وإنْ يعفُ فهو أكرمُ .

واعلموا ، عبادَ الله ، أنّ المتّقين ذهبوا بعاجلِ الدنيا وآجلِ الآخرةِ ، فشاركوا أهلَ الدُّنيا في دنياهم ، ولم يُشارِكهم أهل الدنيا في آخرتهم . سكنوا الدنيا بأفضلِ ما سُكِنت ، وأكلوها بأفضلِ ما أُكِلت ، فحظوا من الدنيا بما حظيَ به المترَفون ، وأخذوا منها ما أخذه الجبابرةُ المتكبرون ، ثم انقلبوا عنها بالزّادِ المبلِّغِ ، والمتجرِ الرابحِ . أصابوا لذّة

---

١ آسِ بينهم : اي اجعلهم اسوة .

٢ في حيفك لهم : اي في جورك على الرعية .

زهدِ الدنيا في دنياهم ، وتيقّنوا أنهم جيرانُ الله غداً في آخرتهم ، لا تُردُّ لهم دعوةٌ ، ولا ينقص لهم نصيبٌ من لذّة.

فاحذروا ، عبادَ الله ، الموتَ وقُربَه ، وأعدّوا له عُدّته ؛ فإنه يأتي بأمرٍ عظيمٍ ، وخطبٍ جليلٍ : بخيرٍ لا يكونُ معه شر أبداً ، أو شرٍّ لا يكونُ معه خيرٌ أبداً ! فمن أقربُ الى الجنّةِ من عاملِها[1] ، ومَن أقربُ إلى النار من عاملِها ؟ وأنتم طرداء الموتِ ، إن أقمتم له أخذكم ، وإن فررتم منه أدركم ، وهو ألزمُ لكم من ظلّكم ! الموتُ معقودٌ بنواصيكم ، والدنيا تُطوى من خلفكم ، فاحذروا ناراً قعرُها بعيدٌ ، وحرُّها شديدٌ ، وعذابها جديدٌ : دارٌ ليس فيها رحمةٌ ، ولا تُسمع فيها دعوةٌ ، ولا تُفرّجُ فيها كُربةٌ . وإنِ استطعتم أن يشتد خوفُكم منَ الله ، وأن يَحسُنَ ظنُّكم به ، فاجمعوا بينهما ، فإنّ العبدَ إنما يكونُ حُسنُ ظنّه بربّه على قدرِ خوفِه من ربهِ ، وإنّ أحسنَ الناس ظنّاً بالله أشدُّهم خوفاً لله .

واعلم ، يا محمدُ بنَ أبي بكرٍ ، أني قد ولّيتُك أعظم أجنادي[2] في نفسي : أهلَ مصرَ ، فأنت محقوقٌ أن تخالفَ على نفسك[3] ،

---

١ من عاملها : اي الذي يعمل لها .

٢ اجنادي : اي اقاليمي ، يقال : جند الشام وجند مصر وغيرهما اي اقاليمها واطرافها .

٣ محقوق : جدير . ان تخالف على نفسك : اي ان لا تتبع هواها.

وأن تُنافحَ[1] عن دينِك ، ولو لم يكن لــك إلا ساعة منَ الدهرِ . ولا تُسخِطِ الله برضا أحدٍ من خَلقِه ؛ فانَّ في الله خلَفاً من غيرِهِ ، وليس منَ الله خلَفٌ في غيرِهِ .

صلِّ الصلاة لوقتِها الموقّتِ لها ، ولا تُعجّل وقتَها لفراغ ، ولا تؤخّرها عن وقتِها لاشتغالٍ ، واعلم أنَّ كلَّ شيء من عملِك تبَعٌ لصلاتِك .

آلة الرئاسة

آلة الرِّئاسةِ سَعةُ الصدرِ .

---

١ تنافح : تدافع .

الحرص على بيت المال

من كتاب الى عامل من بني عمه ، وقد بلغه انه استولى على مخزون بيت المال :

أما بعدُ ، فإني كنتُ أشركتُك في أمانتي ، وجعلتُك شِعاري وبطانتي ، ولم يكن رجلٌ من أهلي أوثقَ منك في نفسي لمواساتي وموازرتي ، وأداء الأمانةِ إليّ . فلما رأيتَ الزّمانَ على ابنِ عمّك قد كَلِبَ ، والعدُوَّ قد حرِبَ[1] ، وأمانةَ الناس قد خَزِيت ، وهذه الأمةَ قد فنكت[2] وشغرت[3] ، قلبْتَ لابنِ عمّك ظهرَ المِجَنّ[4] ، ففارقتَه مع المفارقين ، وخذلتَه مع الخاذلين ، وخنتَه مع الخائنين . فلا ابنَ عمّك آسيتَ ، ولا الأمانةَ أدّيتَ ، وكأنك لم تكنِ اللهَ تُريد بجهادك ، وكأنك لم تكن على بيّنةٍ من ربّك ، وكأنك إنما

---

١ كلب الزمان : اشتد . حرب العدو : اشتد غضبه .

٢ فنكت : مضت في الامور مع هواها .

٣ شغرت : لم يبق احد يحميها ويضبطها .

٤ قلبت له ظهر المجن : اي كنت معه فصرت عليه .

كنتَ تكيدُ هذه الأمةَ عن دنيـاهم ، وتنوي غِرَّتهم عن فَيئهم[1] ، فلما أمكنتك الشِّدةُ[2] في خيانةِ الأمة أسرعتَ الكرَّةَ ، وعاجلتَ الوثبةَ ، واختطفتَ ما قدرتَ عليه من أموالهم المصونـةِ لأراملِهم وأيتامِهم ، اختطـافَ الذئبِ الأزلِّ[3] داميةَ المِعزى الكسيرةَ . فحملتَه إلى الحجازِ رحيبَ الصدرِ بحملِه ، غيرَ متأثمٍ مـن أخذهِ ، كأنك ، لا أبا لغيرك[4]، حدرتَ الى أهلِك تُراثاً من أبيك وأمّك ، فسبحان الله ! أما تؤمنُ بالمَعادِ ؟ أوما تخافُ نقاشَ الحسابِ ؟ أيها المعدودُ ، كان ، عندنا من ذوي الألبابِ ، كيف تُسيغُ شراباً وطعاماً ؟ ؛ وأنت تعلم أنك تأكلُ حراماً ، وتشرب حراماً ، وتبتاعُ الإماء، وتنكحُ النساء ، من مالِ اليتامى والمساكين والمؤمنين والمجاهدين الذين أفاء[5] الله عليهم هـذه الأموال ، وأحرز بهم هذه البلادَ ؟

فاتقِ الله واردُدْ الى هؤلاء القومِ أموالهم ؛ فإنك إن لم

---

١ الغرة : الغفلة . الفيء : مال الغنيمة والخراج .

٢ الشدة : اي شدة الزمان على ابن عمه ، او هي بالفتح بمعنى الحملة .

٣ الازل : الخفيف الوركين .

٤ لا ابا لغيرك : لم يقل له: لا ابا لك ، لانه ابن عمه .

٥ افاء : اعاد .

تفعل ، ثم أمكنني الله منك ، لأعذِرنّ الى الله فيك[1] ، ولأضربنّك بسيفي الذي ما ضربت به أحداً إلا دخل النار! والله لو أنّ الحسن والحسينَ فعلا مثل الذي فعلت ، ما كانت لهما عندي هَوادةٌ ، ولا ظفِرا مني بإرادةٍ ، حتى آخُذ الحقّ منهما ، وأُزيلَ الباطــلَ عن مَظلمتِهما . وأُقسِمُ بالله رب العالمين ، ما يَسرُّني أنّ ما أخذتَه من أموالهِم حلالٌ لي أتركُه ميراثاً لمن بعدي ، فضحّ رويداً[2] ، فكأنك قد بلغت المدى[3] ، ودُفِنتَ تحت الثرى ، وعُرِضتْ عليك أعمالك بالمحَلّ الذي يُنادي الظالمُ فيه بالحسرةِ ، ويتمنى المضيّعُ فيه الرّجعةَ ، ولاتَ حين مناصٍ !

---

١ لأعذرن : لأبدين العذر . فيك : أي في عقوبتك .

٢ ضح رويداً : اي اتئد ، ولا تعجل الى الامر .

٣ المدى : اي غاية العمر ونهايته .

عزل عامل محسن

من كتاب الى عمر بن ابي سلمة المخزومي ، وكان عامله على البحرين فعزله ، واستعمل نعمان بن عجلان الزرقي مكانه :

أما بعدُ ، فإني قد ولّيتُ نُعمانَ بنَ عجلانَ الزُّرقيَّ على البحرينِ ، ونزعتُ يدَكَ بلا ذمٍّ لك ولا تثريب[1] عليك ، فلقد أحسنتَ الولايةَ ، وأديتَ الأمانةَ ، فأقبِلْ غير ظنينٍ ولا ملوم ، ولا مُتّهَمٍ ولا مأثومٍ . فلقد اردتُ المسير الى ظلَمةِ أهلِ الشامِ ، وأحببتُ أن تشهدَ معي ؛ فانك ممن أستظهِرُ به على جهادِ العدوِّ ، وإقامةِ عمودِ الدينِ ، إن شاء الله !

---

١ التثريب : اللوم .

عامل في وليمة

من كتاب الى عثمان بن حنيف الانصاري ، وكان عامله على البصرة ، وقد بلغه انه دعي الى وليمة قوم من اهلها ، فمضى اليها :

أما بعدُ يا ابنَ حُنيفٍ ، فقد بلغني أنّ رجلًا من فِتيةِ أهلِ البصرةِ دعاك الى مأدبةٍ فأسرعتَ اليها تُستطابُ لك الألوانُ ، وتُنقلُ اليك الجِفانُ [1] ! وما ظننتُ أنك تجيب الى طعامِ قومٍ عائلُهم [2] مجفوٌّ ، وغنيُّهم مدعوٌّ . فانظر الى ما تقضَمُهُ من هذا المقضمِ [3] ، فما اشتبه عليك عِلمُهُ [4] فالفِظه ، وما أيقنتَ بطيبِ وجوهِهِ فنَل منه .

ألا وإنّ لكلّ مأمومٍ إماماً يقتدي به ، ويستضيء بنور علمِهِ ؛ ألا وإنّ إمامكم قدِ اكتفى من دنياه بطِمرَيهِ [5] ، ومن طُعمِهِ بقُرصيهِ ؛ ألا وإنكم لا تقدرونَ على ذلك ، ولكن

---

١ الجفان : جمع جفنة وهي القصعة .

٢ العائل : المحتاج .

٣ تقضمه : تأكله . المقضم : المأكل .

٤ علمه : اي علم حلاله من حرامه .

٥ الطمر : الثوب البالي .

اعينوني بورعٍ واجتهادٍ ، وعفّةٍ وسدادٍ . فوالله ما كنزتُ من دنياكم تبراً[1] ، ولا ادّخرتُ من غنائمها وفراً ، ولا أعددتُ لبالي ثوبي طِمراً[2] ، ولا حُزتُ من أرضها شبراً ، ولا أخذتُ منه إلا كقوتِ أتانٍ دَبِرَةٍ[3] ، ولهيَ في عيني أوهى وأهونُ من عفصةٍ مَقِرَةٍ[4] .

بلى ! كانت في ايدينا فَدَكٌ[5] من كلّ ما أظلّته السماء ، فشحّت عليها نفوسُ قومٍ ، وسخت عنها نفوسُ قومٍ آخرين ، ونِعم الحَكَمُ الله !

وما أصنعُ بفَدَكٍ وغير فدكٍ ؟ والنفس مظانُّها في غدٍ جَدَثٌ[6] ، تنقطعُ في ظلمتِه آثارُها ، وتغيب أخبارُها ؛ وحفرةٌ لو زيدَ في فُسحتِها ، وأوسعت يدا حافرِها ، لأضغطها الحجرُ والمدَرُ[7] ، وسدَّ فُرَجَها الترابُ المتراكمُ ، وإنما هي

---

١ التبر : فتات الذهب والفضة قبل ان يصاغا .

٢ اعددت لبالي ثوبي طمراً : اي اعددت ثوباً بالياً آخر .

٣ الاتان : انثى الحمار . دبرة : معقورة الظهر ، وهي في هذه الحال يقل اكلها.

٤ العفصة : شجرة كالبلوط . مقرة : مرة .

٥ فدك : قرية للنبي فيها نخل ، قيل انه جعلها من نصيب ابنته فاطمة ، فضمها ابو بكر الى بيت المال .

٦ مظانها : جمع مظنة ، وهي موضع الشيء . الجدث : القبر .

٧ المدر : الطين .

نفسي أرُوضُها بالتقوى لتأتيَ آمنةً يومَ الخوفِ الأكبرِ ، وتثبُتَ على جوانبِ المزلقِ[1] ، ولو شئتُ لاهتديتُ الطريق إلى مُصفّى هذا العسلِ ، ولُبابِ هذا القمحِ ، ونسائجِ هذا القزّ ؛ ولكن هيهات أن يغلِبَني هوايَ ، ويقودني جشعي إلى تخيُّر الأطعمةِ ، ولعل بالحجازِ أوِ اليمامةِ مَن لا طمعَ له في القُرص ولا عهد له بالشِّبَعِ ! أو أبيتَ مِبطاناً وحولي بطونٌ غَرثى[2] وأكبادٌ حرّى ! أو أكونَ كما قال القائل :

وحسبُكَ داءً أن تبيتَ ببِطنةٍ ،
وحوالَكَ أكبادٌ تحِنُّ الى القدِّ[3] !

أأقنعُ من نفسي بأن يقالَ : هذا أميرُ المؤمنين ! ولا أشاركَهم في مكاره الدّهر ، أو أكونَ أسوةً لهم في جُشوبة العيش[4] ؟ فما خُلقتُ لِيَشغَلني أكلُ الطيّباتِ كالبهيمةِ المربوطة همُّها علفُها ، أو المرسَلةِ شُغلُها تقمُّمُها[5] ، تكترش من أعلافها ، وتلهو عما يرادُ بها ؛ أو أُترَكَ سُدى وأُهمَلَ عابثاً ،

---

١ المزلق : اي الصراط .

٢ مبطان : ممتلىء البطن . غرثى : جائعة .

٣ البطنة : امتلاء البطن من الطعام حتى يضيق النفس . القد بالفتح : جلد السخلة، وكانوا يأكلون القد في الجوع والجدب .

٤ جشوبة العيش : سوءه وخشونته .

٥ التقمم : تتبع القمامة لاكلها ، والقمامة : الكناسة .

أو أجرَّ حبلَ الضلالةِ ، أو أعتسفَ طريقَ المتاهةِ .

وكأني بقائلِكم يقولُ : « إذا كان هـذا قوتَ ابنِ أبي طالبٍ ، فقد قعد به الضعفُ عن قتالِ الأقرانِ ومنازلةِ الشجعانِ . » ألا وإنَّ الشجرةَ البرّيّةَ[1] أصلبُ عوداً، والروائعَ الخضِرةَ أرقُّ جلوداً[2] ، والنباتاتِ العذيّةَ[3] أقوى وُقوداً[4] ، وأبطأُ خموداً ! وأنا من رسول الله كالصّنوِ من الصّنو[5] ، والذّراعِ من العَضُدِ . واللهِ لو تظاهرتِ العربُ على قتالي لمَا ولّيتُ عنها، ولو أمكنتِ الفُرصُ من رقابِها لسارعتُ إليها. وسأجهدُ في أن أُطهّرَ الأرضَ من هـذا الشخص المعكوس، والجسمِ المركوس[6]، حتى تخرجَ المدرةُ[7] من بين حب الحصيد.

---

١ الشجرة البرية : اي التي لا يرويها الماء .

٢ الروائع الخضرة: اراد بها الاشجار الجميلة الغضة التي يسقيها الماء . أرق جلوداً: اي ليست بصلابة العود .

٣ العذية : اي التي لا يسقيها الا المطر .

٤ الوقود بالضم : الاتقاد .

٥ كالصنو من الصنو : اي كالنخلة من النخلة في الاصل الواحد ، وتروى كالضوء من الضوء .

٦ المعكوس : المردود آخره الى اوله ، اراد به معاوية ، وانه معكوس الى ضلال جاهليته . المركوس : المقلوب اوله على آخره ، ومنه الآية : والله أركسهم بما كسبوا ، اي قلبهم وردهم الى كفرهم بما كسبوا منه، وركس وأركس واحد .

٧ المدرة : قطعة الطين اليابس .

حقوق وواجبات

من كتاب الى امرائه على الجيوش

من عبد الله عليّ بنِ أبي طالبٍ أميرِ المؤمنين الى اصحاب المسالحِ [1] .

أما بعدُ ، فإنّ حقّاً على الوالي أن لا يُغيّره على رعيّتِه فضلٌ ناله ، ولا طَولٌ [2] خُص به ، وأن يزيدَه ما قسم الله له من نعمِه دُنوّاً من عبادِه ، وعطفاً على إخوانِه .

ألا وإنّ لكم عندي أن لا أحتجزَ دونكم سرّاً إلا في حربٍ ، ولا أطويَ دونكم أمراً إلا في حُكمٍ ، ولا أؤخّر لكم حقّاً عن محلّه ، ولا أقفَ به دون مقطعِه [3] ، وأن تكونوا عندي في الحقّ سواء . فاذا فعلت ذلك وجبَت لله عليكم النعمةُ ، ولي عليكم الطاعةُ ، وأن لا تنكُصوا عن دعوةٍ [4]

١ المسالح: الثغور التي يخشى دخول العدو منها ، وتكون فيها القوات المسلحة .

٢ الطول : الفضل .

٣ دون مقطعه : اي دون حد القطع به متى تعين الحكم .

٤ تنكصوا : تحجموا . عن دعوة : اي عن دعوة الى الجهاد ادعوكم بها .

ولا تفرّطوا في صلاحٍ ، وأن تخوضوا الغمراتِ الى الحقّ . فإن أنتم لم تستقيموا لي على ذلك ، لم يكن أحدٌ أهونَ عليّ ممن اعوجّ منكم ، ثم أعظِمُ له العقوبةَ ، ولا يجدُ عندي فيها رُخصةً[1] . فخذوا هذا من أمرائكم ، وأعطوهم من أنفسِكم ما يُصلِحُ الله به أمرَكم .

---

١ رخصة : تساهل .

وصيته الى عمال الخراج

من عبدِ الله عليّ أميرِ المؤمنين إلى أصحاب الخراج .

أما بعدُ ؛ فإنّ مَن لم يحذَر ما هو صائرٌ اليه ، لم يُقدّم لنفسه ما يحرزها[1] . واعلَموا أنّ ما كُلّفتم يسيرٌ ، وأن ثوابه كثيرٌ . ولو لم يكن فيما نهى الله عنه منَ البغي والعُدوان عقابٌ يُخافُ ، لكان في ثوابِ اجتنابه ما لا عُذرَ في ترك طلبه . فأنصِفوا الناسَ من أنفسِكم ، واصبروا لحوائجهم ، فإنكم خُزّانُ الرعيةِ ، ووكلاء الأمةِ ، وسفراء الأئمةِ . ولا تحسِموا[2] أحداً عن حاجته ولا تحبِسوه عن طلِبتِه ، ولا تبيعُنَّ للناس في الخراج كُسوةَ شتاء ولا صيفٍ ، ولا دابةً يعتملون عليها ، ولا عبداً ؛ ولا تضربُنّ أحداً سوطاً لمكانِ درهمٍ ، ولا تمسُّنّ مال أحدٍ من الناس : مُصَلٍّ ولا مُعاهَدٍ[3] ، إلا

---

١ لم يقدم لنفسه : اي لم يجعل لها من الحسنات مقدمة تحفظها في الآخرة .

٢ تحسموا : تقطعوا .

٣ مصل : اي مسلم . معاهد : اي من الذميين المقيمين في البلاد ، او من يدخل دار الاسلام على عهد ، اما لاداء رسالة ، او لتجارة ونحو ذلك ، ثم يعود الى بلاده .

أن تجدوا فرَساً أو سلاحاً يُعدى به على أهلِ الاسلامِ ، فانه لا ينبغي للمسلمِ أن يدعَ ذلك في أيدي أعداء الاسلام فيكونَ شوكةً عليه . ولا تدّخروا[1] أنفسكم نصيحةً ، ولا الجندَ حسنَ سيرةٍ ، ولا الرعيةَ معونةً ، ولا دينَ الله قوةً . وأبلوا في سبيلَ الله ما استوجب عليكم ، فانَّ الله ، سبحانه ، قدِ اصطنعَ عندنا[2] وعندكم أن نشكره[3] بجُهدنا ، وأن ننصُره بما بلغت قوتُنا ، ولا قوةَ إلا بالله العليِّ العظيمِ !

١ لا تدخروا : على تضمينها معنى لا تمنعوا .
٢ اصطنع عندنا : أحسن الينا .
٣ ان نشكره : اي لأن نشكره ، حذف لام التعليل .

عهد الاشتر النخعي

كتابه الى الاشتر النخعي لما ولاه على مصر واعمالها ، حين اضطرب امر اميرها محمد بن ابي بكر ، وهو أطول عهد كتبه ، واجمعه للمحاسن :

بسم الله الرحمن الرحيم .

هذا ما أمر به عبدُ الله عليٌّ أميرُ المؤمنين مالكَ بنَ الحارث الاشترَ في عهدِهِ اليه ، حين ولاه مِصرَ : جبايةَ خراجِها ، وجهادَ عدوِّها ، واستصلاحَ أهلِها ، وعِمارةَ بلادِها .

أمَرَهُ بتقوى الله ، وإيثار طاعتِه ، واتّباعِ ما أمرَ به في كتابِهِ ، من فرائضِهِ ، وسُننهِ ، التي لا يَسعَدُ أحدٌ إلا باتباعِها ولا يشقى إلا مع جُحودِها وإضاعتِها ؛ وأن يَنصُرَ الله ، سبحانه ، بقلبِهِ ويدِه ولسانِهِ ؛ فإنه ، جلَّ اسمُهُ ، قد تكفّلَ بنصرِ مَن نصرَهُ ، وإعزازِ مَن أعزَّه . وأمَرَهُ أن يَكسِرَ نفسَه منَ الشهواتِ ، ويزعها[1] عند الجمَحاتِ ؛ فانَّ النفسَ أمّارة بالسوء ، إلاّ ما رحمَ الله .

---

١ يزعها : يكفها .

ثم اعلمْ ، يا مالكُ ، أني قد وجّهتُكَ إلى بلادٍ قد جرت عليها دولٌ قبلَكَ من عدلٍ وجَورٍ ، وأنّ الناس ينظرون من أمورِكَ في مِثلِ ما كنتَ تنظرُ فيه من أمورِ الولاةِ قبلَكَ ، ويقولون فيكَ ما كنتَ تقولُ فيهم ، وإنما يُستدلُّ على الصالحين بما يُجري الله لهم على ألسُنِ عبادِه ؛ فليكن أحبَّ الذخائرِ اليكَ ذخيرةَ العملِ الصالحِ . فاملِكْ هواكَ وشُحَّ بنفسِكَ عما لا يحِلُّ لكَ ، فانّ الشحَّ بالنفسِ الانصافُ منها فيما أحببتَ أو كرهتَ . وأشعِرْ قلبَكَ الرحمةَ للرّعيةِ ، والمحبةَ لهم ، واللطفَ بهم ، ولا تكوننَّ عليهم سبُعاً ضارياً تغتنمُ أكلَهم ، فإنهم صِنفانِ : إما أخٌ لكَ في الدين ، أو نظيرٌ لكَ في الخَلق ، يَفرُطُ منهم الزَّلَلُ ، وتَعرِضُ لهم العِلَلُ ، ويؤتى على أيديهم[1] في العَمْدِ والخطإ . فأعطِهم من عفوِكَ وصفحِكَ مثلَ الذي تُحبُّ أن يُعطيكَ الله من عفوِه وصفحِه ، فإنكَ فوقهم ، ووالي الأمرِ عليكَ فوقَكَ ، والله فوق مَن ولاكَ ، وقدِ استكفاكَ أمرَهم[2] وابتلاكَ بهم ؛ ولا تنصِبنّ

---

١ يؤتى على ايديهم : اي يستولى عليها ، والمراد تستولي عليها السيئات .

٢ استكفاك امرهم : اي طلب منك كفاية امرهم .

نفسَكَ لحربِ الله فإنه لا يدَيْ لكَ[1] بنقمتِه ، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته . ولا تندمنَّ على عفوٍ ، ولا تبجحنَّ بعقوبةٍ ، ولا تُسرعنَّ إلى بادرةٍ وجدتَ عنها مندوحةً ، ولا تقولنَّ : إني مؤمَّرٌ آمُرُ فأطاعُ ، فانَّ ذلك إدغالٌ[2] في القلبِ ، ومَنهكةٌ للدين ، وتقرُّبٌ منَ الغِيَرِ[3] .

آفة التكبر

وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانِك أبَّهةً أو مَخيلَةً[4]، فانظر الى عِظَمِ مُلكِ الله فوقك، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسِك ؛ فانَّ ذلك يُطامنُ[5] إليك من طِماحِك ، ويكُفُّ عنك من غرْبك[6] ، ويفيء اليك بما عزب[7] عنك من عقلِك .

---

١ لا يدي : اي لا طاقة، ويستعمل كذلك بحذف النون كأنه يراد به الاضافة.

٢ الادغال : الافساد ؛

٣ الغير : نوازل الدهر وبلاياه .

٤ المخيلة : الخيلاء .

٥ يطامن : يخفض .

٦ الغرب : الحدة .

٧ يفيء : يرجع . عزب : غاب .

إياكَ ومُساماةَ الله في عظمَتِه ، والتشبُّهَ به في جبروته ؛ فانَّ الله يُذلُّ كلَّ جبارٍ ، ويُهينُ كلَّ مختالٍ !

الانصاف

أنصِفِ الله وأنصفِ النـاس من نفسِك ، ومن خاصـةِ أهلِك ، ومَن لك فيه هوًى من رعيَّتك ؛ فإنك إلاَّ تَفعلْ تَظلِمْ ! ومن ظلم عبـادَ الله ، كان الله خصمَه دون عبـاده ؛ ومَن خاصمه الله أدحض حُجتَه ، وكان لله حرباً حتى ينزِع[1] أو يتوبَ . وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمـةِ الله وتعجيـل نِقمتِه ، من إقامةٍ على ظلمٍ ، فانَّ الله سميعٌ دعوة المضطهَدين وهو للظالمين بالمرصاد !

رضى العامة

وليكن أحبُّ الامورِ إليك أوسطَها في الحقّ ، وأعمَّها في العدل ، وأجمعها لرضى الرعيةِ ، فانَّ سُخط العامةِ يُجحِف برضى الخاصةِ[2] ، وإنَّ سُخط الخاصةِ يُغتفرُ مع رضى العامة ،

١ حرباً : اي عدواً محارباً . ينزع : اي يقلع عن ظلمه .
٢ اجحف برضى الخاصة : ذهب به ، اي لا ينفع رضى الخاصة اذا سخطت العـامة .

وليس أحدٌ منَ الرعيةِ أثقلَ على الوالي مؤونةً في الرخاء، وأقلّ معونةً له في البلاء، وأكرهَ للانصاف، وأسألَ بالالحاف، وأقلّ شكراً عند الاعطاء، وأبطأ عذراً عند المنعِ، وأضعفَ صبراً عند ملمّاتِ الدهر من أهلِ الخاصةِ؛ وإنما عِمادُ الدينِ، وجِماعُ المسلمين، والعدّةُ للاعداء العامةُ منَ الأمةِ؛ فليكن صغوُكَ[1] لهم، وميلُكَ معهم!

ستر عيوب الناس

وليكن أبعدُ رعيّتِك منك، وأشنأهم[2] عندك أطلبهم لمعايبِ الناس؛ فانّ في الناس عيوباً الوالي أحقُّ مَن سترها، فلا تكشفنّ عما غاب عنك منها، فانما عليك تطهيرُ ما ظهر لك، والله يحكم على ما غاب عنك. فاسترِ العورة ما استطعتَ، يسترِ الله منك ما تحبُّ سترَه من رعيتك. أطلِقْ عنِ الناس عُقدةَ كلِّ حقدٍ، واقطعْ عنك سببَ كلِّ وترٍ[3]، وتغابَ عن كلّ ما لا يَصِحُ لك، ولا تعجلنّ الى تصديقِ ساعٍ؛ فان الساعي غاشٌ، وإن تشبّه بالناصحين.

---

١ صغوك: ميلك.

٢ اشنأهم: أبغضهم.

٣ الوتر: الثأر او الظلم فيه والجناية.

ولا تُدخلَنَّ في مشورتِك بخيلاً يَعدِلُ بكَ عنِ الفضلِ ، ويعِدُكَ الفقرَ ، ولا جباناً يُضعفُكَ عنِ الأمورِ ، ولا حريصاً يُزيّن لكَ الشرَه بالجَورِ ؛ فانَّ البخلَ والجُبنَ والحرص غرائزُ شتى يجمَعُها سوء الظنّ بالله !

إنّ شرَّ وُزرائِكَ مَن كان للأشرار قبلَكَ وزيراً ، ومَن شرِكَهم في الآثامِ ، فلا يكونَنَّ لكَ بطانةً ، فإنهم أعوان الأثَمةِ ، وإخوانُ الظَّلَمةِ ! وأنت واجدٌ منهم خيرَ الخلَفِ ممن له مِثلُ آرائهم ونفاذِهم ، وليس عليه مثلُ آصارِهم وأوزارِهم[1] ممن لم يُعاونْ ظالماً على ظلمِهِ ، ولا آثماً على إثمِهِ. أولئك أخفُّ عليكَ مؤونةً ، وأحسنُ لكَ معونةً ، وأحنى عليكَ عطفاً ، وأقلُّ لغيرِكَ إلفاً ؛ فاتخذْ أولئكَ خاصةً لخلَواتكَ وحفلاتكَ ، ثم ليكن آثرُهم عندكَ أقولَهم بمُرِّ الحقِّ لكَ ، وأقلَّهم مساعدةً فيما يكونُ منكَ ، مما كره الله لأوليائه ، واقعاً ذلك من هواكَ حيث وقع . والصَقْ بأهلِ الورعِ والصدقِ ، ثم رضْهم على أن لا يُطرُوكَ[2] ولا يُبجّحوكَ[3]

١ الآصار : الذنوب والآثام ، وكذلك الاوزار .

٢ رضهم : دربهم وعودهم ، من راض . يطروك : يحسنوا الثناء عليك .

٣ يبجحوك : يجعلوك تتبجح ، اي تباهي وتفاخر .

بباطلٍ لم تفعلْه ؛ فانَّ كثرةَ الاطراء تُحدثُ الزَّهوَ وتدني منَ العِزَّة .

معاملة الرعية

ولا يكونَنَّ المحسنُ والمسيء عندك بمنزلةٍ سواء ؛ فانَّ في ذلك تزهيداً لأهلِ الاحسانِ في الاحسانِ ، وتدريباً لأهل الاساءة على الاساءة ! وألزمْ كلاًّ منهم ما ألزمَ نفسَه . واعلم أنه ليس شيء بأدعى إلى حُسنِ ظنِّ راعٍ برعيته من إحسانِه اليهم ، وتخفيفِه المؤوناتِ عليهم ، وتركِ استكراهِه إياهم على ما ليس له قِبَلَهم . فليكن منك في ذلك أمرٌ يجتمع لك به حُسنُ الظنِّ برعيتك ، فانَّ حُسنَ الظنِّ يقطعُ عنك نصَباً[1] طويلاً ، وإنَّ أحقَّ مَن حَسُنَ ظنُّك به لمَن حَسُنَ بلاؤك عنده ، وإنَّ أحقَّ مَن ساء ظنُّك به لمَن ساء بلاؤك عنده .

ولا تنقُضْ سُنَّةً صالحة عمِل بها صُدورُ هذه الامة ، واجتمعت بها الألفةُ وصلَحت عليها الرعيةُ ؛ ولا تُحدِثَنَّ سُنَّة تضرُّ بشيء من ماضي تلك السُّنَنِ ، فيكونَ الأجرُ لمِن سنَّها ، والوزرُ عليكَ بما نقضتَ منها .

وأكثِرْ مُدارسةَ العلماء ، ومنافثة[2] الحكماء في تثبيت

---

١ النصب : التعب .

٢ منافثة : محادثة .

ما صلَح عليه أمرُ بلادِك ، وإقامة ما استقام به الناس قبلَك.

طبقات الرعية

واعلم أنَّ الرَّعيةَ طبقاتٌ لا يصلُحُ بعضُها إلا ببعضٍ ، ولا غنى ببعضِها عن بعض ؛ فمنها جنودُ الله ، ومنها كُتّاب العامة والخاصة ، ومنها قُضاةُ العدلِ ، ومنها عُمّالُ الانصاف والرِّفقِ ، ومنها أهلُ الجزيةِ والخَراجِ من أهلِ الذِّمّةِ ومُسلِمَةَ الناس ، ومنها التجارُ وأهل الصناعاتِ ، ومنها الطبقةُ السفلى من ذوي الحاجةِ والمسكنةِ ، وكلٌّ قد سمّى الله له سهمَه[1] ، ووضع على حدِّه[2] وفريضته في كتابِه أو سُنّةِ نبيِّه ، صلى الله عليه وآله وسلم ، عهداً منه عندنا محفوظاً .

فالجنودُ ، باذنِ الله ، حُصونُ الرعية ، وزينُ الولاةِ ، وعزُّ الدينِ ، وسُبلُ الأمنِ ؛ وليس تقومُ الرعيةُ إلا بهم ، ثم لا قِوامَ للجنودِ إلا بما يُخرجُ الله لهم منَ الخَراجِ الذي يقوَونَ به على جهادِ عدوِّهم ، ويعتمدون عليه فيما يُصلِحهم ، ويكونُ من وراء حاجتِهم . ثم لا قِوامَ لهذين الصنفين[3] إلا

---

١ سهمه : نصيبه .

٢ حده : اي تميزه عن الآخر .

٣ الصنفين : اي صنف الجنود وصنف أهل الخراج .

بالصنفِ الثالثِ منَ القُضاةِ والعمالِ والكُتّاب ، لِما يُحكِمون منَ المعاقدِ[1]، ويجمعون من المنافعِ ، ويؤتمنون عليه من خواصّ الأمور وعوامّها . ولا قِوامَ لهم جميعاً إلا بالتُّجار وذوي الصناعاتِ فيما يجتمعون عليه من مرافقِهم[2] ، ويُقيمونه من أسواقِهم ، ويكفونهم منَ الترفُّق بأيديهم مما لا يبلغُه رفقُ[3] غيرِهم . ثم الطبقةُ السفلى من أهلِ الحاجة والمسكنةِ الذين يحق رِفدُهم[4] ومعونتُهم ، وفي الله لكلٍّ سَعةٌ ، ولكلٍّ على الوالي حقٌّ بقدرِ ما يُصلِحُه .

الجنود

وليس يخرج الوالي من حقيقةِ ما ألزمه الله من ذلك إلا بالاهتمام والاستعانة بالله ، وتوطين نفسه على لزُوم الحقّ ، والصبر عليه فيما خفَّ عليه أو ثقُل . فولِّ من جنودِك أنصحَهم في نفسِك لله ولرسوله ولامامِك ، وأنقاهم جيباً[5] ،

١ المعاقد : اي عقود البيع والشراء ونحوهما .
٢ المرافق : المنافع .
٣ الترفق : التكسب . الرفق : الكسب .
٤ الرفد : العطاء .
٥ انقاهم جيباً : اي انقاهم صدراً ، والجيب طوق القميص .

وأفضلَهم حِلماً ، ممن يُبطيء عنِ الغضبِ ، ويستريح إلى العُذرِ ، ويرأفُ بالضُّعفاء ، وينبو[1] على الأقوياء ؛ وممن لا يُثيرهُ العُنفُ ، ولا يَقعُدُ به الضَّعفُ .

ثم الصَقْ بذوي المروءات والأحسابِ ، وأهلِ البيوتات الصالحةِ ، والسوابقِ الحسنةِ ، ثم أهلِ النجدةِ والشجاعة والسخاء والسماحة ؛ فانهم جِماعٌ منَ الكرَمِ ، وشُعَبٌ منَ العُرف[2] . ثم تفقّدْ من أمورِهم ما يتفقّدُ الوالدان من ولدهِما ، ولا يتفاقمنّ في نفسِك شيء قوّيتَهم به ، ولا تحقِرنّ لطفاً تعاهدتَهم به ، وإن قلّ ، فإنه داعيةٌ لهم إلى بذلِ النصيحة لك ، وحُسنِ الظنّ بك . ولا تدعْ تفَقّدَ لطيفِ أمورِهم اتّكالاً على جسيمِها ؛ فانّ لليسيرِ من لطفِك موضِعاً ينتفعون به ، وللجسيمِ موقِعاً لا يستغنون عنه .

وليكن آثَرَ رُؤوسِ جندِك عندك مَن واساهم[3] في معونتِه ، وأفضلَ عليهم من جِدَتِه[4] ، بما يسعُهم ويسعُ من

---

١ ينبو : يتجافى .

٢ شعب : طوائف ، واحدتها شعبة . العرف : المعروف .

٣ واساهم : اي واسى الجند ، والمراد ساعدهم .

٤ الجدة : ما يوجد بيده من المال ، والمراد به ارزاق الجند .

وراءهم من خُلوفِ أهليهم[1] ، حتى يكونَ همُّهم همّاً واحداً في جهادِ العدوّ ؛ فانّ عطفَكَ عليهم يعطِفُ قلوبَهم عليك ؛ وإنّ أفضلَ قرّةِ عينِ الولاةِ استقامةُ العدلِ في البلادِ ، وظهورُ مودّةِ الرعيةِ ؛ وإنه لا تَظهرُ مودّتُهم إلا بسلامةِ صُدورِهم ، ولا تَصِحُّ نصيحتُهم إلا بحيطتِهم على ولاةِ الأمور ، وقلّةِ استثقالِ دولِهم ، وتركِ استبطاء انقطاع مُدّتهم . فافسَحْ في آمالِهم ، وواصلْ في حُسنِ الثناء عليهم وتعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم ؛ فانّ كثرةَ الذِّكرِ لحُسنِ أفعالهم تهزُّ الشجاعَ ، وتُحرِّضُ الناكلَ ، إن شاء الله .

ثم اعرفْ لكلّ امرىءٍ منهم ما أبلى ، ولا تُضيفنّ بلاء امرىءٍ إلى غيرِه ، ولا تُقصِّرنّ به دون غايةِ بلائه ، ولا يدعونّك شرفُ امرىءٍ إلى أن تُعظِمَ من بلائه ما كان صغيراً ، ولا ضعةُ امرىء الى أن تَستصغرَ من بلائه ما كان عظيماً .

واردُدْ إلى الله ورسوله ما يُضلعُكَ[2] منَ الخُطوبِ ، ويشتبهُ عليك منَ الأمورِ ؛ فقد قال الله تعالى لقومٍ أحبّ إرشادَهم : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول

---

[1] خلوف اهليهم : اي المتخلفون من اهلهم في بيوتهم كالنساء والاولاد والعاجزين .

[2] اضلعك : اثقلك .

وأولي الأمرِ منكم ، فإن تنازعتم في شيء فردُّوه إلى الله والرسول .» فالردُّ إلى الله الأخذُ بمُحكَمِ كتابهِ ، والردُّ الى الرسولِ الأخذُ بسُنَّتِهِ الجامعةِ غيرِ المفرِّقةِ .

اختيار القاضي

ثم اخترْ للحكمِ بين الناس أفضلَ رعيتِك في نفسِك ممن لا تضيقُ به الأمورُ ، ولا تُمحِكُه[1] الخصومُ ، ولا يتمادى في الزَّلةِ ، ولا يحصَرُ منَ الفيء[2] إلى الحقّ إذا عرفَه ، ولا تُشرِفُ نفسُه على طمعٍ ، ولا يكتفي بأدنى فهمٍ دون أقصاه ؛ وأوقَفَهم[3] في الشُّبُهاتِ ، وآخذَهم بالحججِ ، وأقلَّهم تبرُّماً بمُراجعةِ الخصمِ ، وأصبرَهم على تكشُّفِ الأمورِ ، وأصرمَهم عند اتِّضاحِ الحكمِ ؛ ممن لا يزدهيه إطراء ، ولا يستميلُه إغراء ، وأولئك قليلٌ . ثم أكثِرْ تعاهُدَ قضائه[4] ، وافسَحْ له في البذلِ ما يُزيلُ علَّتَه ، وتقِلُّ معه حاجتُه الى الناس ؛ وأعطِه منَ المنزلةِ لديك ما لا يطمعُ فيه غيرُه من خاصتك

---

١ تمحكه : تجعله لجوجاً في الخصومة .

٢ يحصر : يضيق صدره . الفيء : الرجوع .

٣ واوقفهم : معطوف على افضل رعيتك .

٤ تعاهد قضائه : تتبعه والوقوف عليه .

ليأمنَ بذلك اغتيالَ الرجالِ له عندك . فانظر في ذلك نظراً بليغاً ، فانَّ هذا الدِّينَ قد كان أسيراً في أيدي الأشرارِ[1] ، يُعمَلُ فيه بالهوى ، وتُطلبُ به الدُّنيا .

اختيار العمال

ثم انظُرْ في أمورِ عُمالِك فاستعمِلهم اختباراً ، ولا تولِّهم مُحاباةً وأثَرةً[2] ؛ فإنهم جِماعٌ من شُعَبِ الجورِ والخيانةِ[3] . وتوخَّ منهم أهلَ التجربةِ والحياء من أهلِ البيوتات الصالحة ، والقَدمِ في الاسلامِ[4] المتقدّمة ، فانهم أكرم أخلاقاً ، واصحُّ أعراضاً ، وأقلُّ في المطامعِ إشرافاً ، وأبلغُ في عواقب الأمورِ نظراً . ثم أسبِغْ عليهم الأرزاقَ ، فانَّ ذلك قوَّةٌ لهم على استصلاحِ أنفسِهم ، وغِنًى لهم عن تناولِ ما تحت أيديهم ، وحُجةٌ عليهم إن خالفوا أمرَكَ أو ثلَموا أمانتَكَ . ثم تفقَّدْ أعمالَهم وابعثِ العُيونَ من أهلِ الصدقِ والوفاء عليهم ، فانَّ تعاهُدَكَ في السرِّ لأمورهم حدوةٌ لهمْ[5] على

١ الاشرار : اراد بهم قضاة عثمان وحكامه .

٢ الاثرة : ان يختار الانسان لنفسه اشياء حسنة .

٣ فانهم جماع الخ : اي فان الذين توليهم محاباة واثرة يجمعون ضوائف الجور والخيانة .

٤ القدم في الاسلام : اي السابقة في الاسلام .

٥ حدوة لهم : اي سوق وحث لهم .

استعمالِ الأمانةِ والرِّفقِ بالرعية. وتحفَّظْ منَ الأعوان، فانْ أحدٌ منهم بسط يدهُ الى خيانةٍ اجتمعتْ بها عليه عندك أخبار عُيونِك ، اكتفيت بذلك شاهداً ، فبسطتَ عليه العقوبةَ في بدنِه ، وأخذتَه بما أصاب من عملِه ، ثم نصبتَه بمقامِ المذلةِ ، ووسمْتَه بالخيانة ، وقلدته عارَ التهمةِ .

الخراج

وتفقّدْ أمرَ الخراج بما يُصلِحُ أهلَه ، فانّ في إصلاحِه وصلاحِهم صلاحاً لمن سواهم ، ولا صلاحَ لمن سواهم إلا بهم ؛ لأنّ الناسَ كلَّهم عيالٌ على الخراج وأهلِه . وليكن نظرُك في عِمارةِ الأرضِ أبلغَ من نظرك في استجلابِ الخراج ، لأنّ ذلك لا يُدرَكُ إلا بالعمارة ؛ ومن طلبَ الخَراج بغير عِمارةٍ أخربَ البلادَ وأهلك العبادَ ، ولم يستقِمْ أمرُه إلا قليلًا . فانْ شكوا ثِقلًا ، أو علّةً [1] ، أو انقطاعَ شِربٍ أو بالّةٍ [2] ، أو إحالةَ أرضٍ [3] اغتمرَها غرقٌ ، أو أجحفَ بها

---

١ ثقلًا : اي ثقل الخراج . علة : اي علة تضر بالزرع كالجراد والبرد .

٢ الشرب بالكسر : الماء . والمراد ماء الانهر والسواقي التي تروي الزروع . البالة : اي المطر .

٣ احالة الارض : اي فساد زرعها .

عطشٌ ، خففتَ عنهم بما ترجو أن يصلحَ بـه أمرُهم . ولا يثقُلنَّ عليك شيء خففتَ به المؤونةَ عنهم ، فانه ذُخرٌ يعودون به عليك في عِمارةِ بلادِك ، وتزيينِ ولايتِك ، مع استجلابك حُسنَ ثنائهم ، وتبجُّحِك باستفاضة العدلِ فيهم ، معتمداً فضلَ قوَّتهم بما ذَخرتَ عندهم من إجمامِك لهم[1] ، والثقةَ منهم بما عوَّدتهم من عدلِك عليهم ورِفقِك بهم . فربما حدث منَ الأمور ما إذا عوَّلتَ فيه عليهم من بعدُ ، احتملوه طَيّبةً أنفسُهم به ، فانَّ العمرانَ محتمِلٌ ما حمَّلته ، وانما يؤتى خرابَ الأرضِ من إعواز أهلِها ، وإنما يُعوِزُ أهلَها لاشراف أنفسِ الولاةِ على الجمعِ[2] ، وسوء ظنّهم بالبقاء ، وقلّةِ انتفاعِهم بالعِبَر .

الكتاب

ثم انظرْ في حالِ كُتّابك فولِّ على أمورِك خيرَهم ، واخصُصْ رسائلَك التي تُدخِلُ فيها مكايدَك وأسرارَك بأجمعِهم لوجُوهِ صالحِ الأخلاقِ ، ممن لا تُبطِرهُ الكرامةُ ،

---

١ اجمامك لهم : اراحتك لهم .

٢ . الجمع : اي جمع المال .

فيجترىء بها عليك في خِلافٍ لك بحضرةِ ملأ[1] ، ولا تُقَصِّرُ به الغفلةُ عن إيرادِ مكاتبات عُمالك عليك ، وإصدارِ جواباتها على الصواب عنك ، فيما يأخُذُ لك ويُعطي منك ، ولا يُضعِفُ عقداً اعتقده لك ، ولا يَعجزُ عن إطلاقِ ما عُقِدَ عليك ، ولا يجهلُ مبلغَ قدرِ نفسِه في الأمور ؛ فانَّ الجاهلَ بقدرِ نفسِه يكونُ بقدرِ غيرِه أجهلَ . ثم لا يكنِ اختيارُك إياهم على فِراستِك واستنامتِك[2] وحُسنِ الظنِّ منك ؛ فانَّ الرجال يتعرَّفون[3] لفِراساتِ الولاةِ بتصنُّعِهم وحُسنِ خدمتِهم ، وليس وراء ذلك منَ النصيحةِ والامانةِ شيء ؛ ولكنِ اختبِرهم بما وُلّوا للصالحين قبلَك ، فاعمِد لأحسنِهم ، كان ، في العامة أثراً ، وأعرَفِهم بالأمانة وجهاً ، فانَّ ذلك دليلٌ على نصيحتِك لله ولمن وُلّيتَ أمرَه . واجعلْ لرأسِ كلِّ أمرٍ من أمورِك رأساً منهم ، لا يَقهَرُه كبيرُها ، ولا يتشتَّتُ عليه كثيرُها ، ومهما كان في كُتّابِك من عيبٍ فتغابيتَ عنه ، ألزِمتَه .

التجار وذوو الصناعات

ثم استوصِ بالتُّجارِ وذوي الصناعاتِ ، وأوصِ بهم

---

١ ملأ : جماعة من الناس .

٢ الاستنامة : الاطمئنان الى الشيء والوثوق به .

٣ يتعرفون : يقال: تعرف الى فلان ، اي عرفه بنفسه وجعله يعرفه .

خيراً : المقيمِ منهم، والمضطربِ[1] بمالِه ، والمترفّقِ[2] ببدنِه ، فإنهم موادُ المنافعِ ، وأسبابُ المرافقِ ، وجلاّبُها منَ المباعِدِ والمطارحِ ، في برّكَ وبحرِك وسهلِك وجبلِك ، وحيث لا يلتئمُ الناسُ لمواضعِها ولا يجترئون عليها، فانهم سِلمٌ لا تُخاف بائقتُه[3] وصُلحٌ لا تُخشى غائلتُه . وتفقّدْ أمورَهم بحضرتك ، وفي حواشي بلادِك ، واعلم ، مع ذلك ، أنّ في كثيرٍ منهم ضِيقاً[4] فاحشاً ، وشُحّاً قبيحاً ، واحتكاراً للمنافعِ ، وتحكماً في البِياعاتِ[5] ، وذلك بابُ مضرّةٍ للعامة ، وعيبٌ على الولاة، فامنعْ منَ الاحتكار ، فانّ رسولَ الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، منعَ منه . وليكنِ البيعُ بيعاً سمحاً ، بموازينِ عدلٍ وأسعارٍ لا تُجحِفُ بالفريقين منَ البائعِ والمبتاعِ ؛ فمن قارفَ حُكرةً بعدَ نهيك إياه فنكّلْ به[6] ، وعاقبْه في غير إسراف !

---

١ المضطرب : اي المتردد في البلاد .

٢ المترفق : المكتسب .

٣ البائقة : الداهية .

٤ الضيق : البخل .

٥ البياعات : جمع البياعة وهي السلعة .

٦ نكل به : عاقبه واجعله عبرة لغيره .

الطبقة السفلى

ثم اللهَ اللهَ[1] في الطبقةِ السفلى منَ الذين لا حيلةَ لهم من المساكينِ والمحتاجينَ وأهلِ البؤسى والزَّمنى[2] ، فانَّ في هذه الطبقةِ قانعاً ومُعْتَرّاً[3] ، واحفظْ لله ما استحفظك من حقه فيهم ، واجعلْ لهم قِسماً من بيتِ مالِك ، وقِسماً من غلات صوافي[4] الاسلامِ في كلِّ بلدٍ ؛ فانَّ للاقصى منهم مثلَ الذي للادنى ، وكلٌّ قدِ استُرعيتَ حقهُ ؛ فلا يَشغَلنَّك عنهم بطرٌ ، فانك لا تُعذرُ بتضييعِكَ التافهَ ، لإحكامِكَ الكثيرَ المهمَّ . فلا تُشخصْ همَّكَ عنهم[5] ، ولا تُصعِّرْ خدَّك لهم[6] ، وتفقَّدْ أمورَ مَن لا يصِلُ اليكَ منهم ممن تقتحِمُه العيونُ[7] وتحقِرُه الرِّجالُ . ففرِّغ لأولئك ثقتَك[8] ، من أهلِ الخشيةِ والتواضعِ ،

---

١ الله الله : اي خف الله واحذره .

٢ الزمنى : جمع زمين ، وهو المصاب بالزمانة ، أي العاهة .

٣ المعتر : الذي يتعرض للعطاء ولا يسأل .

٤ الصوافي : جمع صافية ، وهي ارض الغنيمة التي كانت للرسول وآله ، ثم صارت بعد موته لفقراء المسلمين .

٥ لا تشخص همك عنهم : اي لا تصرفه عنهم .

٦ لا تصعر خدك لهم : اي لا تمله تكبراً ، من أمال .

٧ تقتحمه العيون : تزدريه .

٨ فرغ لاولئك ثقتك : اي اجعل من تثق به يتفرغ للنظر في احوالهم .

فليرفعْ اليك أمورَهم ، ثم اعملْ فيهم بالإعذارِ[1] إلى الله يوم تلقاه ؛ فانَّ هؤلاء من بينِ الرعيةِ أحوجُ إلى الانصاف من غيرِهم ، وكلّ فأعذِرْ الى الله في تأديةِ حقهِ اليه . وتعهّدْ أهل اليُتمِ وذوي الرِّقةِ في السنّ[2] ممن لا حيلةَ له ، ولا ينصِبُ للمسألةِ نفسَه ، وذلك على الولاة ثقيلٌ ، والحقُّ كلُّه ثقيلٌ ، وقد يخفّفُه الله على اقوامٍ طلبوا العاقبةَ فصبَّروا أنفسَهم ، ووثِقوا بصدقِ موعودِ الله لهم .

واجعلْ لذوي الحاجات[3] منك قِسماً تُفرّغُ لهم فيه شخصَك وتجلسُ لهم مجلساً عامّاً ، فتتواضعُ فيه لله الذي خلقَك ، وتُقعِد عنهم جندَك وأعوانَك من أحراسِك وشُرَطِك ، حتى يُكلّمك مُتكلّمُهم غيرَ مُتتعتِعٍ[4] ، فاني سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، يقول في غيرِ موطنٍ[5] : « لن تُقدَّسَ أمةٌ لا يؤخذُ للضعيفِ فيها حقهُ من القويِّ غيرَ متتعتِعٍ . » ثم احتمِلِ الخُرقَ[6] منهم والعِيَّ ، ونحِّ عنهم

---

١ الاعذار : ابداء العذر .

٢ ذوو الرقة في السن : اي المتقدمون في السن .

٣ لذوي الحاجات : اي المتظلمين .

٤ متتعتع : مضطرب متردد في كلامه ، لخوفه على حقه .

٥ في غير موطن : اي في مواطن كثيرة .

٦ الخرق : الجهل وضعف الرأي .

الضيقَ والأنَفَ[1] ، يبسُطِ الله عليك بذلك أكنافَ رحمته ويوجبْ لك ثوابَ طاعتِه ؛ وأعطِ ما أعطيتَ هنيئاً ، وامنعْ في إجمالٍ[2] وإعذارٍ !

ثم أمورٌ من أمورِك لا بدَّ لك من مُباشرتها : منها إجابةُ عُمالِك بما يعيا عنه كُتّابُك ، ومنها إصدارُ حاجات الناسِ يومَ ورودِها عليك ، بما تحرَجُ[3] به صدورُ أعوانِك ؛ وأمضِ لكلِّ يومٍ عملَه ، فانَّ لكلِّ يومٍ ما فيه .

اداء الفرائض

واجعلْ لنفسِك فيما بينك وبين الله أفضلَ تلك المواقيتِ ، وأجزلَ تلك الأقسامِ ، وإن كانت كلها لله إذا صلُحَتْ فيها النيّةُ ، وسلِمَتْ منها الرعيةُ . وليكن، في خاصةِ ما تُخلص به لله دِينَك ، إقامةُ فرائضِه التي هي له خاصةً ؛ فأعطِ الله من بدنِك في ليلِك ونهارِك ، ووفِّ ما تقرّبتَ به إلى الله من ذلك كاملاً غيرَ مثلومٍ ولا منقوصٍ ، بالغاً من بدنِك ما بلغ .

---

١ الانف : الانفة ، اي الاستنكاف والاستعلاء .

٢ الاجمال : الاعتدال والتلطف .

٣ تحرج : تضيق .

وإذا قمتَ في صلاتِك للناس فلا تكوننّ مُنفّراً ولا مُضيعاً[1]، فانّ في الناس مَن به العلّةُ وله الحاجةُ . وقد سألتُ رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، حين وجّهني الى اليمن : كيف أصلّي بهم ؟ فقال : « صلّ بهم كصلاةِ أضعفِهم ، وكن بالمؤمنين رحيماً . »

حجاب الوالي

وأما بعدُ ، فلا تُطوّلنّ احتجابَك عن رعيتِك ، فانّ احتجابَ الولاةِ عنِ الرعيةِ شُعبةٌ منَ الضيقِ[2] ، وقلّةُ عِلمٍ بالأمورِ . والاحتجابُ منهم يقطعُ عنهم عِلمَ ما احتجبوا دونَه ، فيصغرُ عندهمُ الكبيرُ ، ويعظُمُ الصغيرُ ، ويقبُح الحَسَنُ ، ويحسُنُ القبيحُ ، ويُشابُ الحقُّ بالباطلِ . وإنما الوالي بشرٌ لا يَعرفُ ما توارى عنه الناسُ به منَ الأمور ، وليست على الحقّ سِماتٌ تُعرفُ بها ضُروبُ الصدقِ منَ الكذبِ ، وإنما أنت أحدُ رجلينِ : إما امرؤ سخَت نفسُك بالبذلِ في الحقّ ، ففيمَ احتجابُك من واجبِ حقّ تُعطيه ، أو فِعلٍ كريمٍ تُسديه ؟ أو مُبتلّى بالمنع ، فما أسرعَ كفّ

١ منفراً : اي ينفر الناس عن الصلاة بتطويله . مضيعاً : اي يضيع الصلاة بنقص أركانها .

٢ الضيق : البخل .

الناس عن مسألتك إذا أيسوا[1] من بذلك مع أنَّ أكثر حاجات الناس اليك مما لا مؤونة فيه عليك من شكاة مظلمة أو طلب إنصاف في معاملة .

في الخاصة والبطانة

ثم إنَّ للوالي خاصةً وبطانةً فيهم استئثار، وتطاول، وقلة إنصاف في معاملة ، فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال ، ولا تُقطعنَّ لأحدٍ من حاشيتك وحامَّتك قطيعة[2] . ولا يطمعنَّ منك في اعتقاد عُقدة[3] تضرُّ بمن يليها[4] من الناس في شِرب أو عمل مشترك ، يحملون مؤونته على غيرهم ، فيكون مهنأ ذلك لهم دونك ، وعيبه عليك في الدنيا والآخرة .

والزم الحقَّ من لزمه من القريب والبعيد ، وكن في ذلك صابراً محتسباً[5] ، واقعاً ذلك من قرابتك وخاصتك

---

١ ايسوا : قنطوا .

٢ الحامة : الخاصة والقرابة . القطيعة : ما يقطع ويمنح من الأرض .

٣ اعتقاد : اقتناء . العقدة : الضيعة والعقار .

٤ يليها : اي يقرب منها .

٥ محتسباً : أي طالبا الأجر عند الله .

حيث وقع ؛ وابتغِ عاقبتَه بما يثقُلُ عليك منه ، فانّ مغبّة ذلك محمودةٌ .

وإنْ ظنتِ الرعيةُ بك حيفاً فأصحِرْ[1] لهم بعُذرِك ، واعدِلْ عنك ظُنونهم بإصحارِك ؛ فانّ في ذلك رياضةً منك لنفسك، ورفقاً برعيتِك، وإعذاراً تبلُغ به حاجتَك من تقويمهم على الحقّ .

الوفاء بالعهد

ولا تدفعنّ صُلحاً دعاك اليه عدوُّك ، لله فيه رضى ، فانّ في الصلحِ دَعَةً[2] لجُنودِك ، وراحةً من هُمومِك ، وأمناً لبلادِك ، ولكنِ الحذرَ كلّ الحذرِ من عدوّك بعدَ صُلحه ؛ فانّ العدوّ ربما قارب ليتغفّلَ ، فخُذ بالحزمِ ، واتّهم في ذلك حُسنَ الظنّ . وإن عقدت بينك وبين عدوّك عُقدةً أو ألبستَه منك ذِمةً ، فحُط عهدَك بالوفاء ، وارعَ ذِمتَك بالأمانةِ ، واجعلْ نفسَك جُنّةً[3] دون ما أعطيتَ ؛ فانه ليس من فرائضِ الله شيءٌ الناسُ أشدُّ عليه اجتماعاً ، مع تفرّق

١ فاصحر : فاظهر ، من الاصحار ، وهو الظهور في الصحراء .
٢ الدعة : الراحة .
٣ الجنة بالضم : الوقاية .

أهوائهم وتشتُّتِ آرائهم ، من تعظيمِ الوفاء بالعهودِ . وقد لزمَ ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين ، لِمَا استوبلوا[1] من عواقبِ الغدرِ ، فلا تغدِرنّ بذمتِك ولا تخيسنّ بعهدِك[2] ولا تختِلنّ[3] عدوّك ؛ فانه لا يجترىء على الله إلا جاهلٌ شقيٌّ. وقد جعلَ الله عهدَه وذمتَه أمناً أفضاه[4] بين العبادِ برحمتِه ، وحريماً[5] يسكنون إلى منَعَتِه ، ويستفيضون[6] إلى جوارِه ، فلا إدغالَ[7] ولا مُدالسةَ ولا خداعَ فيه . ولا تعقِدْ عَقداً تُجَوِّزُ فيه العِلَلَ[8] ، ولا تعوّلنّ على لحنِ القول[9] بعد التأكيد والتوثقةِ ، ولا يدعونّك ضِيقُ أمرٍ لزمك فيه عهدُ الله الى طلبِ انفساخه بغيرِ الحقّ ؛ فانّ صبرَك على ضِيق أمرٍ ترجو

١ استوبلوا الشيء : وجدوه وبيلاً، اي شديداً ثقيلاً وخيم العواقب .

٢ خاس بعهده : غدر ونكث .

٣ ختل : خدع .

٤ افضاه : جعله موسعاً .

٥ الحريم : ما حرم عليك أن تمسه .

٦ يستفيضون : ينتشرون .

٧ ادغال : افساد .

٨ العلل : اي التأويلات والتخريجات .

٩ لحن القول : فحواه ومعناه ومعاريضه. قال الازهري: لحن القول كالعنوان، وهو كالعلامة تشير بها فيفطن المخاطب لغرضك، وهو يقبل التوجيه كالتورية والتعريض ، فلا يركن اليه في العهود ، وخير منه صريح القول .

انفِراجَه وفضلَ عاقبتِه ، خيرٌ من غدرٍ تخافُ تبِعتَه ، وأن تحيط بك من الله فيه طِلبةٌ ، لا تستقيل[1] فيها دُنياك ولا آخرتَك .

سفك الدماء

إياكَ والدماءَ وسفكَها بغيرِ حِلّها ؛ فانه ليس شيء أدنى لِنقمةٍ ، ولا أعظمَ لتبِعةٍ ، ولا أحرى بزوالِ نعمةٍ وانقطاعِ مُدّةٍ ، من سفكِ الدّماء بغير حقّها . والله سبحانه مُبتدىء بالحُكم بين العبادِ ، فيما تسافكوا منَ الدماء ، يومَ القيامةِ . فلا تُقوّينَّ سُلطانَك بسفكِ دمٍ حرامٍ ، فانَّ ذلك مما يُضعِفُه ويوهِنُه بل يزيله ويَنقُلُه ، ولا عُذرَ لك عند الله ولا عندي في قتلِ العَمْدِ ؛ لأنَّ فيه قَوَدَ[2] البدنِ . وإنِ ابتليت بخطإ ، وأفرطَ عليك[3] سوطُك ، أو سيفُك ، أو يدُك بالعقوبةِ ، فانَّ في الوكزةِ[4] فما فوقَها مَقتلَةً ، فلا تَطمحنَّ[5] بك نخوةُ سُلطانِك عن أن تؤدّيَ إلى أولياء المقتولِ حقهم .

١ تستقيلها : تطلب اقالتك منها ، اي اعفاءك ، ورفعك منها .
٢ القود : القصاص ، والمراد ان قتل العمد يوجب عليه القود أي القتل بجريرة المقتول .
٣ افرط عليك : عجل بك .
٤ الوكزة : الضربة بجمع الكف .
٥ تطمح : تجمح .

وإياكَ والاعجابَ بنفسِكَ ، والثقةَ بما يُعجِبُكَ منها ، وحُبَّ الاطراءِ ، فانَّ ذلكَ من أوثقِ فُرصِ الشيطانِ في نفسِهِ ليَمحقَ ما يكونُ من إحسانِ المحسنين .

وإياكَ والمنَّ على رعيتِكَ باحسانِكَ ، أو التزيُّدَ فيما كان من فعلِكَ ، أو أن تَعِدَهم فتُتبِعَ موعدكَ بخُلفِكَ ، فانَّ المنَّ يُبطِلُ الاحسانَ ، والتزيُّدَ يَذهبُ بنورِ الحقِّ ، والخُلفَ يوجبُ المقتَ عند الله والناس . قال الله تعالى : « كَبُرَ مقتاً عند الله أنْ تقولوا ما لا تفعلونَ . »

وإياكَ والعجلَةَ بالأمورِ قبل أوانِها ، أوِ التساقُطَ[1] فيها عند إمكانِها ، أوِ اللجاجةَ فيها إذا تنكرت[2] ، أوِ الوهنَ عنها إذا استوضحت . فضعْ كلَّ أمرٍ موضعه ، وأوقِعْ كلَّ أمرٍ موقعه .

وإياكَ والاستئثارَ بما الناسُ فيه أُسوةٌ ، والتغابي عما تُعنى به مما قد وضَحَ للعيونِ ؛ فانه مأخوذٌ منكَ لغيركَ ، وعما قليلٍ تنكشفُ عنكَ أغطيةُ الأمورِ ، ويُنتصَفُ منكَ

---

[1] التساقط : الاسترخاء والتمهل .

[2] تنكرت : بدت غريبة مجهولة .

للمظلوم . إملِكْ حميةَ أنفِكَ[1] ، وسَورةَ حدِّكَ[2] ، وسطوةَ يدِكَ ، وغربَ لسانِكَ[3] ؛ واحترسْ من كلِّ ذلك بكفِّ البادرةِ ، وتأخيرِ السطوةِ ، حتى يسكُنَ غضبُكَ فتملكَ الاختيارَ ؛ ولن تحكُمَ ذلك من نفسِكَ حتى تُكثِرَ همومَكَ بذكرِ المعادِ الى ربِّكَ .

والواجبُ عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدَّمك من حكومةٍ عادلةٍ ، أو سُنَّةٍ فاضلةٍ ، أو أثرٍ عن نبيِّنا ، صلى الله عليه وآله وسلم ، أو فريضةٍ في كتابِ الله ، فتقتديَ بما شاهدتَ مما عملنا به فيها ، وتجتهدَ لنفسِكَ في اتباعِ ما عهدتُ اليك في عهدي هذا ، واستوثقتُ به منَ الحُجةِ لنفسي عليك ، لكيلا تكونَ لك علةٌ عند تسرُّعِ نفسِكَ الى هواها .

ختام

وأنا أسألُ الله بسَعةِ رحمتِه ، وعظيمِ قُدرتِه على إعطاء كلِّ رَغبةٍ ، أن يوفِّقني وإياكَ لِما فيه رضاه منَ الاقامةِ على العذرِ الواضحِ اليه وإلى خلقِه ، مع حُسنِ الثناء في

---

١ حمية الأنف : الأنفة والكبر .

٢ السورة : الحدة . الحد : البأس .

٣ غرب اللسان : حده ، تشبيهاً له بحد السيف .

العبادِ ، وجميلِ الاثر في البلاد ، وتمامِ النعمةِ ، وتضعيف الكرامة ، وأن يختِم لي ولك بالسعادة والشهادة ، إنا اليه راجعون . والسلام على رسول الله، صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين ، وسلم تسليماً كثيراً ؛ والسلام !

زمن المحل

يأتي على الناس زمانٌ لا يُقرَّبُ فيه إلا الماحلُ[1] ، ولا يُظرَّفُ فيه إلا الفاجرُ ، ولا يُضعَّفُ فيه إلا المنصِفُ . يعدُّون الصدقةَ فيه غُرماً ، وصِلةَ الرحمِ مَنّاً ، والعبادةَ استطالةً على الناس ! فعند ذلك يكونُ السلطانُ بمشورةِ النساء ، وإمارةِ الصِّبيانِ ، وتدبيرِ الخِصيان .

---

١ الماحل : الذي يسعى بالوشاية عند السلطان ، والكيد للناس .

الصداقة والعداوة

الاصدقاء والاعداء

أصدقاؤك ثلاثةٌ ، واعداؤك ثلاثةٌ : فأصدقاؤك صديقك، وصديقُ صديقكَ ، وعدوُّ عدوِّك . وأعداؤك عدوُّك ، وعدوُّ صديقِك ، وصديقُ عدوِّك .

انكار العدوان

ايها المؤمنون ، إنه مَن رأى عُدواناً يُعمَلُ به ، ومنكَراً يدعى اليه ، فأنكَره بقلبِه ، فقد سلِمَ وبرىء ؛ ومَن أنكره بلسانِه ، فقد أُجِرَ ، وهو أفضلُ من صاحبِه ؛ ومَن أنكره بالسيفِ لِتكونَ كلمةُ الله هي العليا ، وكلمةُ الظالمين هي السفلى ، فذلك الذي أصاب سبيلَ الهدى ، وقام على الطريق ، ونوَّر في قلبِه اليقين .

الشر بالشر

رُدُّوا الحجرَ من حيث جاء ؛ فانّ الشرّ لا يدفعهُ إلا الشرُّ .

الصداقة بين راغب وزاهد

زهدُكَ في راغبٍ فيكَ نقصانُ حظٍّ ، ورغبتُكَ في زاهدٍ فيكَ ذُلُّ نفسٍ .

حسن المعاشرة

خالطوا الناسَ مخالطةً إنْ مِتُّمْ معها بكَوا عليكم ، وإن عِشتم حنّوا إليكم .

اكتساب الاخوان

أعجزُ الناسِ مَن عجزَ عنِ اكتسابِ الاخوانِ ، وأعجز منه مَن ضيَّع مَن ظفِر به منهم .

الغالب بالشر

ما ظفِرَ مَن ظفِرَ الاثمُ به ، والغالبُ بالشرّ مغلوبٌ .

حب علي وبغضه

لو ضربتُ خيشومَ المؤمنِ بسيفي هذا ، على أنْ يُبغِضني، ما أبغَضني ؛ ولو صببتُ الدنيا بجمّاتها على المنافقِ ، على أن يُحِبني ، ما أحبني . وذلك أنه قُضِيَ فانقضى على لسانِ النبيّ الأميّ ، صلى الله عليه وآله وسلم ، أنه قال : يا علِيُّ ، لا يُبغِضُك مؤمنٌ ، ولا يحبُّك منافقٌ .

تألف القلوب

قلوبُ الرّجالِ وحشيّةٌ ، فمن تألفها أقبلت عليه .

فضيلة التحذير

من حذّرك كمن بشّرك .

حسن المخالقة

إذا حُيّيتَ بتحيةٍ فحيِّ بأحسنَ منها ؛ وإذا أسديَت اليك يدٌ فكافئها بما يُربي عليها ، والفضلُ مع ذلك للبادىء.

دفع الشر بالخير

عاتبْ أخاكَ بالاحسانِ اليه ، وارددْ شرّه بالانعامِ عليه .

الصداقات المضرة

ومن قوله لابنه الحسن :

يا بنيّ ، إيّاك ومصادقةَ الأحمقِ ، فانه يريد أن ينفعَك ، فيضرُّك ؛ وإياك ومصادقةَ البخيلِ ، فانه يَبعُدُ عنك أحوجَ[1] ما تكونُ اليه ؛ وإياك ومصادقةَ الفاجرِ ، فانه يبيعُك بالتافه ؛ وإياك ومصادقة الكذابِ ، فانه كالسرابِ ، يُقرّبُ عليك البعيدَ ، ويُبعدُ عليك القريبَ .

---

١ احوج : حال من الكاف في عنك .

الاستكثار من الاصدقاء

مَن لانَ عودُه كثُفتْ أغصانُه .

سقم المودة

حسدُ الصديقِ من سُقمِ المودّة .

معنى الصديق

لا يكونُ الصديقُ صديقاً حتى يحفظَ أخاه في ثلاثٍ : في نكبتِه ، وغيبتِه ، ووفاتِه .

العلم والجهل

العلم والعلماء

قال كميل بن زياد : اخذ بيدي امير المؤمنين علي بن ابي طالب ، عليه السلام ، فاخرجني الى الجبان ، فلما اصحر [1] تنفس الصعداء ، ثم قال :

يا كُمَيلُ بنَ زيادٍ ، إنّ هذهِ القلوب أوعيةٌ ، فخيرها أوعاها ؛ فاحفظْ عني ما أقولُ لك :

الناسُ ثلاثةٌ : فعالمٌ ربانيّ ، ومتعلّمٌ على سبيلِ نجاةٍ ، وهمَجٌ رَعاعٌ [2] أتباعُ كلّ ناعقٍ ، يميلون مع كلّ ريحٍ ، لم يستضيئوا بنورِ العلمِ ولم يلجأوا إلى ركنٍ وثيقٍ .

يا كُمَيلُ ، العلمُ خيرٌ من المالِ ؛ العِلمُ يحرُسكَ وأنت تحرُسُ المالَ ، والمالُ تنقصُه النفقةُ ، والعلمُ يزكو على الانفاقِ ، وصنيعُ المالِ [3] يزولُ بزوالهِ .

---

١ الجبان بفتح الجيم وتشديد الباء : الصحراء . اصحر : صار في الصحراء .

٢ الهمج : الحمقى من الناس . الرعاع : اوغاد الناس واخلاطهم .

٣ صنيع المال : اي ما يصنعه المال من الصداقة ، وانواع الملاذ ، والجاه .

يا كُمَيلُ بنَ زيادٍ ، معرفـةُ العِلمِ دينٌ يُدانُ بـه ، به يَكسِبُ الانسانُ الطاعةَ في حياتهِ وجميلَ الأحدوثةِ بعد وفاتهِ ؛ والعلمُ حاكمٌ ، والمالُ محكومٌ عليه .

يا كُمَيلُ ، هَلكَ خُزانُ الأموالِ وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقيَ الدهرُ . أعيانهم مفقودةٌ ، وأمثالهُم[1] في القلوب موجودةٌ . ها إنّ هَهُنا لَعِلماً جمّاً[2] ، لو أصبتُ له حمَلَةً ! بلى ، أصبتُ لَقِناً غيرَ مأمونٍ عليـه ، مُستعملاً آلةَ الدينِ للدنيا ، ومُستظهراً بنِعَمِ الله على عباده ، وبحُجَجهِ على أوليائه ؛ أو مُنقاداً[3] لحمَلَةِ الحقّ ، لا بصيرةَ له في أحنائه[4] ، ينقـدحُ الشكُّ في قلبهِ لأولِ عارضٍ من شُبهـةٍ ، ألا ، لا ذا ، ولا ذاك ! أو منهوماً باللذّةِ سلِسَ القيادِ للشهوةِ ؛ أو مغرمـاً بالجمعِ والادخارِ ، ليسا من رُعـاة الدينِ في شيء ، أقربُ شيء شَبهاً بهما الانعامُ السائمة[5] ! كذلك يموتُ العِلم بموت حامليه !

---

١ أمثالهم : أي ذواتهم .

٢ قال ذلك ، واشار بيده الى صدره .

٣ منقاداً : اي مقلداً .

٤ أحنائه : الضمير يعود الى الحق ، واحناء الامور : متشابهها تلتبس على غير البصير .

٥ الانعام السائمة : الابل الراعية .

اللهم بلى ! لا تخلو الأرض من قائمٍ لله بحجّةٍ : إما ظاهراً مشهوراً ، أو خائفاً مغموراً ، لئلا تَبطُلَ حججُ الله وبيناتُه . وكم ذا، وأين؟[1] أولئك، والله، الأقلون عدداً، والأعظمون عند الله قدراً. يحفظُ الله بهم حُجَجَهُ وبيناتِه حتى يودِعوها نُظراءهم، ويزرعوها في قلوب أشباهِهم . هجمَ بهم العلمُ على حقيقة البصيرةِ ، وباشروا روحَ اليقين ، واستلانوا ما استوعرَه المترفون ، وأنِسوا بما استوحش منه الجاهلون ، وصحبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحُها معلّقةٌ بالمحلّ الأعلى . أولئك خلفاء الله في أرضه ، والدعاةُ إلى دينه . آهٍ آهٍ شوقاً إلى رؤيتهم ! انصرف يا كُمَيلُ ، إذا شئتَ .

[1] كم ذا ، وأين : أي كم ذا الفريق ، وأين مكانه ؟

العاقل والجاهل

قيل له : صف لنا العاقل ، فقال :

هو الذي يضعُ الشيء مواضِعه

فقيل : فصف لنا الجاهل ، فقال :

قد فعلتُ .

خفاء الصواب

إذا ازدحم الجوابُ خفيَ الصوابُ .

ثلاث ساعات للمؤمن

للمؤمن ثلاث ساعاتٍ : فساعةٌ يناجي فيها ربه ، وساعةٌ يرُمُّ[1] معاشَه ، وساعةٌ يُخلّي بين نفسه وبين لذّتها فيما يحلُّ ويجملُ . وليس للعاقلِ أن يكونَ شاخصاً[2] إلا في ثلاثٍ : مرَمّةٍ لمعاشٍ ، أو خُطوةٍ في معادٍ[3] ، أو لذّةٍ في غير محرَّمٍ .

---

١ يرم : يصلح .
٢ شاخصاً : ذاهباً .
٣ المعاد : الآخرة .

جهل وغبن وعجز

الركونُ إلى الدنيا، مع ما تُعاينُ منها، جهلٌ، والتقصيرُ في حُسنِ العملِ، إذا وثِقتَ بالثواب عليه، غَبنٌ، والطمأنينة إلى كلِّ أحدٍ، قبلَ الاختبار، عجزٌ.

العمل والاقدام

لا تجعلوا عِلمَكم جهلاً، ويقينَكم شكاً. إذا علمتم فاعملوا، وإذا تيقنتم فأقدموا.

العلم يهتف بالعمل

العِلم مقرونٌ بالعمل، فمن عَلِم عَمِل. والعِلمُ يهتف بالعملِ، فإن أجابه، وإلا ارتحل عنه.

لسان الانسان

تكلموا تُعرفوا، فانَّ المرء مخبوءٌ تحت لسانه.

العلم والكلام

لا تقُل ما لا تعلم ، بل لا تقُل كلَّ ما تعلمُ ؛ فانَّ الله فرض على جوارحِك[1] كلّها فرائضَ يحتجُّ بها عليك يومَ القيامة .

السائل المتعنت

وسأله سائل عن معضلة ، بقصد المعاياة ، لا بقصد الاستفادة ، فقال له :

سل تفقُّهاً ، ولا تسأل تعنُّتاً ؛ فانَّ الجاهلَ المتعلّمَ شبيهٌ بالعالمِ ، وإنَّ العالمَ المتعسّفَ شبيهٌ بالجاهلِ المتعنّت .

عداوة الجهل

الناسُ اعداء ما جهِلوا .

العلم والتعليم

ما أخذ الله على أهلِ الجهلِ أن يتعلّموا ، حتى أخذ على أهلِ العلمِ أن يُعلّموا .

١ الجوارح : الاعضاء الكاسبة كاللسان .

اشعر الشعراء

سئل عن اشعر الشعراء فقال :

إنَّ القومَ لم يجروا في حلْبَةٍ تُعرفُ الغايةُ عند قصبتِها[1]، فانْ كان ولا بدَّ ، فالملِكُ الضلّيلُ[2] .

عاقل واحمق

لسانُ العاقلِ وراء قلبهِ ، وقلب[3] الأحمقِ وراء لسانهِ .

الغنى والفقر

لا غنى كالعقلِ ، ولا فَقرَ كالجهلِ ، ولا ميراثَ كالأدب ، ولا ظهيرَ كالمشاورة .

اطالة الامل

من أطال الأملَ أساء العملَ .

---

١ الحلبة : القطعة من الخيل تجتمع للسباق . القصبة : اي قصبة السبق تنصب في الغاية ، فمن احرزها كان السابق .

٢ الملك الضليل : امرؤ القيس .

٣ القلب : اي العقل .

زيادة او نقصان

لا ترى الجاهلَ إلا مُفرِطاً أو مُفرِّطاً .

لا تكن ثرثاراً

إذا تمَّ العقلُ نقصَ الكلامُ .

خذ الحكمة

الحِكمةُ ضالةُ المؤمنِ ، فخُذ الحِكمةَ ولو من أهلِ النِفاقِ .

الرأي قبل الشجاعة

رأيُ الشيخِ أحبُّ إليَّ من جَلَدِ الغلامِ .

عالم لا يعمل

رُبَّ عالمٍ قد قتلَه جهلُه ، وعلمُه معه لا ينفعُه .

أرفع العلم

أوضعُ العِلمِ ما وُقِفَ على اللسانِ ، وأرفعهُ ما ظهرَ في الجوارحِ والأركانِ[1] .

معرفة الخطأ

مَن استقبلَ وُجوه الآراء عرَفَ مواقعَ الخطإ .

وعاء العلم

كلُّ وِعاء يضيق بما جُعلَ فيه ، إلا وِعاء العلمِ فانه يتسع .

---

١ الجوارح : الاعضاء المكتسبة كاللسان والانف . الاركان : الاعضاء الرئيسة كالقلب والدماغ .

الغنى والفقر

جمع المال

قال لابنه الحسن :

لا تخلّفنَّ وراءك شيئاً من الدُّنيا ، فانك تخلّفه لأحدِ رجُلين : إما رجُل عمِلَ فيه بطاعةِ الله ، فسَعِد بما شقيت به ، وإما رجُل عمِل فيه بمعصيةِ الله ، فشقيَ بما جمعْت له ، فكنت عوناً له على معصيتهِ ؛ وليس أحدُ هذين حقيقاً أنْ تؤثره على نفسِك .

حسرة كسب المال

إنَّ أعظم الحسراتِ يومَ القيامةِ حسرةُ رجُلٍ كسَب مالاً في غير طاعةِ الله ، فورثه رجلٌ فأنفقه في طاعـةِ الله سبحانه ، فدخل به الجنّةَ ، ودخل الأولُ به النار .

خوف الفقر

قال لابنه محمد بن الحنفية :

يا بنيَّ ، إني أخافُ عليكَ الفقرَ ، فاستعذ بالله منه ، فانَّ الفقرَ مَنقصةٌ للدين ، مَدهشةٌ للعقلِ ، داعيةٌ للمقتِ .

تمتع الغني بجوع الفقير

إنَّ الله سبحانه فرض في أموالِ الأغنياء أقواتَ الفُقَراء، فما جاع فقيرٌ إلا بما مُتّع به غنيّ، والله تعالى سائلهم عن ذلك .

شريكا المال

لكلِّ امرىء في مالهِ شريكان : الوارثُ والحوادث.

المـــال

المالُ مادةُ الشهواتِ .

زينة الفقر والغنى

العَفاف زينةُ الفقرِ ، والشكرُ زينةُ الغنى .

بناء يصف الغنى

بنى رجل من عماله بناء فخماً ، فقال :

أطلَعتِ الوَرِقُ[1] رؤوسها ، إنَّ البناء يصفُ لك الغنى .

وطن وغربة

الغنى في الغربةِ وطنٌ ، والفَقرُ في الوطنِ غُربةٌ .

خازن لغيره

يا ابن آدمَ ، ما كسبتَ فوقَ قوتك ، فأنت فيه خازنٌ لغيرك .

بقايا الاطعمة

مر بقذر على مزبلة فقال :

هذا ما بَخِلَ به الباخلون .

---

١ الورق : الفضة .

معرفة النفس وتأديبها

اجعل نفسك ميزاناً

من وصيته لابنه الحسن

يا بنيّ ، اجعلْ نفسَكَ ميزاناً فيما بينك وبين غيرِك ، فأحببْ لغيرِك ما تُحبُّ لنفسِك ، واكرهْ له ما تكرهُ لها ، ولا تظلِمْ كما لا تُحبُّ أن تُظلَمَ ، وأحسِن كما تحبُّ أن يُحسَنَ اليك ، واستقبحْ من نفسِك ما تستقبحُ من غيرِك ، وارضَ منَ الناس بما ترضاه لهم من نفسِك ، ولا تقُل ما لا تعلمُ ، وإنْ قلَّ ما تعلمُ ، ولا تقل ما لا تحبُّ أن يقالَ لك .

ادب النفس

كفاكَ أدباً لنفسِكَ اجتنابُ ما تكرهُه من غيرِك .

اشد الذنوب

أشدُّ الذنوب ما استهان به صاحبُه .

انظر في عيب نفسك

مَن نظرَ في عيبِ نفسهِ اشتغلَ عن عيبِ غيرهِ .

الاحمق بعينه

من نظرَ في عيوبِ الناس فأنكرها ، ثم رضيَها لنفسهِ ، فذلك الأحمقُ بعينهِ .

معلم نفسه

مَن نصبَ نفسه للناس إماماً ، فليبدأ بتعليمِ نفسِه قبلَ تعليمِ غيرهِ ، وليكن تأديبُه بسيرتهِ قبلَ تأديبهِ بلسانهِ . ومعلّمُ نفسهِ ومؤدّبها أحقُّ بالاجلالِ من معلّمِ الناس ومؤدّبهم .

عارف نفسه

قال لرجل افرط في الثناء عليه ، وكان له متهماً :

أنا دونَ ما تقولُ وفوقَ ما في نفسِك .

لا ادري

مَن تركَ قولَ « لا أدري » أُصيبَتْ مَقاتلُه .

اصلاح النفس

من أصلحَ ما بينه وبين الله، أصلحَ الله ما بينه وبين الناس، ومَن أصلحَ أمرَ آخرتهِ ، أصلح الله له أمرَ دنياه ، ومن كان له من نفسِه واعظٌ ، كان عليه منَ الله حافظٌ .

انا اعلم بنفسي

مدحه قوم في وجهه ، فقال :

اللهمَّ إنك أعلم بي من نفسي ، وأنا أعلمُ بنفسي منهم ؛ اللهمَّ اجعلنا خيراً مما يَظنون ، واغفرْ لنا ما لا يعلمون .

موضع التهمة

مَن وضع نفسَه مواضعَ التهمَةِ ، فلا يلومنَّ من أساء به الظنَّ .

معرفة النفس

هلك امرؤٌ لم يعرف قدرَه .

ابدأ بنفسك

احصُدِ الشرَّ من صدرِ غيرِكَ يقلعِه من صدرِكَ .

محاسن الأخلاق ومساوئها

النهي عن غيبة الناس

وإنما ينبغي لأهلِ العصمةِ، والمصنوع إليهم في السلامةِ[1]، أن يرحموا أهلَ الذنوبِ والمعصيةِ، ويكونَ الشكرُ هو الغالبَ عليهم، والحاجزَ لهم عنهم؛ فكيف بالغائب الذي غاب أخاه، وعيَّره ببلواه؟ أما ذكر موضعَ سترِ الله عليه من ذنوبهِ مما هو أعظمُ من الذنبِ الذي غابهُ به؟! وكيف يذمُّه بذنبٍ قد ركبَ مثلَه؟ فانْ لم يكن ركِب ذلك الذنبَ بعينِه، فقد عصى الله فيما سواه مما هو أعظم منه. وايمُ الله لئن لم يكن عصاه في الكبيرِ وعصاه في الصغيرِ، لجرَاءتُهُ على عيب الناس أكبر.

يا عبدَ الله، لا تعْجَلْ في عيبِ أحدٍ بذنبهِ، فلعله مغفور له، ولا تأمنْ على نفسِكَ صغيرَ معصيةٍ، فلعلَّكَ معذَّبٌ عليه. فليكفُفْ مَن علِم منكم عيبَ غيرِهِ، لِما يعلمُ من

١ السلامة: اي السلامة من الآثام.

عيبِ نفسِه ، وليكن الشكرُ شاغلًا له على مُعافاتهِ مما ابتلي به غيرهُ .

بين الحق والباطل

أيها الناسُ ، مَن عرفَ من أخيه وثيقةَ دِينٍ ، وسَدادَ طريقٍ ، فلا يسمعنّ فيه أقاويل الرّجالِ . أما إنه قد يرمي الرامي وتخطىء السهامُ ، ويَحيلُ[١] الكلامُ ، وباطلُ ذلك يبور ، والله سميعٌ وشهيدٌ . أما إنه ليس بين الباطلِ والحقّ إلا أربعُ أصابع .

قال الشريف : فسئل عليه السلام عن معنى قوله هذا ، فجمع أصابعه ووضعها بين اذنه وعينه ، ثم قال :

الباطلُ أن تقولَ سمعتُ ، والحقُّ أن تقولَ رأيتُ .

تواضع الغني

ما أحسنَ تواضعَ الأغنياء للفقراء طلباً لِما عند الله ! وأحسنُ منه تِيه الفقراء على الاغنياء اتكالاً على الله .

---

١ يحيل : يتغير .

خزن اللسان

واجعلوا اللسان واحداً ، وليخزُنِ الرّجلُ لسانهُ ؛ فانّ هذا اللسانَ جَموحٌ بصاحبِهِ . والله ، ما أرى عبداً يتقي تقوى تنفعهُ حتى يخزُنَ لسانهُ ، وإنّ لسانَ المؤمنِ من وراء قلبهِ ، وإنّ قلبَ المنافقِ من وراء لسانهِ ؛ لأنّ المؤمنَ إذا أراد أن يتكلمَ بكلامٍ ، تدبّرَه في نفسهِ ، فانْ كان خيراً أبداه ، وإن كان شرّاً واراه ؛ وإنّ المنافقَ يتكلم بما أتى على لسانِه لا يدري ماذا له ، وماذا عليه !

دعاء انساني

من كلام له وقد سمع قوماً من أصحابه يسبون اهل الشام ايام حربهم بصفين

إني أكره لكم أن تكونوا سبّابين ، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم ، وذكرتم حالهم ، كان أصوبَ في القولِ ، وأبلغَ في العُذرِ ؛ وقلتم مكانَ سبّكم إياهم : اللهمّ احقِنْ دماءنا ودماءهم ، وأصلحْ ذاتَ بيننا وبينهم ، واهدِهِم من ضلالتهم ، حتى يَعرفَ الحقَّ من جهلَه ، ويرعويَ عنِ الغَيِّ والعُدوان من لَهِجَ به[1] .

---

[1] لهج به : أولع به .

كره الثناء

اثنى عليه رجل من أصحابه بكلام طويل فقال :

إنَّ من حقِّ مَن عَظُمَ جلالُ الله في نفسِهِ ، وجلَّ موضعُه من قلبِهِ ، أنْ يَصغُرَ عنده ، لعِظَمِ ذلك ، كلُّ ما سواه . وإنَّ أحقَّ مَن كان كذلك لَمَن عظُمَتْ نعمةُ الله عليه ، ولطُفَ إحسانُه اليه ؛ فانه لم تَعظُمْ نعمةُ الله على أحدٍ ، إلا ازدادَ حقُّ الله عليه عِظَماً ، وإنَّ من أسخفِ حالات الولاة عند صالحِ الناس أن يُظنَّ بهم حبُّ الفخرِ ، ويوضعَ أمرُهم على الكِبْرِ . وقد كرهتُ أن يكون جالَ في ظنِّكم أني أحبُّ الاطراء ، واستماعَ الثناء ، ولستُ ، بحمدِ الله ، كذلك . ولو كنتُ أحبُّ أن يقالَ ذلك ، لتركتُه انحطاطاً لله سبحانهُ عن تناولِ ما هو أحقُّ به منَ العظَمةِ والكبرياء . وربما استحلى الناسُ الثناء بعد البلاء[1] ، فلا تُثنوا عليَّ بجميل ثناء ، لاخراجي نفسي إلى الله وإليكم منَ التقيَّةِ[2] في حُقوقٍ لم

---

١ البلاء : اي البلاء الحسن .

٢ التقية : الخوف ، والمراد خوف العقاب .

أفرغَ من أدائها ، وفرائضَ لا بدَّ من إمضائها ، فلا تكلموني بما تُكلَّمُ به الجبابرةُ ، ولا تتحفظوا مني بما يُتحفظُ به عند أهل البادرةِ[1] ، ولا تخالطوني بالمصانعةِ[2] ، ولا تظنوا بي استثقالاً في حقٍّ قيل لي ، ولا التماسَ إعظامٍ لنفسي ؛ فانه منِ استثقل الحقَّ أن يُقالَ له ، أو العدلَ أن يُعرَضَ عليه ، كان العملُ بهما أثقلَ عليه . فلا تكُفُّوا عن مقالةٍ بحقٍّ ، أو مشورةٍ بعدل ، فاني لستُ في نفسي بفوق أن أُخطىء ، ولا آمَنُ ذلك من فعلي ، إلا أن يكفيَ الله من نفسي ما هو أملكُ به مني ، فانما أنا وأنتم عبيدٌ مملوكون لربٍّ لا ربَّ غيره ، يملِكُ منا ما لا نملِكُ من أنفسنا ، وأخرجنا مما كنا فيه[3] الى ما صلحْنا عليه ، فأبدَلنا بعدَ الضلالةِ بالهدى ، وأعطانا البصيرةَ بعدَ العمى .

رئيس الاخلاق

التُّقى رئيسُ الاخلاقِ .

١ البادرة : سرعة الغضب .

٢ المصانعة : المداراة .

٣ مما كنا فيه : اي من كفر الجاهلية .

حفظ اللسان

الكلامُ في وِثاقِك ما لم تتكلم به ، فاذا تكلمتَ به صرتَ في وِثاقه . فاخزُنْ لسانَك كما تخزُنُ ذهبك وورِقَك[1]، فربَّ كلمةٍ سلبت نعمةً ، وجلبت نِقمةً .

الحلم والعقل

الحلم غِطاء ساترٌ ، والعقلُ حسامٌ قاطعٌ ؛ فاستر خلل خُلُقك بحلمك ، وقاتل هواك بعقلك .

العدل والجود

سئل ايّما افضل ، العدل او الجود ؟ فقال :

العدلُ يضعُ الأمورَ مواضعها، والجودُ يخرجُها من جهتها، والعدلُ سائسٌ عامّ ، والجودُ عارض خاصّ ، فالعدلُ أشرفهما وأفضلُهما .

---

١ الورق : الفضة .

كره التكبر

كان الامام راكباً على جواده ، فمشى في ركابه بعض الوجهاء، فقال له :

ارجِــعْ ، فانَّ مشيَ مثلِكَ مع مثلي فتنة للوالي، ومذلةٌ للمؤمن .

الوعد يستعبد

المسؤولُ حُرٌّ حتى يَعِدَ .

الحياء

ماء وجهِكَ جامدٌ يُقطِرُه السؤالُ ، فانظر عنـد مَن تُقطِرُه .

احتمال الخير

لا تَظُنَنَّ بكلمةٍ ، خرجت من أحدٍ ، سوءاً ، وأنت تجدُ لها في الخير محتملاً .

كرامة النفس

مَن كرُمت عليه نفسُه ، هانت عليه شهواتُه .

العفو عن العدو

إذا قدَرتَ على عدوّك ، فاجعل العفو عنه شُكراً للقدرةِ عليه .

فلتات اللسان

ما أضمرَ أحدٌ شيئاً إلا ظهرَ في فلتاتِ لسانِهِ ، وصفحاتِ وجهِهِ .

افضل الزهد

أفضلُ الزُّهد إخفاء الزُّهدِ .

خير وشر

فاعلُ الخيرِ خيرٌ منه ، وفاعلُ الشرّ شرٌّ منه .

استغناء

أشرفُ الغِنى تركُ المنى .

افضل السخاء

السخاء ما كان ابتداء ، فأما ما كان عن مسألةٍ ، فحياء وتذمُّم[1] .

الصبر صبران

الصبرُ صبران : صبرٌ على ما تكرَه ، وصبرٌ عما تحبُّ .

طلب الحاجة

فوتُ الحاجةِ أهون من طلبها إلى غير أهلِها .

اعطاء القليل

لا تستحِ من إعطاء القليلِ ، فانّ الحرمان أقلُّ منه .

١ التذمم : تجنب الذم.

خمس وصايا

أوصيكم بخمس ، لو ضربتم اليها آباطَ الابِلِ[1] ، لكانت لذلك أهلاً : لا يرجوَنَّ أحدٌ منكم إلا ربَّه ، ولا يخافنَّ إلا ذنبَه ، ولا يستحينَّ أحدٌ منكم ، إذا سئلَ عما لا يعلمُ ، أن يقولَ : لا أعلمُ ؛ ولا يستحينَّ أحدٌ اذا لم يعلم الشيء أن يتعلَّمَه . وعليكم بالصبرِ ، فانَّ الصبرَ من الايمان كالرأس من الجسدِ ، ولا خير في جسدٍ لا رأسَ معه ، ولا في إيمان لا صبر معه .

معنى الخير

سئل عن الخير ما هو ، فقال :

ليس الخيرُ أنْ يَكثُرَ مالكَ وولدُكَ ، ولكنَّ الخيرَ أنْ يَكثُرَ علمُكَ ، وأنْ يعظُمَ حلمُكَ ، وأنْ تُباهيَ الناسَ بعبادةِ ربِّكَ . فإنْ أحسنتَ حَمِدتَ اللهَ ، وإنْ أسأتَ استغفرتَ اللهَ . ولا خيرَ في الدُّنيا إلا لِرَجلينِ : رجلٌ أذنب ذنوباً فهو يتدارَكُها بالتوبةِ ، ورجلٌ يُسارعُ في الخيراتِ .

---

١ الآباط : جمع الابط ، وضرب آباط الابل كناية عن حثها على السير .

زجر المسيء

ازجُرِ المسيء بثواب المحسن .

الصبر والعفو

متى أشفي غيظي اذا غضبتُ ؟ أحين أعجِزُ عن الانتقام ، فيُقالَ لي لو صبرتَ ، أم حين أقدرُ عليه ، فيقال لو عفوتَ ؟

الصدقة

استنزلوا الرِّزقَ بالصدقةِ .

جزاء الحلم

أوَّلُ عِوضِ الحليمِ من حِلمِهِ أنَّ الناس أنصارُه على الجاهلِ .

العجب بالنفس

عُجبُ المرء بنفسهِ أحدُ حُسادِ عقلِه .

مصارع العقول

أكثرُ مصارعِ العقولِ تحت بُروقِ المطامع .

القضاء بالظن

ليس منَ العدلِ القضاءُ على الثقةِ بالظنّ .

الامام علي

سياسة الخلافة

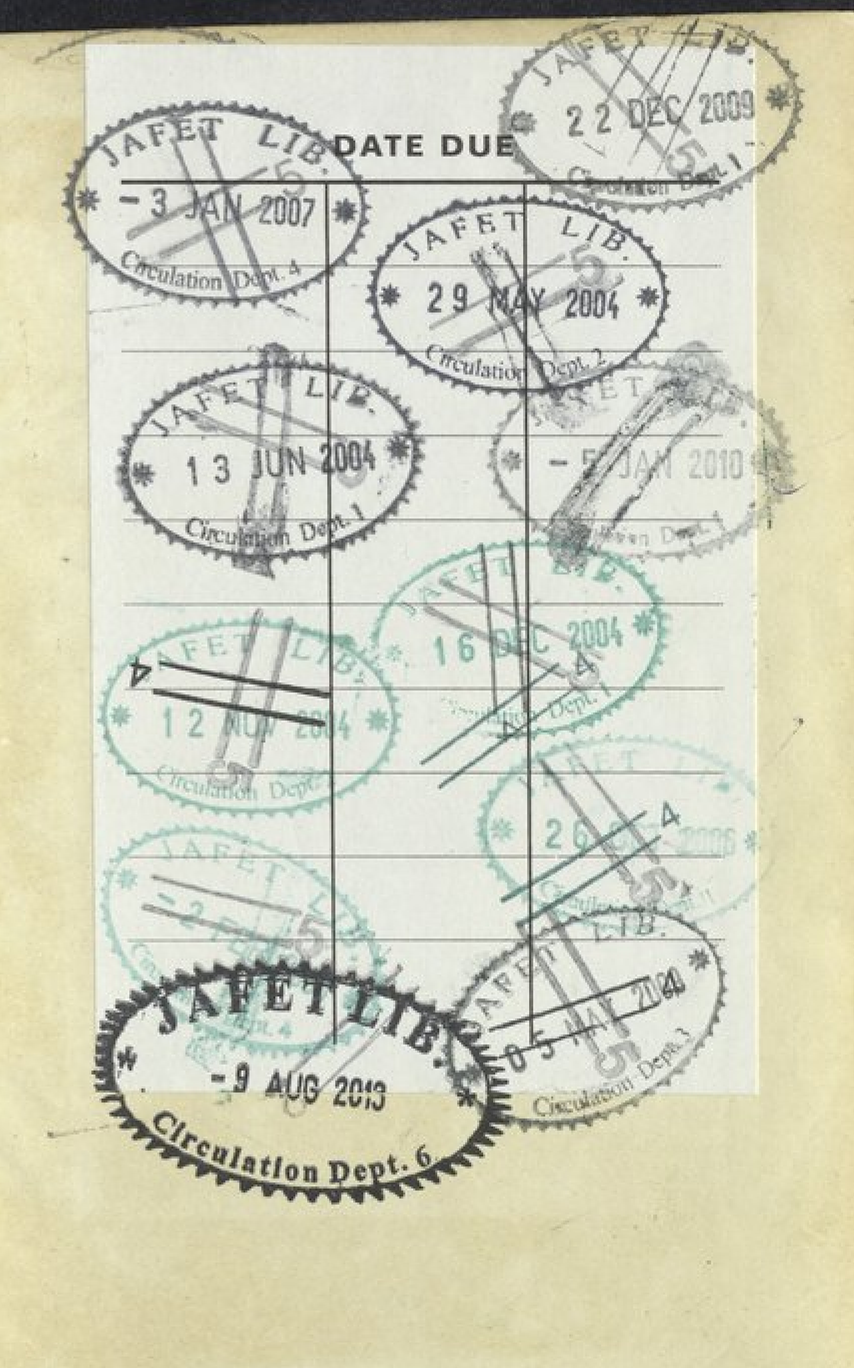
في الاخلاق والاجتماع

ولاة الامور ٩٤

مناهل الادب العربي

١ جبران خليل جبران
٢ ميخائيل نعيمه
٣ احمد فارس الشدياق
٤ ولي الدين يكن
٥ امين الريحاني
٦ ابو العلاء المعري – رسالة الغفران ١
٧ أبو العلاء المعري – رسالة الغفران ٢
٨ أبو العلاء المعري – كتب مختلفة
٩ أبو العلاء المعري – اللزوميات ١
١٠ ابو العلاء المعري – اللزوميات ٢
١١ بطرس البستاني
١٢ ابرهيم اليازجي*
١٣ ابرهيم اليازجي**
١٤ الشريف الرضي*
١٥ الشريف الرضي**
١٦ الشريف الرضي***
١٧ كرم ملحم كرم
١٨ الموشحات الاندلسية*
١٩ الموشحات الاندلسية**
٢٠ الموشحات الأندلسية***

٢١ ابن خلدون – المقدمة*
٢٢ ابن خلدون – المقدمة**
٢٣ ابن خلدون – المقدمة***
٢٤ ابن خلدون – المقدمة****
٢٥ ابن خلدون – المقدمة*****
٢٦ الامام علي – نهج البلاغة*
٢٧ الامام علي – نهج البلاغة**


DATE DUE
JAFET LIB.
22 DEC 2009
JAFET LIB.
-3 JAN 2007
Circulation Dept. 4
JAFET LIB.
29 MAY 2004
Circulation Dept. 2
JAFET LIB.
13 JUN 2004
Circulation Dept. 1
-5 JAN 2010
JAFET LIB.
16 DEC 2004
JAFET LIB.
12 NOV 2004
Circulation Dept.
JAFET LIB.
05 MAY 2004
Circulation Dept. 1
JAFET LIB.
-9 AUG 2013
Circulation Dept. 6

